٧٣ عاماً
حاضر يحفل بالريادة



المنهل
AL MANHAL

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

العدد (٦٠٧) المجلد (٦٩) العام [٧٣] جمادى الآخرة / رجب ١٤٢٨ هـ - يونيو / يوليو ٢٠٠٧م



لتهنأ بمكة.. الأمير المبدع



إياد مدني
الأنصاري.. صاحب أول مجلة أدبية ثقافية في بلادنا

مسيرة الجوائز في مجتمعنا السعودي

التجسيم الاستعاري للنص

النزعة الصليبية في الرحلات الأوروبية

هل ينجح "الطب البديل" في القضاء على أمراض العصر

الشباب طاقة جبارة ينبغي رعايتها

الأمير سلطان بن سلمان لـ"المنهل":
جمعية الأطفال المعوقين تجسيد لنجاحات مؤسسات العمل الخيري بالمملكة

بسم الله الرحمن الرحيم

غلاف العدد



المنهل

مجلة للآداب والعلوم والثقافة
تصدر في المملكة العربية السعودية- جدة
عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له
عبدالقدوس القاسم الأنصاري
عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

■ ■ ■

ملكها ورأس تحريرها المغفور له
نبيه عبدالقدوس الأنصاري
من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

■ ■ ■

ترسل جميع المراسلات إلى جُدة
على العنوان التالي:

المركز الرئيسي
جُـدة الشرقيـة ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١
فاكس: ٠٢/٦٤٢٨٨٥٣
تليفون : ٦٤٢٧٨٣١- ٦٤٣٩٧٦٥
٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

البريد الإلكتروني :
E-mail : info@al-manhalmagazine.com



مما قيل



مستقبليون..!

كلمة معسولة تتداولها ألسنة كثير من الناس في هذه البلاد. "إنني سأقوم بكذا وسأعمل كذا لأبني مستقبلي".

هذه الكلمة تدل فيما تدل عليه، على يقظة جزئية محدودة، فكل من هؤلاء الأفراد الذين اتخذوا هذا القول هجيراهم وشعارهم يروم ويتمنى أن يصنع شيئاً ما، لتحسين مقبل حياته الفردية المحدودة النطاق، وبحسبه ذلك من الحياة.. وإذا ألقينا "الانوار الكشافة" على حيوات من نفذوا هذا البرنامج، فأتوا قسطاً من نجاح، في تحسين مستقبلهم كما يحلمون فإننا نجدهم لم يخرجوا عن "محيط الدائرة" الذي ابتدأوا منه المسير، إلا بقدر ضئيل تافه، قد لا يتجاوز الرفاهية الشخصية والمتعة المادية الزائفة، وهو مالا يمكن أن ينهض ببناء المستقبل الاجتماعي لأمة لها أهدافها في الحياة، ولا ببناء المستقبل الفردي في أمة هذا حالها.

بناء المستقبل الحقيقي، "برج" شامخ لا يرتقي إليه إلا كل من وطّن النفس على التضحية بقسط كبير من مصلحته الخاصة في سبيل الصالح العام.. فإذا شئنا أن نحسن مستقبلنا أفراداً وجماعات تحسيناً حقيقياً خالداً، فعلينا أن ننظر إلى هذا التحسين من نافذة المصلحة العامة، ننهض بمنحطها، ونقيم أودها، ونسعى بكل ما أو تينا من قوة لتشييد بروجها بالجهد والعرق والمال وبالنفس والنفيس حينئذ فقط، يصح أن نكون مستقبليين.. وإلا ذا نحن إلا حالمون.

«عبدالقدوس الأنصاري»

(شعبان ١٣٦٨هـ /يونيو ١٩٤٩م)

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - الإمارات ٨ دراهم - البحرين دينار واحد - سلطنة عُمان ٦٠٠ بيسة - قطر ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الأردن ٧٥٠ فلس تونس ٨٠٠ مليم - الجزائر ٨٠ ديناراً - سوريا ٤٥ ليرة - السودان ١٥٠ ديناراً لبنان ١٠٠ ليرة - المغرب ٩ دراهم - مصر ٣٠٠ قرش - اليمن ١٠٠ ريال بريطانيا جنيه استرليني - فرنسا ١٠ فرنكات - امريكا ٣ دولارات

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الإسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

عنوان الموقع :
WWW. al-manhalmagazine.com

أما بعد

ليتنا نفهم؟؟؟

عالمنا العربي بخاصة، والإسلامي بعامة، يموج موجاً بفواجع وقواصم لا قبل له بها، تدمير.. وقتل.. وتشريد.. وما لا يحصى من التعذيب بكل أساليب التعذيب.. حتى غدونا نَعُدُ كل ذلك من واجبات اليوم والليلة.. إن تخلّف من ذلك شيء في سحابة اليوم فإن شمسه لا تطبق جفنيها إلا عليه..

الكثير من كل ذلك صنعناه بأيدينا.. خلافات حزبية ومذهبية وطائفية، أطاحت برقاب الأبرياء..

وكل ذلك جعلنا لقمة سائغة لاطماع عالم مافوق البحار..

وما حدث ويحدث في العراق وفلسطين ولبنان وأفغانستان والصومال وغيرها، شاهد ماثل..!!

وفي هذا الجو المخضب بالدماء، الملبّد بسحب الخلافات الحزبية والمذهبية والطائفية، تأتي مبادرات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله ورعاه - تأتي لتضمّد الجراح الغائرة بين الفرقاء.. ولتحفظ لهذه الأمة عزها وكرامتها..

إننا اليوم في أمسِّ الحاجة للاستجابة لصوت العقل، بعيداً عن ضجيج المدافع..!!

ليتنا نفهم؟؟..

التحرير

فقرات مستقلة



فهرس (جمادى الآخرة - رجب) ١٤٢٨هـ

الاشتراكات

جـدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكـلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ – فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥



لتهنأ بمكة الأمير المبدع

صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، صاحب (مشروع حضاري) بكل ما يحمل هذا المصطلح من مضمون ومعنى وأبعاد.

(مشروع حضاري) في كل مجالات الأداء والعطاء.. عمقاً وانداياحاً.. الأمير خالد الفيصل (فنان وشاعر).. والفن والشعر (خيال مبدع فاعل..) ولما كان (الخيال) بهذا القيد وهذا الفهم فإن صاحبه لابد أن يكون (صاحب مشروع حضاري..)

وهذا ما عُرف به الأمير الشاعر الفنان خالد الفيصل.. فقد جعل من إمارة عسير بكاملها أنموذجاً للعطاء والأداء (عمقاً وسموقا).. وصنع منها ريادة تُحْتَذَى.. في التربية والتعليم.. في النهضة والتنمية.. في الفن والثقافة والأدب.. في التراث والآثار.. في السياحة والرحلات..

جهد جبار مبدع.. بذله أمير مبدع.. وفنان تنداح أمام ناظريه كل آفاق التجديد والإنماء والعطاء.

(الإنسان) بكل مخزونه (المعرفي والوجداني والسلوكي..) كان همه الأول وكل عمل قام به الأمير خالد الفيصل على مدى (٣٧) عاماً قضاها في إمارة عسير كان (الإنسان) هو موضوعه الأساسي.. ذلك لأن (الإنسان) هو مرتكز التنمية والنهضة، ولهذا فإن الأمير خالد الفيصل بقراءة بسيطة في فكره وطبيعة توجهه نجده يقدس (العمل الجماعي) لأن العمل الجماعي في حد ذاته قيمة.. وقد رسخ هذا الفهم الذكي في أبناء المنطقة.. لهذا عندما يقول الأمير خالد الفيصل (أبناء عسير وأهاليها جعلوا من العمل الجاد والمضني متعة، فأشكرهم على هذه المتعة.. وعلى كل المساعدة التي قدموها لي أثناء عملي..)

هذا فهم بِكْر رائع عن توصيف العمل.. أن يكون: العمل الجاد المرهق (متعة).. نعرف أن كثيراً من الناس متعتهم في الاسترخاء، في الراحة، في اللهو، في الاغراق في رغائب النفس التي لا تنتهي.. أما أن تكون المتعة (في العمل الجاد المرهق) فهذا فهم غاية في السمو، لأن ناتجه الطبيعي تنمية ونهضة وازدهاراً وناتجه أيضاً تسخير طاقات الإنسان إلى معادل تنموي فاعل.. وهذا ما قصد إليه الأمير خالد الفيصل.. وهذا ما أنجزه.. وهذا ما رسخه قيمة تفاعلية في وجدان أهل عسير جميعهم..

ثم يأتي الأمر الملكي السامي، بل الثقة الملكية السامية من خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله ورعاه - ليكون أميراً للمدينة المقدسة مكة المكرمة، ومنطقتها، وتكون استجابة الأمير خالد الفيصل في هذه الكلمات: (إن تعييني أميراً لمنطقة مكة المكرمة أغلى ثقة، من أكبر رجل في أقدس بقعة..)

تلك كلمات شاعر..

والآن يجيء الأمير خالد الفيصل إلى مكة المكرمة بمخزون تجربة (أربعة عقود) من العمل (الممتع) الجاد المتواصل، كما وصف.. وأهل مكة المكرمة ومن حولها، فرحون مبتهجون سعداء بهذا الاختيار الموفق..

ومجلة المنهل ومشرفها العام ورئيس تحريرها ومنسوبوها يرفعون لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل كل معاني الوفاء والتقدير والاكبار.. متمنين لسموه التوفيق فيما هو مقبل إليه..

ولصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن خالد بن عبدالعزيز نرفع أسمى آيات التقدير بمناسبة تعيينه أميراً لمنطقة عسير متمنين لسموه التوفيق والسداد.

رئيس التحرير

إلى جـوار ربه:

الأديب.. الشـــاعر

الأمير عبدالله الفيصل.. رحمه الله تعالى بفضله وأحسن إليه وجعل الجنة مثواه..
كان متعدد الكفاءات والمواهب والشخصيات.. وكان مبرزا في جميعها.. أحب الثقافة والأدب والشعر.. فقرأ كثيراً كثيراً في كل ذلك.. وكان حاضراً في كل ذلك..
تربى زمناً يسيراً في كنف جده الملك عبدالعزيز آل سعود.. وتربى عمقاً وسموقا على يدي والده الملك فيصل بن عبدالعزيز.. عليهم رحمة الله أجمعين..
ولد الأمير عبدالله الفيصل في ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.
وانتقل إلى جوار ربه يوم الثلاثاء ٢١ / ٤ / ١٤٢٨هـ ٨ / ٥ / ٢٠٠٧م.
أول عهده بالإدارة كان وكيلاً للملك فيصل في منطقة الحجاز وفي عام ١٣٧٠هـ عين وزيراً للداخلية ووزيراً للصحة.. قضى في الوزارة زمناً ثم تفرغ لأعماله الخاصة، ولقراءاته التي أحبها وأعطاها الكثير من وقته.
أبدع في مجال الأدب وبخاصة الشعر وطبع له فيه ديوانه الأول (وحي الحرمان) ثم ديوان (حديث قلب).. ثم ديوان (مشاعري) وترجمت أعماله إلى عدة لغات منها (الإنجليزية والفرنسية والروسية..) وكما أجاد وأبدع في الشعر المقفى الفصيح أبدع في الشعر (النبطي) وله فيه قصائد عدة.. شارك في العديد من المنتديات الأدبية والثقافية.. ونال مجموعة من الجوائز الأدبية والتقديرية، وعدداً من الدرجات العلمية الفخرية.. ومنها:
- منح الدكتوراة الفخرية في العلوم الإنسانية من مؤتمر الشعراء العالميين في سان فرانسسكو بأمريكا عام ١٩٨١م.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية في المملكة العربية السعودية ١٩٨٥م.
- منح العضوية في الأكاديمية الملكية المغربية.
- منح الدكتوراة الفخرية في الأدب والعلوم الانسانية من جامعة (شو) بولاية شمال كارولينا في أمريكا ١٩٨٩م.
من مؤسسي (مؤسسة الملك فيصل الخيرية) ورئيس مجلس أمنائها..
الأمير عبدالله الفيصل كان قصره حافلاً بلقاءات الأدباء والعلماء، وكان حفياً بهم.
مؤسس مجلة المنهل الأستاذ/ عبدالقدوس الأنصاري كان على صلة وثيقة بالأمير عبدالله الفيصل.. وكان يجمع بينهما حب الثقافة والأدب.
وقد حفلت المنهل بنشر الكثير من نتاج الأمير عبدالله الفيصل..
رحمه الله وأحسن إليه وجعل الجنة مثواه..

الأمير عبدالله الفيصل



إلى جــوار ربه:



الإنسان العطوف.. والإداري الحازم

الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز آل سعود، عليه رحمة الله ورضوانه، ونسأل الله سبحانه أن يغفر له ويجزل له المثوبة إنه سميع مجيب.. كان إنساناً، قبل أن يكون إدارياً.. امتلأ قلبه بحب الناس والاقتراب منهم وقضاء حوائجهم، وإصلاح ذات بينهم وحل نزاعاتهم..

ولسنا هنا بسبيل تعداد مآثره..

تولّى إمارة مجموعة من الإمارات في المملكة.. وكان فيها كلها صاحب الرأي الحكيم السديد.. وصاحب الانجازات العظيمة في كل ميادين الانجاز.. في التربية والتعليم (إنشاء وتأسيس المدارس والمعاهد والكليات والجامعات) في البنيات التحتية (الطرق والكباري والجسور والسدود والمياه والصحة) في صحة البيئة والصحة العامة، في الأدب والثقافة والفكر.. في الرياضة والتنمية البشرية العامة.

كان الأمير عبدالمجيد - عليه رحمة الله تعالى - حركة دائبة.. وانجازاته في ميادين الانجاز تظل شاهدة له بالخير.

وفي الحرمين الشريفين.. لقد أولاهما عنايته الخاصة، وجهده الخاص.. أشرف على توسعة الحرمين الشريفين، وأشرف على إنشاء وتأسيس مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.. وكان سعيداً كل السعادة بأن هيأ الله سبحانه وتعالى له ذلك.

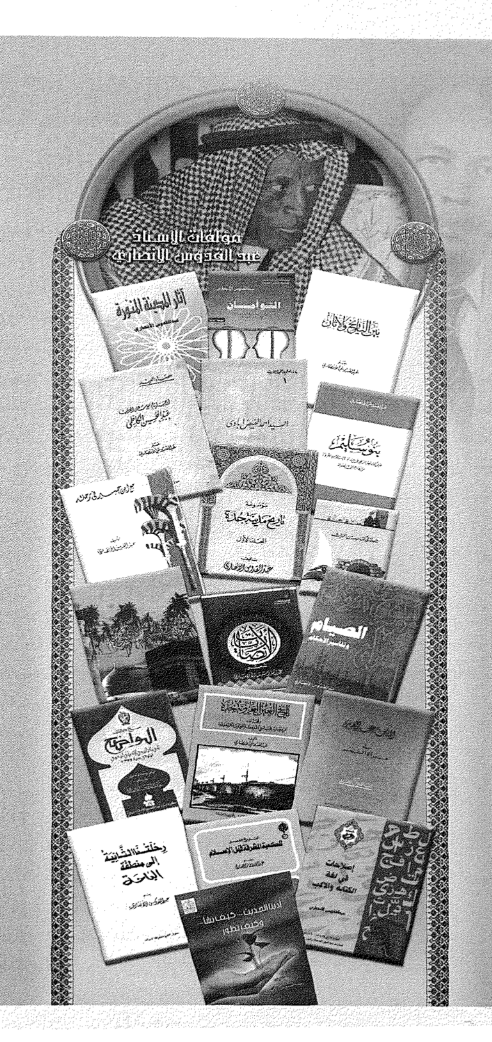
رحمه الله وأحسن إليه..

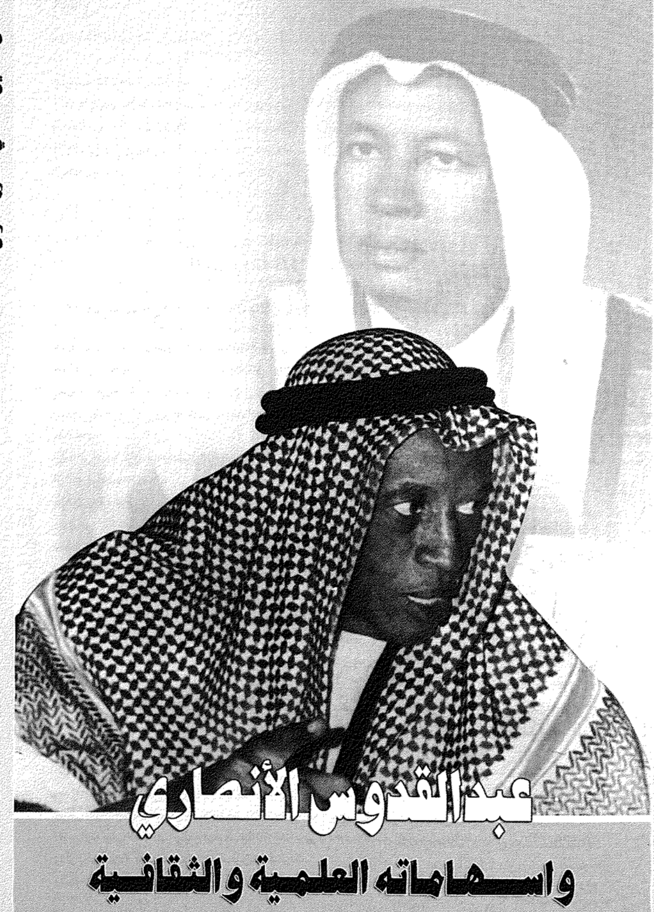
الأمير عبدالمجيد عليه رحمة الله تعالى:

- تولى إمارة منطقة تبوك في الفترة (١٤٠٠ - ١٤٠٦هـ)
- تولى إمارة المدينة المنورة في الفترة (١٤٠٦ - ١٤٢٠هـ)
- تولى إمارة مكة المكرمة في الفترة (١٤٢٠ - ١٤٢٨هـ)

ولد الأمير عبدالمجيد في عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.. وتوفي في يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ/ ٧ / ٥ / ٢٠٠٧م.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وألهم آله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان..


مؤلفات الأستاذ
عبد القدوس الأنصاري



ملتقى العقيق الثقافي "الدورة الأولى"

عبدالقدوس الأنصاري
واسهاماته العلمية والثقافية



كلمة معالي وزير الثقافة والإعلام في حفل افتتاح ملتقى العقيق الثقافي

بسم الله الرحمن الرحيم.. والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين..

أساتذتي الأفاضل.. وأصحاب الفضيلة والمعالي.. والإخوة والأخوات..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أما وقد حلّق بنا أستاذي الدكتور محمد العيد الخطراوي.. أعتذر أنني سأعيدكم مرة أخرى إلى الأرض وتضاريسها ونتوءاتها..

وأود في البداية أن أقدم الشكر للأخ العزيز الدكتور عبد الله العسيلان رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي على أن أتاح لي هذه الفرصة..

أولاً: لزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام..

وثانياً: لأن أمثل أمام هذه النخبة من مفكري ومثقفي هذه البلدة الطيبة وكذلك أن أقف أمام أستاذي الأستاذ محمد حميدة وأقبل جبينه وهو الأستاذ الذي ربّى أجيالا وأجيالا من شباب ورجال هذه المدينة المنورة..

وهي تربية لم تخل من خيزرانة أو اثنتين.. في شتاء المدينة القارس.. لمن تأخر دقيقة أو حتى دقيقتين عن الحضور في الموعد المحدد للناصرية.

وقد طلبت من الدكتور عبد الله العسيلان أن نؤجل تاريخ هذه الاحتفالية حتى أتأكد من مناسبة حضوري لها.. ولكنه أصر.. فقلت: لعل أن يكون ختامها مسك..

الإخوة والأخوات..

حينما نستعيد طرفا من ذاكرة الثقافة في المملكة العربية السعودية فإننا ندرك كم أنفق جيل الرواد من جهد وتعب وكم عانوا من مشقة حتى يُسمِعُوا الآخرين صوت الأرض التي اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون مهبط وحيه ومستقر رسالته الخاتمة.

وليعيدوا إليها من جديد بعض أمجادها.. ويكشفوا عن تراثها وآدابها ودروبها وآثارها..

في طريق محفوف بالعثرات.. لكن رائدهم في ذلك. بعد التوكل على الله تعالى. ما وهبهم الله من علم ومعرفة. وما حباهم من قدرة على الإبداع، وما تحلوا به من صبر وإصرار ومثابرة وإرادة..

ويأتي رائدنا الكبير.. الشيخ عبدالقدوس الأنصاري رحمه الله في مقدمة تلك الكوكبة من روادنا..

فعبدالقدوس الأنصاري اجتمع فيه في وقت واحد المربي والراوي والشاعر والصحفي والناقد والمؤرخ والآثاري واللغوي، وكان بحق علامة مهمة في ثقافتنا ومسيرتنا الفكرية..

ولم يقف تميزه عند هذا الحد.. بل إنه كان من أصحاب الأوليات.. فهو صاحب أول رواية في تاريخ هذه البلاد.. وهو



صاحب أول مجلة أدبية في بلادنا.. وهي مجلة المنهل التي كانت منذ تأسيسها منبراً للثقافة العربية وراعية لأجيال من المثقفين في الوطن العربي الكبير..

واستطاعت بدأب عبدالقدوس الأنصاري وصبره أن تفتح الباب مشرعاً أمام ألوان جديدة من الأدب كالقصة القصيرة والمسرحية والمقالة وأن تصبح سجلا لتاريخ المملكة لما تضمنته أعدادها من معلومات ثرية ومهمة في كافة جوانب تاريخ البلاد.

أما في مناحي المعرفة الأخرى فقد كان عبدالقدوس الأنصاري رحمه الله من العلماء الأفذاذ بما أسداه إلى الثقافة العربية المعاصرة فكان من أوائل المشتغلين بعلم الآثار في بلادنا.. إضافة إلى كتبه الرائدة في التاريخ وبحوثه ومقالاته في اللغة والتراجم.. مما يجعلنا أمام عالم كبير يعيد إلينا جانباً من جوانب العلم في الحرمين الشريفين ويضفي بمزيد من الضوء على خصوبة الحركة العلمية والأدبية في المدينة المنورة آنذاك..

وأستعيد هنا كلمات عبدالقدوس الأنصاري رحمه الله وهو يسترجع تلك الفترة التي عاشها مع إخوانه وأنداده في المدينة المنورة.. وهم يسلكون طرقا جديدة ويطرقون أبوابا ظلت ساكنة ومغلقة.. ويحاولون تفكيك مفاهيم استعصى عليها إدراك أن الحياة مسيرة لا تتوقف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

يقول رائدنا الكبير:

كانت البيئة بيئة يسودها الاستئناس إلى الدعة والراحة والبقاء على الحالة المألوفة.. بدون أن يكون هناك مجال للتعديل أو التبديل.. كانت معيشة الناس وطرائق حياتهم ومناهج تفكيرهم محدودة مرسومة الخطى.. بيئة لا تنشد التطور ولا تبغي عن تقاليدها الموروثة تبديلا.. بيئة هذا شأنها عجيبة أن تنبت تربتها شخصية لامعة أو فكراً يحاول قلب الأوضاع ويسعى لتبديل الحال إلى حال أحسن..

وكان الناس يعيبون على هؤلاء الناشئة التي تبدو منهم بوادر مريبة من أفكار تُسائل بعض ما تواطأ عليه الناس، وينحون بالشعر والأدب نحوا كان ملتويا في أنظارهم وغير ذي موضوع في نظر آخرين.. ويفضي في نظر بعضهم إلى نتائج لا تقرها الأوضاع التقليدية المألوفة..

وكانت سحب النقد المر حينا واللين حينا تظللهم ليقلعوا عن هذه البدع الجديدة التي ملكت عليهم لبهم.. وليهجروا هذا الاتجاه المريب الذي يسلكونه..

ويأتي عبدالقدوس الأنصاري على ذكر حلقات الدروس في المسجد النبوي الشريف والذي كان يدرسه فيها الأستاذ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري رحمه الله، وما اتسمت به دروسها من طابع التحرير في التفكير والنزوح عن الجمود والدعوة الصارخة لاستعمال العقل في مسائل العلم والحياة والتقدم والنمو، والتشجيع على حرية البحث والاستنتاج وتحري الحق والحقيقة أينما كانت..

ومضى ذلك الجيل في طريقه - كما يقول الأنصاري - غير مبال بقوارص الكلام.. ولا بقوارع التبكيت.. ولا بعقارب الحقد التي تدب من كل جانب..

أيها الإخوة والأخوات..

إن وزارة الثقافة والإعلام تجعل في مقدمة أهدافها الاحتفاء برموز الأدب والثقافة والفكر في بلادنا.. وتدرك أن من حق الأجيال الجديدة معرفة أولئك الرواد الكبار.. وأن هذا الملتقى وأمثاله مما تقوم به الأندية الأدبية الثقافية يساهم في رؤية جديدة للثقافة وتراث المملكة.. ويدفع إلى معرفة علمية عميقة في قيم النهضة والتقدم والاستنارة في بلادنا.. ويلغي القطيعة بين الأجيال.. ويجعل ما بين أيدينا من أدب وفكر امتدادا طبيعيا للحراك الثقافي الذي عاشته بلادنا..

الإخوة والأخوات..

أتمنى لهذا الملتقى التوفيق والنجاح بإذن الله.. وأرجو أن يسهم في مزيد من فهم واقعنا الثقافي والأدبي..

ولا يفوتني وأنا أقف أمامكم أن أتوجه بالشكر إلى زملائي الكرام أعضاء مجلس الإدارة السابق على جهودهم الجليلة التي تذكر فتشكر.. كذلك أتمنى لأعضاء المجلس الجديد التوفيق والنجاح..

وأشكركم جميعا على مشاركتكم وحضوركم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أ. إياد بن أمين مدني

وزير الثقافة والإعلام

كلمة رئيس تحرير مجلة المنهل في حفل افتتاح ملتقى العقيق الثقافي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

معالي الأستاذ إياد بن أمين مدني

وزير الثقافة والإعلام - حفظه الله

سعادة رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي



السادة أعضاء اللجنة التحضيرية للملتقى

السادة ضيوف الملتقى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

بدءاً أوجه شكري العميق لمعالي وزير الثقافة والإعلام على رعايته لهذا الملتقى كما أتقدم بشكري العميق لنادي المدينة المنورة الأدبي ممثلاً في رئيسه الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن عبدالرحمن العسيلان وأعضائه الأكارم على هذه اللفتة البارعة التي تمثلت في إقامة (ملتقى العقيق) في دورته الأولى المخصصة لتكريم الوالد الرائد (عبدالقدوس الأنصاري) رحمه الله.

- والشكر موصول لأعضاء اللجنة التحضرية لهذه الدورة.. وكذلك لكل الأساتذة والأستاذات المشاركين والمشاركات في فعاليات هذه الدورة.

- الأستاذ الرائد عبدالقدوس الأنصاري يعرفه الجميع من خلال لقاءاته ومحاضراته.. يعرفه الجميع عالماً محققاً لغوياً.. ويعرفونه أديباً رائداً ويعرفونه مؤرخاً وباحث آثار.. بل يعرفونه رائداً من رواد الصحافة الأدبية في بلادنا.

- أما الأنصاري في جانبه الإنساني وعمقه وأبعاده فهذا لا يعرفه إلا المقربون إليه أسرة أو عملا أو صداقة.

- الأستاذ الوالد عبدالقدوس الأنصاري في جانبه الآخر (الإنساني)، كان أباً عظيماً ومربياً عطوفاً يفيض حناناً دافقاً ومحبة خالصة، وإنسانية تسع الأقربين والأبعدين.

- الأنصاري في أسرته وبين أبنائه وأحفاده، كان قريباً منهم.. يحوطهم بدافق أبوته ويسعدونه ببنوة تفيض حباً واحتراماً.. تقديراً وإكباراً.. يداعب الصغير، ويلاعبه ويلاطفه.. يصادق الكبير، ويقربه إليه، ويحادثه ويوجهه بل ويستشيره.

- في داخل البيت كان بسيطاً غاية البساطة، يشارك في كل ما يمكن أن يشارك فيه رب الأسرة.

- كان (رحمه الله) يحب المداعبة والطرفة، منبسط الجبين، ناعم النفس، هادئ الطبع، لا تغادره الابتسامة.. ما كان يكلف أحداً فوق طاقته.. بل كان يساعد من يكلفه بأداء عمل ما.. كان يغرس فينا أسلوب الدقة في أداء العمل، ما كان يقبل من أحدنا أنصاف الحلول، ولا يرضى ذلك لأحد، أسلوبه في التربية كان عملياً وواقعياً.

- ونحن في مقتبل عمرنا كان يصطحبنا معه في بعض رحلاته وسفرياته الداخلية والخارجية.. هذا الأسلوب في التربية اتخذه الأنصاري قصداً لتفتيح أذهاننا، وإزالة الدهشة من كل جديد.

وأذكر هنا أنه اصطحبني وأنا بعمر (العاشرة) في رحلة برية شاقة على طفل في مثل عمري.. اصطحبني إلى قرية الكامل ببني سليم، وذلك إبان قيامه بتأليف كتابه (بنو سليم) في العام (ألف وثلاثمئة وتسعين من الهجرة النبوية الشريفة) وقد عانيت كثيراً من المشقة والتعب خلال هذه الرحلة.. ولكنه كان يحثني على التحمل والصبر وكان يقول لي (اصبر أيها الرحالة الصغير).

كان (رحمه الله) مع الموظفين ومن يعملون عنده ومعه في مجلته المنهل يرسخ في أذهان الجميع أن العمل في هذه المجلة

قيمة مشتركة، هذا مع الاحتفاظ لكل واحد بطبيعة عمله، وتخصصه في مجاله، تجويداً وإبداعاً.. وقد كان منهجه الإداري في العمل.. أن جعل كل العاملين معه اخوة متحابين تجمع بينهم جودة الأداء والمسؤولية النابعة من الذات مع فتح الباب للجميع للإبداع والتألق بل واتخاذ القرارات المناسبة.

وأذكر أننا عند تصدير الأعداد المتتالية من المنهل كانت يده معنا ومع العاملين في المنهل حتى في النواحي التشغيلية بل إنه كان لا يأنف أن يصنع لنا الشاي ويقدمه بيده.

- كان صاحب ذاكرة حافظة حاضرة لا تسقط كلمة على أذنيه أو تتناهى إلى سمعه إلا وكان له نصيب في حفظ طرف منها.. تدخل عليه تجده يدندن بكلمات أناشيد سمعها مع تنغيمها بل أحياناً يردد كلمات إعلان تجاري سمعه في الإذاعة أو التلفاز.. لقد كان حقاً يشيع البسمة.. كان أخاً وصديقاً وأباً للكل يتحسس بودية حانية ظروف العاملين معه، وغيرهم ويساعد في حل المشكلات.. وكان شهماً سخياً في هذا الجانب.

- كل هذا أكسبه محبة بالغة عند كل من عرفه عن قرب وعن بعد.

- الوالد المربي عبدالقدوس الأنصاري (رحمه الله) علمنا (الاعتدال والتوازن والوسطية) في كل حياتنا.. هذا مبدؤه الذي لم يحد عنه في حياته الشخصية مع أسرته وأبنائه وأحفاده، وأصدقائه ومريديه.

وفي كتاباته ومحادثاته وحتى معاركه الأدبية والفكرية.. كان لا يعتدي على أحد، تنفر نفسه من هذا العمل المشين.. وإذا اعتدى عليه أحد بإساءة أو كلمة خارجة كان يتحمل ويصبر حتى وإن غلى المرجل، لا يلجأ إلى مساءة شخصية هو يعلمها عن هذا أو ذاك.. يلتزم (الاعتدال والتوازن والوسطية) بالغة ما بلغت الخصومة.. مع احتفاظه بصرامته في ردوده العلمية والنقدية ودقة ما يقول.

- الأنصاري فتح صفحات مجلة المنهل لجيل الشباب الصاعد، وكان حريصاً كل الحرص على أقلامهم ونتاجهم وكان من يرسل إليه بكلمة.. ينشرها مسبوقة بكلمة تقديم منه، وكان يرسل العدد المعنى لهذا الشاب مع كلمة شكر وإطراء ودعوة للتواصل.

وكان رحمه الله يقيم علاقات طيبة مع الأدباء والكتاب في الداخل والخارج يناقشهم.. يحاورهم.. يزورهم في أماكنهم ويقيم ندواته وجلساته العلمية معهم وينشرها في منهله.. مما كان عاملاً مؤثراً في إثراء وتنشيط الحركة الأدبية والثقافية في ذلك الوقت.. هذا بالإضافة إلى محاضراته المتنوعة والتواصل الدائم مع الجامعات والأندية الأدبية في المملكة وخارجها.

مربيه وشيخه وأستاذه الشيخ محمد الطيب الأنصاري، وصديقه الحبيب إلى نفسه السيد عبيد مدني وأستاذه صاحب مدرسة العلوم الشرعية السيد أحمد الفيض آبادي، هؤلاء كانت لهم مكانة خاصة في نفسه ما كان يقدم على شيء ذي بال إلا باستشارتهم.. عندما رغب إليه رئيس ديوان إمارة المدينة المنورة الأستاذ إسماعيل حفظي ليكون موظفاً في الديوان لكفاءته وجدارته، لم يقطع رأياً إلا بعد استشارة خاله الشيخ محمد الطيب الأنصاري.. وكذلك فعل لما رغب إليه استاذه أحمد الفيض آبادي أن يكون استاذاً للأدب العربي في المدرسة استشار شيخه أيضاً

وعندما رأى أن يقدم طلبه الخاص لديوان الإمارة بإنشاء مجلته المنهل، قبل أن يخطو خطوة واحدة، استشار كل هؤلاء المتقدمة أسماؤهم.

هكذا كان الأنصاري.. وهكذا كان أولئك الرواد

وهكذا حياتهم كلها.. حياة تبعث لنا برسائل نتمنى أن نحسن قراءتها.. بل نعيد قراءتها مرات ومرات.

والشكر موصول دائماً لمعالي وزير الثقافة والإعلام لرعايته الدائمة لمثل هذه الفعاليات الثقافية والفكرية وكذلك لنادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي والعاملين فيه.

رحم الله استاذي و"جدي" عبدالقدوس الأنصاري وأثابه عنّا خير الثواب.. رحم الله الجميع..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

زهير نبيه الأنصاري



ملتقى العقيق الثقافي

إعداد: السماني كمال الدين - المنهل

في غرة شهر ربيع الأول ١٤٢٨هـ، وفي مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبدعوة كريمة من النادي الأدبي في المدينة المنورة، التقى نخبة كريمة من العلماء والباحثين، والأدباء والمثقفين.. في تظاهرة علمية وفكرية وثقافية عنوانها (عبدالقدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية).. وكانت هذه التظاهرة الفكرية تمثل (الدورة الأولى في ملتقى العقيق الثقافي..).

هذا الملتقى كوَّن له النادي (هيئة استشارية علمية وإشرافية) تنظر في فعالياته المقترحة، على أن يكرم من خلاله في كل دورة من دوراته أحد رموز الفكر والثقافة والأدب والعلم..

وهذا توجه كريم وفاضل يشكر للنادي والقائمين عليه، وفي ذات الوقت يجعل (أعلامنا) في ذاكرة الأجيال لا يغيبون عنها..

ملتقى العقيق الثقافي في دورته الأولى خصص للأستاذ الرائد الموسوعي عبدالقدوس الأنصاري..) المولود في مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ١٣٢٤هـ.. وفيها نشأ وتربى.. وتلقى تعليمه في مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، على يد عدد من العلماء وعلى رأسهم خاله الشيخ العلامة محمد الطيب بن الأنصاري.. ثم في مدرسة العلوم الشرعية..

أنشأ عبدالقدوس الأنصاري مجلته (المنهل) في المدينة المنورة في ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.. وبقي معها حتى تاريخ وفاته ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.. أي ما يقرب من خمسين عاماً.. تنقلت معه من المدينة المنورة، إلى مكة المكرمة، إلى مدينة جدة، حيث مقرها الحالي.. ولا تزال دائمة الصدور بفضل الله سبحانه وتوفيقه.

حفل الافتتاح

هذا الملتقى افتتح أعماله وفعالياته **معالي الأستاذ إياد أمين مدني وزير الثقافة والإعلام،** بحضور أكثر من ثلاثين مشاركاً في فعالياته الثقافية، وجمع كبير من العلماء والمفكرين والمثقفين من المدينة المنورة من أنحاء المملكة..

وألقى معالي وزير الثقافة والإعلام كلمة أشار فيها إلى الحركة الثقافية المتنامية، شاكراً النادي الأدبي في المدينة المنورة على إقامة هذا الملتقى الثقافي الفكري، مؤكداً على الدور الريادي الإيجابي للأستاذ الرائد عبدالقدوس الأنصاري.

وفي حفل الافتتاح تحدث **الأستاذ الدكتور عبدالله عبدالرحيم عسيلان** عن هذا الملتقى وأهميته، شاكراً لمعالي الوزير افتتاحه لأعماله ومنجزاته..

وتحدث عن هذا (الملتقى) مسماه ونسبته إلى (وادي العقيق) وما يحمل من رمز عميق بكل مدلولاته.. وتحدث عن اختيار الأستاذ الرائد عبدالقدوس الأنصاري وأعماله، واختياره ليكون أول شخصية محورية في هذا الملتقى مع تأكيده باستمرارية هذا الملتقى وتجدد فعالياته.

ومن بعده في جلسة الافتتاح تحدث **الأستاذ زهير بن نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري** رئيس تحرير مجلة المنهل، وعرض في كلمته للأستاذ الأنصاري المعلم والمربي في بيته وأسرته وأولاده وأحفاده، وأنه كان قريباً منهم حفياً بهم.. وتحدث عن علاقة الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري بالعاملين معه، فقد كانت علاقة حميمة بسيطة كرست بينهم قيم حب العمل والإبداع فيه..

وتناولت كلمته الجانب الإنساني والأبوي عند الشيخ عبدالقدوس الأنصاري.. وفي ذات الجلسة الافتتاحية تحدث **الدكتور محمد صالح الشنطي،** نيابة عن الباحثين، وركز فيها على مفهوم الاحتفاء بالرواد، فهم مشاعل الإنسانية، ورواد الحركة التنويرية، ويأتي اختيار الأستاذ الرائد عبدالقدوس الأنصاري ليمثل تجسيداً لهذا المضمون الإنساني السامي.. فقد أثرى الساحة الأدبية والعلمية والفكرية بما كتب من مقالات وبحوث ودراسات،





وزير الثقافة والإعلام يتصفح العدد الأول من "المنهل" ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م

واكتشافات أثرية.. كما أثرى الساحة بمؤلفاته المتعددة المتنوعة في العديد من ألوان المعارف..

وفي هذه الجلسة الافتتاحية تحدث الأستاذ الدكتور عاصم حمدان عضو اللجنة التحضيرية للملتقى، وقد ضمن كلمته الحديث عن المدينة المنورة وأثرها في الحياة الروحية والعلمية، وعدَّد عدداً من علمائها وأدبائها.. ثم تحدث عن الملتقى واختياره للأستاذ الرائد عبدالقدوس الأنصاري..

وفي هذا اللقاء الافتتاحي تأتي قصيدة الأستاذ **الدكتور محمد العيد الخطراوي** لتلقي على المحتفين مظلة روحانية كان لها وقعها الطيب على الحضور..

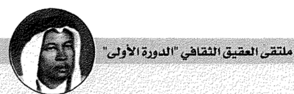
وكان الحفل الافتتاحي مناسبة طيبة لتكريم الروَّاد من أعضاء النادي الأدبي في المدينة المنورة.. وقد تسلموا دروع تكريمهم من الأستاذ إياد مدني وزير الثقافة والإعلام.. وكان ضمن المكرمين أعضاء اللجنة التحضيرية لهذا الملتقى..

وفي نهاية هذا الحفل الافتتاحي قُدِّم عرض (مرئي) للعقيق: موقعه وتاريخه، وعن الأستاذ الرائد الشيخ عبدالقدوس الأنصاري.. حياته ونشأته وأعماله..

وفاء بوفاء

المنهل تُكرِّم

وفي هذا الجوِّ التكريمي الرائع، كان للمنهل حضورها في تكريم من قاموا على إنشاء وتأسيس هذا الملتقى، ومن قاموا على تسيير وإنجاز فعالياته.. وكلمة الشكر أقل ما يبذل وفاءاً بوفاء..وانفاذاً لهذا فقد قام **الأستاذ زهير بن نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري** بتقديم الدروع والهدايا الرمزية، إذ قدم درعاً تذكارياً للأستاذ إياد أمين مدني وزير الثقافة والإعلام، ثم قدم مجموعة من



الدروع التذكارية لأعضاء اللجنة التحضيرية لهذا الملتقى، تسلموها من الأستاذ وزير الإعلام والثقافة..

كما قدمت المنهل درعاً تذكارياً إلى **مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة** تقديراً وعرفاناً لدورها التاريخي، ودعم مسيرة العلم والمعرفة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تسلمه مدير المدرسة **الأستاذ عدنان حبيب.**

على امتداد أيام الملتقى قدمت المنهل في قاعة الفندق عرضاً للصور والوثائق النادرة التي كانت بحوزة الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري.. وقد أعجب كل الحاضرين بهذا العرض، وأفادوا من محتوياته.. وقد اعتبره الكثير منهم مادة توثيقية يُرجع إليها..

وعلى امتداد أيام الملتقى وفرت المنهل للمشاركين والحضور عدداً من أعداد مجلة المنهل.. وعدداً من مؤلفات الأنصاري ومطبوعات دارة المنهل وُزّعت لكل الحاضرين.

أعمال وفعاليات الملتقى

في اليوم التالي من حفل الافتتاح (الخطابي التكريمي) بدأت الفعاليات الثقافية والفكرية للملتقى..

شارك في تقديم أوراق هذا الملتقى (اثنان وثلاثون) باحثاً ودارساً -من الرجال والنساء- عرضوا لمجموعة وافرة من المحاور..

نماذج من أوراق البحث:

الجلسة الأولى من جلسات يوم الأربعاء ١٤٢٨/٣/٢هـ كان عنوان محورها (الحياة الثقافية والفكرية في المدينة المنورة وأثرها في التكوين المعرفي والأدبي للأنصاري..).

في هذا المحور تحدث الأستاذ الدكتور عزت عبدالمجيد خطاب.. والدكتور أنور ماجد عشقي.. وفي ذات الجلسة تحدث الدكتور محمد أبو بكر حميد وكان عنوان بحثه (عبدالقدوس الأنصاري وباكثير صفحات مجهولة من تاريخ الأدب في المدينة المنورة..)

الأستاذ الدكتور عزت خطاب في بداية بحثه تحدث عن المسجد النبوي الشريف ودوره في الحركة العلمية والثقافية والأدبية.. ودوره في الحركة الاجتماعية والاقتصادية والحربية.. وقدم سرداً تاريخياً لذلك حتى العهد السعودي سجل فيه كثيراً من الأسماء والريادات التي تأثرت بالحركة الدينية والروحية والعلمية في المسجد النبوي الشريف..

وسجل مجموعة من أسماء العلماء الذين وفدوا إلى المسجد النبوي من أنحاء دول العالم العربي والإسلامي وكانوا أعلاماً فيه بعلمهم وفضلهم..

ثم بعد ذلك تحدث عن المؤثر التعليمي المتمثل في الحركة التعليمية في المدارس الأهلية التي أنشئت آنذاك. وسجل أسماء مجموعة منها..

في المسجد النبوي الشريف، وفي المدارس الأهلية التي توافرت آنئذٍ، وفي المجالس العلمية التي كانت تعقد في منازل العلماء والمثقفين في كل ذلك تخرج جيل الرواد.. وكان منهم عبدالقدوس الأنصاري..

وتأتي جريدة (المدينة المنورة) التي أسسها الأخوان (علي وعثمان حافظ) وتأتي مجلة (المنهل) التي أسسها الرائد عبدالقدوس الأنصاري لتضيف زخماً جديداً لمضمون الحركة الفكرية والثقافية..

وساعد على إثراء الجو العلمي في المدينة المنورة وجود عدد من المكتبات الخاصة..

ويذهب في دراسته هذه إلى أن الشيخ محمد الطيب الأنصاري- عالم المدينة المنورة- كان له أثره الكبير في صقل الاستعداد الفكري عند عبدالقدوس الأنصاري.. ويقول عنه (ولقد تميزت مسيرة عبدالقدوس الأنصاري التعليمية والفكرية بالتطلع دائماً إلى ما هو جديد لمعرفته والاستفادة منه..) ويذهب إلى أن الأنصاري كان من رواد (منهج الانطلاق الفكري) ويظهر هذا جلياً في موسوعيته المعرفية.. وكان صاحب استعداد فطري للتحدي، وهذا يظهر في تحقيقه في الآثار، واكتشافه لبعض الآثار في المملكة.. وتحقيقه الموثق لطريق الهجرة النبوية الشريفة.. وتحديه الأكبر كان انشاء وتأسيس وتسيير مجلته المنهل رغم كل العقبات التي واجهته و(كان لصدور المنهل أثر بالغ الأهمية في تعزيز وتعميق الحركة الأدبية والفكرية في المملكة..) كما يقول الدكتور عزت خطاب في ورقته هذه..

أما ورقة الأستاذ الدكتور أنور ماجد عشقي فقد جاءت بنفس العنوان السابق (الحياة الفكرية في المدينة المنورة وأثرها في التكوين المعرفي والأدبي للأنصاري..).

قدم لبحثه بمقدمة لحياة الأنصاري.. وجاء فيها أن الأنصاري (كان يحمل إرادة التحدي والتفوق واتسمت حياته بالمنافسة مع الأقران، والكفاح في سبيل الأهداف..).

ويذهب إلى أن الرعاية العلمية والفكرية التي أولاها الشيخ محمد الطيب الأنصاري، للرائد عبدالقدوس الأنصاري كان لها أثرها في تفوق الأنصاري وتميزه على أقرانه.. ويرجع أيضاً سببا لذلك (عامل اليتم) إذ فقد الأنصاري والديه في



وزير الثقافة والإعلام يتفقد المعرض الذي أقامته المنهل وعلى يساره أ.د. عبدالرحمن الأنصاري وعلى يمينه رئيس التحرير

صغره.. هذا مضافاً للبيئة العلمية والفكرية التي كانت سائدة في المدينة المنورة آنذاك..

ويقول إن الأنصاري (ساهم في النهضة الثقافية ليس في المدينة المنورة وحدها بل في الجزيرة العربية والعالم العربي..).

وتحدث في بحثه هذا عن تأسيس الأنصاري لمجلته المنهل التي أصدر أول عدد منها بعد شهر واحد من تسلمه لخطاب الموافقة (مما يؤكد روح التحدي والتميز اللتين كان يتمتع بهما عبدالقدوس الأنصاري..) كما يقول..

ويؤكد الدكتور أنور عشقي على عشق الأنصاري للآثار، وتفانيه من أجلها فيقول (.. الأنصاري كان أول سعودي ألف في علم الآثار، وأول من وجه الأنظار إلى آثار المدينة المنورة..) وتحدث الدكتور عشقي في موضوع الآثار والأنصاري طويلاً، للرجوع إليه إفادة..

وفي خاتمة بحثه يقول الدكتور عشقي (لقد توفي رحمه الله تعالى مخلفاً بعده علماً وأدباً تعيش عليه الأجيال ويذكره الباحثون ويقتات عليه المثقفون، كما أن جهوده في الآثار فككت كثيراً من الرموز..)..

وفي خاتمة هذه الجلسة الأولى جاءت دراسة **الدكتور محمد أبو بكر حميد** وعنوانها (عبدالقدوس الأنصاري وباكثير.. صفحات مجهولة من تاريخ الأدب في المدينة المنورة..).

جاء في هذه الدراسة أن الشاعر الكبير علي أحمد باكثير وصل إلى الأراضي المقدسة قادماً من موطنه حضرموت عبر عدن في شهر ذي الحجة ١٣٥١هـ أبريل ١٩٣٣م. ووصل المدينة المنورة في العاشر من شعبان ١٣٥٢هـ، وبقي في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشهر..

وفي المدينة المنورة تعرف على عدد كبير من أدبائها، وكانت له معهم جلسات أدبية قيمة. وكان باكثير مكان الحفاوة والتقدير بينهم.. وكلهم رغب أن ينزل عنده، لكنه اختار أن يكون نزله في بيت عبدالقدوس الأنصاري.. كانا يتذاكران الشعر ويتدارسانه.. وجمعت بينهما صداقة عميقة خاصة امتدت بينهما حتى وفاة باكثير في سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

وخلال تلك الفترة الممتدة كانت بينهما مراسلات احتفظ الأنصاري بها في مكتبه.. كما احتفظ باكثير بمراسلات الأنصاري وبعض الأدباء في المدينة المنورة في منزله في القاهرة..

والتقى الباحث بالأستاذ عبدالقدوس الأنصاري في مكتبه في عام ١٤٠١هـ في مدينة جدة..

وقال: (وأهم ما أباح به لي الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري، أن مجلة المنهل كانت من ثمرات زيارة باكثير للمدينة المنورة إذ غرس باكثير في ذهن صديقه عبدالقدوس الأنصاري فكرة إصدار مجلة شهرية تصدر في الحجاز على غرار مجلة الهلال في مصر...)؟!!!

وهذه الجملة لنا فيها رأي بناء على مدونات الأنصاري نفسه.. ذلك لأن الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري قدم أوراق مجلته للتصديق عليها في عام ١٣٥٠هـ، أي قبل مجيء الشاعر باكثير إلى المدينة المنورة بعام كامل. والأنصاري كان يتباحث مع زملائه في إنشاء مجلة ثقافية أدبية منذ عام ١٣٤٥هـ.

وخلال الأشهر الثلاثة التي قضاها باكثير في المدينة المنورة كانت له مساجلات شعرية مرتجلة مع عدد كبير من أدباء المدينة المنورة، سجلها الدكتور محمد أبو بكر حميد في دراسته هذه.. والدراسة لاشك لها قيمتها الأدبية الرفيعة، ولها قيمتها التاريخية.. وقد أثارت جدلاً واسعاً بين

الحاضرين وبين الدكتور حميد..

الجلسة الثانية في اليوم الأول الأربعاء ١٤٢٨/٣/٢هـ كانت بعنوان (الأنصاري روائياً) وشارك فيها الدكتور سعيد السريحي- الدكتور محمد صالح الشنطي- د. محمد ربيع الغامدي- الأستاذ علي الشدوي والأستاذ سحمي الهاجري..

وكان مدار الأوراق كلها في هذه الجلسة حول رواية (التوأمان) للأنصاري.. وقد تعددت حولها الرؤى والأفكار، حسب الزاوية الفكرية أو الفنية أو المقصدية التي قرأها بها كل واحد منهم.. وإن كانوا جميعاً يتفقون على ريادتها..

وكان أول المتحدثين **الدكتور سعيد السريحي**، وقراءته لها أنها رسالة اجتماعية أخلاقية تربوية، لتعليم الناشئة وغرس مكارم الأخلاق في نفوسهم.. وذلك من خلال الرمز الوارد في اسمى التوأمين (رشيد، وفريد) ومن خلال ما ترمز إليه مفردات (التعليم الأجنبي) و(التعليم الوطني) ثم البعثات، وبخاصة إلى (فرنسا) وهي برغم أنها دولة أوروبية لكنها تحمل رمزية خاصة في مفهوم التحرر الخارج عن القيم..

أما الدكتور **محمد صالح الشنطي** فهو يرى في بحثه أن (التوأمان) تعد رواية رائدة في الأدب السعودي حققت بعضاً من شروط الرواية الفنية والتعليمية، وإن لم تخل من بعض خصائص الأدب الحكائي..

ويرى أن الأنصاري تبنى في (التوأمان) منهجاً تشكيلياً وصفياً رصد فيه حركة الشخصيات..

أما ورقة **الدكتور محمد ربيع الغامدي** فكانت حول استراتيجيات التأثير في خطاب الرواية، والمراوحة بين التسمية والإضمار والتوصيف..

ثم جاءت ورقة **الأستاذ سحمي الهاجري** ويرى في (التوأمان) إضافة إلى ريادتها وتقدمها الزمني، فهي تعد إضافة ثقافية رسخت قيماً أساسية وأصيلة في المشهد الثقافي المحلي. وهي بهذا المستوى قد مثلت زمانها ولحظتها الثقافية والسياسية والقيمية.. ويقول إن ريادة الأنصاري للرواية هي ريادة متميزة وثرية.. وهي ريادة ثقافية ومعرفية وتنويرية.. ويقول التوأمان تستحق أكثر مما كتب عنها حتى الآن..



إحدى جلسات الملتقى

الجلسة الثالثة

من يوم الأربعاء ١٤٢٨/٣/٢هـ وكانت بعنوان (مجلة المنهل ودورها في مسيرة الثقافة) وشارك في تقديم هذا العنوان الدكتور حسن الهويمل- الدكتور نبيل المحيش- الأستاذ محمد القشعمي- الأستاذ فهد الشريف- الأستاذ عبدالله

الوشمي- والدكتور يوسف العارف..

في هذا المحور كان أول المتحدثين **الدكتور حسن الهويمل**، وقد تحدث في ملخص ورقته عن (عبدالقدوس الأنصاري) العالم- الأديب- الشاعر- المؤرخ- الأثرى، وعن مجموع مواهب الكتابة عند الأنصاري.. وهو يعتبر أن الأنصاري من خلال ما كتب يعتبر مثقفاً شمولياً، وليس عالماً متخصصاً. وإن كانت معارفه تتسم بالعمق والإحاطة.

ويقول: والمتابع لاهتمامات الأنصاري يقطع بأنه عالم مع العلماء ومثقف مع المثقفين، وأديب مع الأدباء، وهو بهذا الشمول متعدد المواهب والقدرات..

أما عن مجلة المنهل التي صحبها الأنصاري خمسين عاماً ثم قام عليها ابنه ثم من بعده حفيده، وهي الآن فوق السبعين عاماً من عمرها المديد بإذن الله تعالى، هذه المجلة عدَّها الدكتور الهويمل أهم مرجع يرجع إليه في تسجيل الحركة الثقافية والفكرية والسياسية في المملكة..

وهي في رأيه جديرة بالرجوع إليها فإنها تحمل بين صفحاتها علماً وأدباً وثقافة..

وفي بداية حديثه تحدث الدكتور الهويمل عن تجربته الشخصية مع الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري، وأنه قد أخذته فورة الشباب على التحامل والشدة على الأنصاري، وكان الهدوء والرزانة طابع الأنصاري، وما كان منه إلا الرجوع للحق.. وتابع نشر بعض أعماله في مجلة المنهل..

أما **الأستاذ محمد عبدالرزاق القشعمي** فقد قدم ورقة بعنوان (عبدالقدوس الأنصاري صحافياً..) وفيها تحدث عن البدايات الصحفية للأنصاري، ثم نشره بعض أعماله ومشاركاته في العديد من الصحف والمجلات العربية التي كانت سائدة آنذاك.. ونشره لكثير من مقالاته في الصحف المحلية.. ثم يأتي انشاؤه لمجلته المنهل ليمثل زخماً جديداً وإضافياً لكتابات الأنصاري، تنوعاً موضوعياً.. وعمقاً في المضمون..

جانب من الحضور في إحدى جلسات الملتقى

وتحدث عن المنهج الذي اتخذه الأنصاري لمجلته المنهل، وأحاطه بها والتزم به.. وهو منهج ينحو نحو الموضوعية بعيداً عن الإسفاف المعهود في بعض الوسائل الصحفية..

وقال إن الأنصاري في مجلته المنهل اتبع أسلوب (الاستفتاءات) حيث كان يطرح موضوعاً من الموضوعات التي يرى أهميتها، ويتلقى حولها إجابات الأدباء والمختصين وينشرها في المنهل.. وكذلك كان يقيم الندوات واللقاءات في المنهل..

وتناول بالحديث ما يعرف بـ (أوليات المنهل) أو بالأحرى (أوليات الأنصاري) وهي أفكار

ومقترحات كان للمنهل والأنصاري فيها السبق..

وتحدث أيضاً عن فترة رئاسة تحريره لجريدة (أم القـــرى) فـي مـكـة المكرمة، ودوره الواضح في التجديد فيها موضوعاً وأسلوباً..

أما **الدكتور يوسف العارف** فقد ركزت ورقته على (المقال الافتتاحي) للأستاذ عبدالقدوس الأنصاري محاولاً التعرف على منهجية الخطاب الثقافي عند الأنصاري. والتعرف على أوليات الريادة الثقافية عنده، وكل هذا مقرونا بالبيئة الثقافية والفكرية التي كانت سائدة في المدينة المنورة.. ولا ينسى في حديثه الإشارة إلى عملية (اليتم) التي عايشها الأنصاري، وذلك في محاولة لاستخراج بعض الدلالات الرابطة بينها وبين معطياته الثقافية والفكرية..

وخلص في ورقته هذه إلى أن الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري كان رائداً ومثقفاً تنويرياً له القدرة على التفاعل مع عصره ومحيطه..

الجلسة الرابعة من جلسات يوم الأربعاء ١٤٢٨/٣/٢هـ، كانت بعنوان (الأنصاري وسجالاته الأدبية والفكرية)..

والمشاركون في هذه الجلسة هم: الدكتور محمد رجب البيومي- الدكتور صالح زياد- والأستاذ السماني كمال الدين..

المفارقة في هذه الجلسة أن المتحدثين الثلاثة فيها لم يتحدث واحد منهم عن (السجالات الأدبية والفكرية) التي تمت بين عدد من الرواد في تلك الفترة، ومن بينهم عبدالقدوس الأنصاري.. وتلك السجالات - إذا استبعدنا سجالات التهاتر والتنابز منها- فإنها شكلت اثراءاً حقيقياً للحركة الأدبية والفكرية والعلمية آنذاك..



د. صالح زياد أثناء طرح ورقته وبجواره أ.د. محمد العيد الخطراوي

جاءت ورقة **الدكتور صالح زياد** لتطرح منهجية الأنصاري في جانبي (اللغة) و(الآثار).. وكان حديثه عن منهجية الأنصاري للغة، هو الأعمق والأوفر.. وإذا كانت اللغة عند الأنصاري تمثل عشقه، فهي عشق لبناء الأمة.. يقول الدكتور صالح في ورقته (لقد كان عشق عبدالقدوس الأنصاري للعربية، وعناء اشتغاله الدؤوب على إرثها وواقعها، وتصديه للدفاع عنها دلالة واضحة على موقف حضاري وثقافي لا ينفصل عن دلالة اشتغاله - إجمالاً- بلوازم الذات العربية في حقول الآثار والتاريخ والإعلام والأدب..).

ويقول: (لم يكن الاهتمام بالعربية لدى عبدالقدوس الأنصاري اهتمام معلم نحو وبلاغه تسره فصاحة المتحدثين والكتاب لغوياً بل هو

اهتمام المفكر النهضوي الذي تعني اللغة عنده الوعاء الثقافي، والمنظار الذي يتحدد به التفكير والرؤية للعالم).

ويقول: (ولا تظهر رؤية عبدالقدوس هذه في سياق تقريري بارد وإنما في سياق صارخ يتدفق كالحمم في مواجهات وردود على من يقرأ لديهم شيئاً من الاستهانة بالعربية..).

أما ورقة **الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي،** فقد جاءت حديث معايشه ومعاينة ومحادثة.. فقد ذكر فيها بعض المواقف العلمية والأدبية للأستاذ عبدالقدوس الأنصاري، وذلك في فترات وجود الأنصاري في مصر، وقد جمعته المجالس الأدبية والعلمية مع كثير من العلماء والأدباء..

ومن ضمن ما ذكر أنه في إحدى مجالس الأديب الرائد محمد سعيد العمودي جرى الحديث في مسألة فقهية، واستأذن الأنصاري في الحديث، يقول الدكتور رجب البيومي كان عبدالقدوس الأنصاري يتحدث كأنما يقرأ من كتاب.. تتدفق منه المعلومات متتالية متسلسلة كما يتدفق مجرى الماء.. ويقول: كذلك كان الأنصاري في كثير مما استمعت إليه فيه.. كان عميقاً دقيقاً.. تجرى المعلومة على لسانه في يسر وسهولة، وفي أدب رفيع غاية في التهذيب والأدب..

أما ورقة **الأستاذ السماني كمال الدين** فقد كانت بعنوان (القيمة الموضوعية للمقال السياسي عند الرائد عبدالقدوس الأنصاري).. وجاءت ورقته هذه ملخصاً لدراسة أوسع..

بدأ حديثه بقوله (....على قدر ما كتب الكاتبون والباحثون لم يجاوزوا الكتابة والحديث عن الأنصاري: الأديب- العالم- اللغوي- المؤرخ- الأثري- الصحفي- ولكني أحسب أن عنوانين عند الأنصاري لم يجدا حظهما من الدراسة والبحث: العنوان الأول يمكن تسميته بـ (المقال السياسي عند الأنصاري) - والعنوان الثاني يمكن تسميته بـ (مقال النهضة والتنمية عند الأنصاري..) وقد كتب في الاثنين بعمق وموضوعية كما كتب في كل ما اشتهر بين الدارسين الكتابة فيه..).

وذهبت الورقة إلى أن الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري كان متابعاً للأوضاع السياسية في العالم العربي والإسلامي، وكان قارئاً ذكياً لمجريات الأحوال، وفي مجلته المنهل سجل بالمقال السياسي التحليلي، وبالصورة الناطقة، كل مجريات الحركة السياسية آنذاك..

وكان شديد الحرص على كشف مخططات الاستعمار، والتحذير من التبعية.. تحدث عن اليهود والصهيونية والشيوعية ومخططاتهم



أ. السماني كمال الدين أثناء طرح ورقته

الاستعمارية وكتب عن السياسة العالمية في أهم محاورها.

كان يرى ضرورة الأخذ بأسباب القوة في كل مناحيها (القوة العسكرية والقوة الاقتصادية) وتأتي القوة السياسية تبعاً لهما..

ومن عناوين مقالاته السياسية (واقع العالم العربي والإسلامي)- (منطق القوة)- (جرذان الإنسانية)- (الوحدة الأوروبية والوحدة الإسلامية)- (طريقنا إلى المجد)..

وفي عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م كتب الأنصاري مقالاً يدعو فيه بصراحة وقوة إلى امتلاك الذرة (...اصنعوا لنا الطائرة النفاثة- والغواصة الذرية، وابتنوا الأفران الذرية الهائلة، وأفلقوا الذرة، واصنعوا القنابل الذرية والهيدروجينية وغيرها..).

وتذهب هذه الورقة إلى أن الأنصاري دعا إلى مقاطعة إسرائيل اقتصادياً ومقاطعة كل الشركات التي تتعامل مع إسرائيل وهذا المقال كتبه في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.. أي في الأعوام الأولى لقيام إسرائيل..

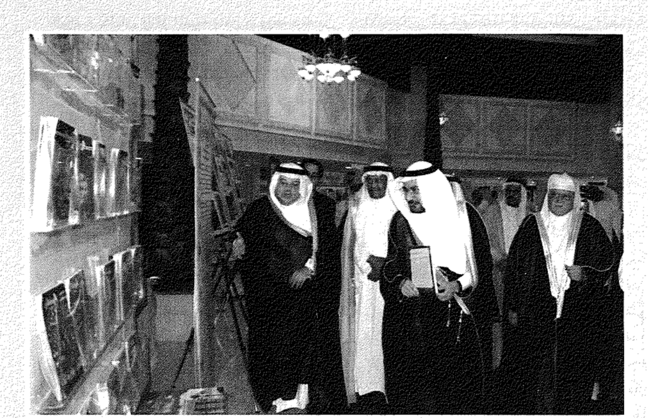
أما الجلسة الخامسة في اليوم الأول للملتقى الأربعاء ١٤٢٨/٣/٢هـ فقد كان محورها الأساسي (الأنصاري مؤرخاً وآثارياً).. وتحدث في هذا المحور.. الدكتور سعد الراشد- الدكتور عبدالباسط بدر- الدكتور صالح الغامدي- والأستاذ صالح المطيري..

أ.د. عبدالرحمن الأنصاري يحكي تجربته مع (المؤسس عبدالقدوس الأنصاري رحمه الله) وعن يمينه الأستاذ محمد الدبيسي

الدكتور سعد الراشد جاءت ورقته مركزة على المؤلفات والكتابات التاريخية والأثرية للأستاذ الأنصاري، وركز في حديثه على كتاب (آثار المدينة المنورة) للأنصاري باعتباره أول كتاب عن (آثار المدينة المنورة) بذل فيه الأنصاري جهداً كبيراً، إذ حقق الأماكن بنفسه، وحدد مواقعها وتاريخها، وسجل بعضها بالصورة، وكان للأنصاري الريادة في هذا الاتجاه، كما كانت له أوليته وريادته في الحديث الآثار، واكتشافها، والبحث عنها والدعوة المتواصلة للاهتمام بالآثار وتدوينها..

وأكد الدكتور سعد الراشد دراسته هذه بعرض مرئي لعدد من الآثار ومواقعها، وأكد دور الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري في الدفع بحركة الآثار ودراساتها خطوات متقدمة.

أما **الدكتور عبدالباسط بدر**، فقد أكد في ورقته الدور الريادي الفاعل الذي أسسه الأستاذ الأنصاري في البحث عن الآثار، وإظهارها وتبينها



وزير الثقافة والإعلام أمام الإصدارات الخاصة لدارة المنهل وفي الصورة د. عاصم حمدان ود. عبدالله عسيلان ورئيس التحرير

في وقت كان مثل هذا الحديث يعتبر من الممنوعات، وذلك لما كان يحيط بالآثار ومتعلقاتها من خشية بالتبرك بها والتعلق بها.. ولكن الأنصاري برغم ذلك الجو المتحفظ كان شديد الحرص على البحث عن الآثار وتدوينها، ومنهجه في ذلك أن الأثر هو التاريخ (المنظور) وهو مدعاة لتصحيح التاريخ المكتوب المقروء.. وتدعيم صحة الصحيح منه.. وكان للأنصاري منهجه الخاص في الآثار إذ الآثار عنده إضافة إلى أنها قيمة تاريخية، فهي أيضاً قيمة تربوية، وسياحية واقتصادية فالآثار عند الأنصاري ليست مجرد حجارة أو هياكل بشرية بل هي أكبر من هذا الفهم.. إذا أحسنت دراستها بأسلوب علمي حضاري يستخرج مكنوناتها..

الدكتور صالح الغامدي جاءت ورقته لتمثل قراءة لـ (الرحلة في كتابات الأنصاري من منظور أدبي) وجاء في حديثه أن الأنصاري كان محباً للرحلة عاشقاً للسفر، يدون رحلاته بدقة، ويسجل مشاهداته ومرئياته، يستقصي الحديث فيما ينبغي الاستقصاء فيه. ويسجل رحلاته في صيغة أدبية تشد القارئ لمتابعة القراءة– لذلك فإن الدكتور الغامدي يعتبر الأنصاري من أميز كتاب الرحلة آنذاك..

أما **الأستاذ صالح المطيري** فقد جاءت ورقته بعنوان (ملامح فن الرحلة عند الأنصاري).. وجاء فيها: إن كتابة الرحلة عند الأنصاري نجد فيها البعد الفني الوصفي الإبداعي، إلى جانب اهتمامه بالآثار في رحلاته إذ تمثل شاغله.. وعرضت

الورقة لكتاب (آثار المدينة المنورة) ووصفه من الجانب الفني..

وكانت جلسات يوم الخميس ١٤٢٨/٣/٣هـ ختام هذا الملتقى الثقافي الفكري.. **وجاءت الجلسة الأولى** بعنوان (الأنصاري مربياً ورائداً تنويرياً..) وتحدث فيها الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري- والدكتورة صباح عيسوى والأستاذة أمل زاهد..

الدكتور عبدالرحمن الأنصاري، كانت تجربته مع الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري تجربة معايشة لصيقة.. فقد كان قريباً منه، وكان بمثابة ابنه.. وكان الأستاذ عبدالقدوس يرعاه علمياً وتربوياً بعد وفاة والده الشيخ العلامة محمد الطيب النصاري. لهذا تأتي انطباعات الدكتور عبدالرحمن الأنصاري عن شيخه عبدالقدوس انطباعات حقيقية عاشها بنفسه ورآها..

الدكتوره صباح عيسوي كانت ورقتها بعنوان (النزعة الإصلاحية في فكر الأنصاري) وتركزت ورقتها حول قضية الإصلاح عند الأنصاري وهي فكرة جوهرية عنده يمكن رصدها بوضوح في أعماله الأدبية من (شعر وقصة ورواية) وفي مقالاته التي تنحو هذا المنحى وتتضح فكرة (الإصلاح) حتى في تعريفه للأدب إذ ليس الأدب عنده أداة لهو أو تزجية فراغ، وليس الأدب للأدب عنده أوالفن للفن، بل كل ذلك تكون غايته المثلى صياغة المجتمع باتجاه النفع والإفادة والإصلاح

وفي حديثه عن الحضارة الغربية فإن الأنصاري لا يرفضها باجمالها ولا يقبلها بإجمالها، إنما يأخذ منها ما يصلح لمجتمعاتنا ينميها، وينبذ منها ما هو دون ذلك.

وقد عرضت الفكر المتقدم للأنصاري في قضية صراع الحضارات، ومن المقترحات التي يراها الأنصاري لمجابهة هذا الغزو الفكري محاربة الجهل المتفشي في المجتمع، والانفتاح المتزن المتعقل على حضارة الغرب..

والأنصاري بهذه الآراء يتمثل الموضوعية المتعقلة في تزويد حركة التنمية في المجتمع بما عند الآخرين..

أما **الأستاذة أمل زاهد** فقد كانت ورقتها بعنوان (النزعة التوفيقية في خطاب المقالة عند عبدالقدوس الأنصاري..).

في هذه الورقة تقول الأستاذة أمل زاهد: (توفيقية الأنصاري ليست تلفيقية) بل هي (نتيجة أكيدة للانتخاب والانتقاء) عبر الحوار مع الذات، والتمسك (بالهوية والانتماء، والحرص على الأصالة) والبعد عن الشطط.. وهكذا طبع الأنصاري بناء على البيئة التي تربى فيها وبناء على فطرته وسجيته الهادئة البعيدة عن الانفعال غير المدروس، وتقول بأن الأنصاري كان (مدججاً بثقافة موسوعية واسعة واطلاع غزير).. (وهو يمزج بين أصالة القديم ومواكبة الحديث في توليفة جميلة يحاول فيها أن يحافظ على صلاح الهوية الإسلامية وملامح الشخصية العربية المعتزة بتاريخها وتراثها..).

لكل هذا نجد أن توفيقية الأنصاري ناتجة عن وعي بالذات ووعي بالآخر..

الجلسة الثانية في اليوم الثاني الخميس ١٤٢٨/٣/٣هـ كانت بعنوان (الأنصاري ناقداً) وتحدث فيها الأستاذ الدكتور بكري شيخ أمين والدكتور عالي القرشي والدكتور عبد الله الحيدري والدكتور عبدالله المعيقل

الأستاذ الدكتور بكري شيخ أمين بدأ الجلسة بورقة عنوانها (عبدالقدوس الأنصاري ومدرسة النقد الإسلامي).

حديث الدكتور بكري شيخ أمين اتفق مع حديث



الدكتور محمد رجب البيومي في أنه كان حديث مشاهدة ومعايشة لا حديث أسطر مستخرجة من الكتب.. تحدث عن الأنصاري الشخصية المسلمة المطبقة لإسلامها قولاً وعملاً.. سلوكا وتربية وأدباً.. ويقول: كان الأنصاري رجلاً صالحاً تقياً ورعاً.. وهذا السلوك كان طابعه المميز في أعماله كلها، ومنها (النقد الأدبي).. كان في نقده (موضوعياً) يلتزم الموضوعية ولا ينفذ أبداً إلى أي متعلقات شخصية بصاحب العمل الذي يدرسه دراسة نقدية.. وحتى إذا أسيء إليه في شخصه لم يكن يأخذ بردّ الفعل..

ولما كان منهج الأدب عند الأنصاري (إسلامياً) هدفاً وغاية، كان (نقده الأدبي) يخرج من ذات المشكاة أيضاً، ويكون تقييمه للعمل الأدبي بهذا الفهم.

كان بودنا أن نعرض ونعرِّف تعريفاً موسعاً بكل الأوراق التي قدمت في هذا الملتقى الرائع العظيم، لكن هذا ما استطعنا الحصول عليه من معلومات، ذلك لأن كثيراً من الأوراق التي قدمت لم يكن ممكناً الحصول عليها لعدم طباعتها أو تصويرها.

هذا الملتقى الثقافي لنادي المدينة المنورة، أولاً كان فرصة سانحة لاستعادة قراءة كتابات الأستاذ الرائد عبدالقدوس الأنصاري..

وقد أفاد الجميع منها.. ونشكر للإخوة الأكارم في النادي الأدبي للمدينة المنورة تسيير أعمال هذا المنتدى العلمي الفكري.. ونشكر كل الأساتذة الأجلاء الذين شاركوا فيه..

وهذا الملتقى كان فرصة للقاء هذه الجمهرة المتميزة من الأدباء والعلماء والمثقفين..

وكان فرصة لسماع آرائهم ومقترحاتهم التي جاءت مضمَّخة بموفور الحب والتقدير والوفاء للشيخ الرائد الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري، ولمجلة المنهل والقائمين عليها..

للجميع كل الشكر والتقدير..

ومن ضمن هذه المقترحات القيمة التي هي مكان تقدير ونظر دارة المنهل:

١ـ إصدار كشاف بكل أعمال الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري من أول عدد أصدرته المنهل وحتى آخر مقال كتبه..

٢ـ تصنيف أعمال الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري تصنيفاً موضوعياً.. والعمل على طباعة بعضها ليفيد منه الباحثون والدارسون والمثقفون بعامة.. بنفس ما تم في كتاب (إصلاحات في لغة الكتابة والأدب.) ذلك لأن كتابات الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري تعد مرجعاً موثقاً في كل مجالاتها لايستغنى عنها الدارس والباحث..

٣ـ العمل على استخراج مواد (الشعر) و(القصة) لكل الكتاب والشعراء الذين كتبوا في المنهل، وطبعها في كتب تساعد الدارسين والباحثين.

٤ـ الاستفتاءات والندوات المنشورة في المنهل، مواد لها أهميتها العلمية والفكرية، وهي تعكس طبيعة المرحلة آنذاك في عطاءاتها الثقافية والأدبية والسياسية.

٥ـ الوثائق الخطية التي عرضت في الملتقى لها أهميتها العلمية والتاريخية، نأمل جمع هذه الوثائق وطباعتها في كتاب..

٦ـ الكتب المخطوطة للأستاذ الرائد عبدالقدوس الأنصاري نأمل تحقيقها ومراجعتها وطباعتها في كتب.

لقـاءات وانطـباعـات مــع بعض الأدباء المشاركين في منتدى العقيق الأول بالمدينة المنورة



أجرى اللقاءات: عبدالهادي بلاسي - المنهل

حرصت المملكة العربية السعودية ممثلة في قيادتها الرشيدة على الاهتمام والعناية بعلمائها ومفكريها ومثقفيها، وأعطتهم جلَّ اهتمامها، لما يمثلونه من ركيزة هامة من ركائز تقدم وتطور هذا الوطن، بل هم البناة الحقيقيون لفكر وثقافة أبناء المملكة.

ويعد جيل الرواد من العلماء والأدباء والمثقفين جيلا متميزا، قدم الكثير من الوقت والجهد والعمل وبنى تراثا ثقافيا هاما يعد الآن مرجعا للباحثين وطلاب العلم.

واقتداءً بهذا النهج القويم والسنة الحسنة نرى مشاعل الضياء وهاجة في ربوع هذا الوطن الحبيب من جامعات وأندية أدبية وثقافية وصالونات علمية ومجامع فقهية وغير ذلك الكثير، كلها تحتضن أبناءها وتكرم علماءها.

تحرص المملكة العربية السعودية ممثلة في قيادتها الرشيدة على الاهتمام والعناية بعلمائها ومفكريها ومثقفيها

وفي غـرة شـهـر ربيع الأول سنة ١٤٢٨هـ وحـتـى الثـالث منه أقـام النادي الأدبي بالمدينة المنورة (ملتقى العقيق الثقافي) في دورته الأولى واختار الأستـاذ (عبد القدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية) موضوعا لهذا الملتقى.

وقد شرف حفل الافتتاح لهذا الملتقى معالي وزير الثقافة والإعلام الأستاذ إياد بن أمين مدني

ثم توالت جلسات الملتقى التي استمرت لمدة يومين وشارك فيها أكثر من ثلاثين باحثاً وباحثة بمشاركات متنوعة حول شخصية الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري ونتاجه الثقافي والأدبي.

وقد حضر الملتقى نخبة من العلماء والأدباء المميزين بخبرتهم الواسعة وعلمهم الغزير من المملكة العربية السعودية ومن عدد من الأقطار العربية الشقيقة وقدمت في الملتقى بحوث قيمة ودراسات تحليلية أعدها الأساتذة المشاركون وعرضوها على الحضور، وقد تميزت جلسات أعمال الملتقى بنقاش هادف وعميق ومثمر، مكن من إثارة أهم القضايا ومعالجتها من زوايا مختلفة، مما أنجح عمل المؤتمر وحقق أهدافه.



ونظراً لتنوع ثقافة الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري تنوعت جلسات هذا الملتقى على النحو التالي:

- الحياة الثقافية والفكرية في المدينة المنورة وأثرها في التكوين المعرفي والأدبي للأنصاري.
- الأنصاري روائياً.
- مجلة المنهل ودورها في مسيرة الثقافة.
- الأنصاري وسجالاته الأدبية والفكرية.
- الأنصاري مؤرخا وآثاريا.

وأثناء انعقاد هذا الملتقى كان لمجلة المنهل عدة لقاءات مع بعض من الأدباء والعلماء المشاركين في الملتقى سألناهم عن انطباعاتهم عن الملتقى وعن اختيار الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري ليكون موضوعا للملتقى وعن مجلة المنهل ودورها الرائد في مجال الصحافة والثقافة.

وها هي تلك اللقاءات والانطباعات ونبدأها بـ:

****

التجاوب الكبير من الباحثين والمشاركين في الملتقى فاق كل التوقعات) (د. عبدالله عسيلان)

الأستاذ/ الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان

رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي.

المنهل: ملتقى العقيق الثقافي في دورته الأولى، وموضوعه (عبد القدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية) كيف ترون هذا الاختيار وماذا يميز هذا الملتقى؟

■ إن انعقاد دورة العقيق الأولى بالمدينة المنورة ليكون موضوعها (عبد القدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية)، كان اختياراً موفقاً، بإجماع كل من اتصلنا بهم وعرضنا عليهم محاور هذا الملتقى، ووجدنا تجاوبا كبيرا، كنا نتوقع أن يكون التجاوب أقل مما حصل، ولكن الذي حدث أننا استكتبنا أربعين باحثا وباحثة فاستجاب منهم ثمانية وثلاثون باحثا وكتب كل في تخصصه. إن الأبحاث التي قُدِّمت في هذا الملتقى تناولت جوانب مهمة في حياة الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ـ رحمة الله عليه ـ



د. عبدالله عسيلان

وأعتقد أن هذه المناسبة كانت حافزا لكي يكتب عدد من الباحثين في جوانب مهمة ربما لم تبرز من قبل ولأول مرة تبرز في هذا الملتقى. فهناك أبحاث في هذا الملتقى تتسم بالجدة وربما تكون قد كتبت للمرة الأولى وهي أبحاث يكتبها باحثون مهتمون بالثقافة عامة وبالأدب وبالتاريخ وبالآثار خاصة.

ومما يميز هذا الملتقى (وكما يلاحظ من الحضور المكثف) أنه جمع عدداً من الباحثين في تخصصات متعددة.. ليس في الأدب وحده فقط ولكن أيضا في التاريخ وفي الآثار وفي النقد وفي الدراسات حول الرواية وحول القصة وفي الدراسات حول المجلات الثقافية.

فأنا أرى أن تعدد تلك التخصصات جاء نتيجة لتعدد الثقافات وتنوعها عند الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري موضوع ملتقى العقيق الثقافي الأول.

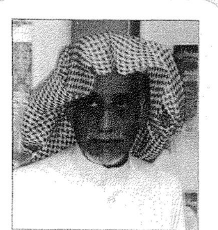
****

(الأنصاري لم يكن صاحب نظرية ربحية ولا دعائية بل كان عالما وأديبا ومفكرا) (د. حسن الهويمل)

الأستاذ الدكتور/ حسن بن فهد الهويمل

رئيس نادي القصيم الأدبي الثقافي - سابقاً

المنهل: سعادة الأستاذ الدكتور الهويمل نود معرفة انطباعاتكم عن هذا الملتقى وعن اختيار الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري ليكون موضوع هذا الملتقى؟


د. حسن الهويمل

■ لاشك أن أي تجمع ثقافي سيكون عائده إيجابيا، لأنه يجمع أطيافا متعددة من جميع أنحاء المملكة، ولأنه يعالج قضايا ربما تكون مُغيبة عن المشهد الثقافي وهي من الأهمية بمكان كعبد القدوس الأنصاري وجهوده العلمية والأدبية والثقافية والتاريخية والآثارية، وأيضا دور مجلة المنهل كمجلة علمية أدبية ثقافية واكبت الحركة العلمية والأدبية في المملكة العربية السعودية على مدى أكثر من سبعين عاما فهي تعتبر ملفاً لهذه الحركة، وإعادة قراءتها عبر مؤتمر أو عبر لقاء لاشك أن هذه الإعادة ستسلط الضوء على زوايا كثيرة من زوايا هذه المجلة المتعددة الاهتمامات والطويلة العمر بحيث إنها تعتبر سجلا لكل تحولات الأدب العربي في المملكة العربية السعودية وسجلا أيضا لكل الظواهر الأدبية والاتجاهات الثقافية ولكل النوابغ من الشباب وغيرهم.

ومن ثم فإن مثل هذا الملتقى لاشك ذو فوائد وعوائد كثيرة، فيه تجمع الأدباء وفيه يلتقون ويتناولون قضايا هامة في الحركة الأدبية سواءا ما كان منها في البدايات أو في مرحلة التأسيس أوفي مرحلة الانطلاق ومجلة المنهل واكبت كل هذه المراحل (مرحلة البدايات ومرحلة التأسيس ومرحلة الانطلاق) واكبت هذا برصد وبوعي أيضا.

وبالتالي فإن هذا اللقاء يعتبر من اللقاءات النادرة، ومن اللقاءات التي تحسب للمؤسسات الأدبية المتمثلة بالأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية.

المنهل: **الأستاذ الرائد عبد القدوس الأنصاري عرفناه لغويا وأديبا وشاعرا وروائيا وقاصا ومؤرخا وأثريا فهو يعتبر متنوع الثقافات فهل أثر هذا التنوع عنده على جانب على حساب جانب آخر؟**

■ إن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري يعتبر مثقفا، والمثقف هو الذي يأخذ من كل شيء بطرف، ومما لاشك فيه أن هذا التنوع انعكس عليه، لأنه وزع جهده في مواقع كثيرة.

لكنه وإن كان قد وزع جهوده وأوقاته على كل هذه المجالات إلا أنه حقق نجاحات كبيرة في كل هذه المجالات التي تطرق لها عبر جهوده الشخصية وعبر جهود مجلة المنهل التي هو العمود الفقري لها.

المنهل: **مجلة المنهل هي الوليدة البكر، للأستاذ عبد القدوس الأنصاري وهي بفضل الله تعالى الآن تجاوزت سبعة عقود من عمرها المديد ماذا يعني ذلك عندكم؟**

■يعني ذلك الإصرار ويعني الموقف ويعني التفاني ويعني الجهد للعلم ومن أجل العلم وليس من أجل الكسب المادي.

وأنا أعرف أن الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري - عليه رحمة الله - مرّ بضوائق مالية ولكن هذه لم تؤثر فيه، بل حاول أن يتجاوز هذه العقبات وأن يتحدى الظروف العصيبة التي مر بها. إذ لم يكن الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري صاحب نظرة اقتصادية ولا نظرة دعائية إعلامية بل كان عالما وكان أديبا وكان مفكرا ثقافيا وكان يحمل هذا الهم، ولا يمكن أن يحقق لهذا الهم نتائجه حتى تستمر هذه المجلة (مجلة المنهل) التي بذل لها كل جهده وكل ماله وكل وقته.

المنهل: **بعد مرور خمسة وعشرين عاما على وفاة الأستاذ الرائد/ عبدالقدوس الأنصاري يتم**



تكريمه في هذا الملتقى.. هل من مدلول على ذلك؟

■ لا.. ليس هنالك أي مدلول لكن هناك رؤى وإمكانيات. والأندية بدأت الفكرة جديدة، وبالتالي كان هو أول المكرمين. فليس التأخر عن تكريمه نتيجة تكريم غيره، ولكن نتيجة عدم بدء هذه الفكرة الرائدة والفكرة الإنسانية والفكرة الممتازة التي تعاد فيها قراءة أدبائنا الكبار الذين انتقلوا إلى رحمة الله.

** ** ** ** **

(الأنصاري يعد موسوعة علمية أصابت من مختلف العلوم) (د. حافظ المغربي)

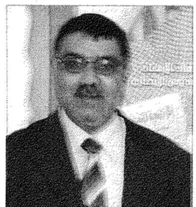
د. حافظ المغربي - أستاذ النقد الأدبي المشارك بجامعة الملك سعود

المنهل: **من وجهة نظركم ترى لماذا تم اختيار الأستاذ/ الأنصاري ليكون موضوعا لهذا الملتقى؟**

■ لاشك أن المملكة العربية السعودية تشهد حراكا ثقافيا متتاليا ومتتابعا فبالأمس كنا في مؤتمر عن رائد من رواد الحركة الثقافية في المملكة هو الأستاذ/ محمد حسن عواد وهو يمثل جانبا من المعارك الأدبية المثلى مع فارس ملتقانا هذا الأستاذ الرائد/عبد القدوس الأنصاري.

ولقد قلت في كتابي (تناقض الخطاب النقدي في كتابات المازني) إن المعارك الأدبية تثري وليس نتاجها في نهاية الأمر هو الخصومات وإنما توقفنا على الصراع الأيدولوجي والفكري الذي كان بين الأدباء.

إن الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري كانت له كما كانت لغيره مواقف قد يبدو تفسيرها نقديا مزعجا أحيانا، فإذا كان مثلا الأستاذ/ محمد حسن عواد قد بدأ في كتابة أشكال الشعر بدأً من العمودي إلى شعر التفعيلة وانتهاءً بقصيدة النثر فإن الأستاذ/عبد القدوس الأنصاري - وهذه وثيقة مهمة جداً ولا أدري كيف غابت عن كثير من المتابعين - بدأ بكتابة الشعر المنثور والأغرب أن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري سكت عن كتابة الشعر المنثور وارتد ردة كبيرة في ذلك وأصبح لا



د. حافظ المغربي

يرى من الشعر إلا الشعر الموزون المقفى وبدأ يهاجم الشعر غير العمودي.

إن الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري عنده كنز مطمور وهو مجلة المنهل وخاصة الأعداد الأولى منها. أنا أعتقد أن هذه المجلة وغيرها كثير في وطننا العربي تعد كنوزا مخبوءة للدارسين.

فأنت تستطيع أن تقع على منظومة نقدية عند عبدالقدوس الأنصاري من خلال ما كان يقدمه في تحليل شاعرية كثير من الشعراء الذين انتقلوا إلى رحمة الله تعالى في الفترة السابقة ولم نعد نسمع عنهم شيئا من أمثال الشيخ عبد الحق العثماني ومن الشعراء الباقين بيننا الآن ومنهم الشاعر الكبير في هذا الوقت الأستاذ أحمد عبد الجبار كل تلك الأسماء نجدها الآن في كنز اسمه مجلة المنهل.

لذلك أنا أدعو من خلال مجلة المنهل إلى أن يعاد طبع هذه الأعداد وتسويقها في أنحاء الوطن العربي.

المنهل: **يعتبر الأستاذ/عبد القدوس الأنصاري رائدا من رواد الحركة الثقافية في المملكة العربية السعودية في اللغة وفي الأدب وفي التاريخ وفي الآثار وصاحب أول رواية سعودية وهي (التوأمان) وغير ذلك الكثير.. في رأيك هل التنوع الثقافي عند**



الأستاذ/ الأنصاري ساهم في ريادته العلمية والثقافية؟

■إن هذا السؤال غاية في الأهمية، إذ نحن في الوطن العربي ومع شخصية متنوعة الثقافات مثل الرائد الأستاذ/عبد القدوس الأنصاري أمام أمرين وهما يعدان سلاحا ذا حدين، إما أن تكون هذه الموسوعية نوعاً من الدعاية الإعلامية أو نوعاً من الإلمام من كل علم بطرف على طريقة ما قاله العقاد (مرقعة الدراويش) وإما أن يكون الإنسان مُلماً بكل هذه الأشياء نتيجة مقروء زائد وعبر سنوات طويلة يفرز هذا المقروء ما يمكن أن يتفق كثير من الباحثين على جودته.

أنا أعتقد أن الأستاذ/ عبدالقدوس الأنصاري - عليه رحمة الله - قد أصاب من كل هذه الثقافات المختلفة بطرف يضعه إن لم أكن مبالغا في حد المعقول.

فيمكن أن يقول نقاد الأدب إنه ناقد، ويجعل الشعراء يقولون إنه شاعر، ويجعل علماء الآثار يقولون إنه أثري وهكذا..

بلا شك.. إن الموسوعية الآن ليست كالموسوعية التي عرفناها عن الجاحظ وعرفناها عن السلف السابق.

فأنا أعتقد أن عبد القدوس المفكر يأتي في مرتبة أعلى من عبد القدوس الشاعر. وعبد القدوس الشاعر رأينا منه شعرا عاديا وإن كان يسري في النثر الرومانسي لا يتجاوزه. رأيناه رجلا يحترم نفسه حين شعر أن مرحلة الشعر قد انتهت في حياته توقف عند ديوان الأنصاريات.

وحين وجد أن الرواية لن تسعفه في تكنيكها الجديد توقف عن الرواية، واكتفى أن يكون رائدا في كل هذه المجالات، وأعتقد أن هذا شيء مطلوب من إنسان يحترم نفسه الآن، يعرف متى يؤخذ من كلامه ومتى يرد.. متى يقف ومتى يستمر.

يكفي الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري أنه ورَّثَ علمه لابنه ثم لابن ابنه و نرجوا أن يستمر هذا في سلساله، ويكفي ما قدمه عبد القدوس الأنصاري للمثقف العربي في كل مكان.

المنهل: **(مجلة المنهل) حلُم الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري الذي تحقق في مقتبل عمره واستمر حتى وفاته ومن بعد وفاته حتى الآن أكثر من سبعين عاما من عمرها المديد بإذن الله تعالى.. ما تعليقك؟**

■ بلا شك أنها منتج جيد.. بدليل أن هناك مجلات كثيرة في وطننا العربي لم تدم طويلا وأخرى شبه ميتة.. يعني جسد بلا روح.

إن لم تكن المجلة لها فلسفة ومنظومة في الاستمرارية من أقوى إلى أقوى فإنها سوف تفقد مصداقيتها.

والمصداقية هنا ليس بمعناها الضيق إنما المصداقية هنا (مصداقية فكر) بمعنى إلى أي مدى يمكن أن تتفاعل مثل هذه المجلات مع الحراك الثقافي الذي تشهده الحقبة الموجودة الآن وإلا لكنَّا كمن يحرث في البحر..!

****

كثرة محاور النقاش عن الأنصاري تحتاج إلى مؤتمرات لا إلى مؤتمر واحد ونحن في حاجة ماسة إلى التذكير بروادنا. (أ.د. منصور الحازمي)

الأستاذ الدكتور/ منصور الحازمي

(عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود سابقاً)

المنهل: **ماذا ترى في تكريم رواد الثقافة في المملكة العربية السعودية واختيار الرائد الأستاذ/ عبدالقدوس الأنصاري ليكون أول الرواد المكرمين بالمملكة؟**

■ أعتقد أنها بادرة جميلة ومهمة أن يُكَرَّم الرواد الأوائل، ويعرف ماذا قدموا طوال السنين الكثيرة الماضية، ولا سيما أن الأجيال الجديدة الآن– في الواقع ومع الأسف – لا تعرف شيئاً عن ماضيها، ولذلك شغلتهم اختراعات العصر الحديث مثل



الإنترنت والجوال والقنوات الفضائية وغيرها الكثير.

نحن في حاجة فعلاً إلى التذكير بهؤلاء الرواد الذين كافحوا وعملوا الكثير لرفعة بلادنا هذه.

والشيخ/ عبدالقدوس الأنصاري يعتبر في الواقع أحد الرواد المهمين جداً الذين أسسوا للصحافة وأسسوا لأشياء كثيرة جداً.

فمجلة المنهل مجلة مهمة جداً وعاشت فترة طويلة وأُسست في فترة مبكرة جداً بالنسبة لبلادنا.

والأنصاري كما ترى بالنسبة للمحاور الكثيرة التي نوقشت في هذا الملتقى وتناولت أعماله رأيناه أديبا وروائيا وشاعرا ومؤرخا وآثاريا ومربيا ولغويا وأشياء كثيرة جدا.

فلا شك أن ريادة مثل هذه الريادات تحتاج ليس إلى مؤتمر واحد وإنما إلى مؤتمرات كثيرة.

وأنا أعتقد أن هذا المؤتمر نجح نجاحا باهرا.. ويعد بداية طيبة

المنهل: ذكرتم أن البحوث المقدمة في هذا الملتقى تنوعت تبعا لتنوع ثقافة الأنصاري إلى أي حد أفاد الأنصاري بهذا التنوع؟

■ أنا أعتقد أن الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري كان مهتما بشكل خاص بالناحية اللغوية، وأيضا كان مهتما بالناحية الأثرية أو الآثارية القديمة فهو في الواقع يعتبر رائدا في تشجيع الكشف والتنقيب عن آثارنا القديمة.. فالذين يؤرخون لهذه الحركة الآثارية في المملكة يضعون الأنصاري في المقدمة أو من الرواد الأوائل الذين تنبهوا إلى ضرورة الالتفات إلى هذا الجانب في حياتنا، لأن الآثار هي ذاكرة الأمة، الأثر القديم هو ذاكرة الأمة وليس حجرا وليس صخرا وليس تمثالا فقط وليس كتابات فقط، وإنما هي في الواقع تعبر عن أجيال متعددة فلا بد أن نحرص على قراءتها وعلى الاستفادة منها وعلى الفخر بهذه الآثار التي توجد



أ.د. منصور الحازمي

في بلادنا وتؤرخ لأمة مجيدة مثل الأمة العربية في الجزيرة العر بية.

المنهل: مجلة المنهل تعد ذاكرة قوية للأحداث فما هو واجب المثقفين تجاهها؟ وماذا يعنى مفهوم (استمراريتها) من وجهة نظركم؟

■ أنا أعتقد أن مجرد الاستمرار لايكفي وإنما ينبغي أن يكون هناك تطور وهناك تغيير. وأنا أعتقد أن الأستاذ/ زهير نبيه الأنصاري رئيس تحريرها قد أشار في كلمته إلى ضرورة تكاتف العلماء والأدباء والباحثين لدعم المنهل علميا وليس فقط بالكلام.

فأنا أعتقد أن مجرد الاستمرار لا يعني الشيء الكثير وإنما ينبغي أن يكون مع الاستمرار التطوير المستمر وملاحقة الأشياء التي تستجد في العالم، نحن في سباق يلهث الإنسان معه بالنسبة للتطوير السريع جدا الحاصل في العالم الآن.

وأنا أعتقد أن قراء المنهل في هذا العصر ليسوا قراء المنهل قبل ثلاثين أو أربعين عاما، لأنه جدَّت أشياء كثيرة، وهذا مهم، ولا بد للمنهل أن تنتبه إلى هذا الزمن السريع المتغير، وأن تواكب هذه الأشياء التي تجد سواء في بلادنا أو في البلدان الأخرى مع الاحتفاظ بشخصيتها.

ملتقى العقيق.. يعتبر تكريماً ووفاء للأستاذ عبدالقدوس الأنصاري (د. أنور ماجد عشقي)

د. أنور ماجد عشقي

رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية والقانونية

المنهل: **سعادة الدكتور أنور عشقي ما انطباعاتكم عن هذا الملتقى؟**

■ إن الملتقى ولله الحمد جيد، وكان الإعداد الإعلامي له جيدا، بل والأبحاث التي قدمت في

د. أنور ماجد عشقي

جلسات هذا المؤتمر كانت متنوعة وثرية.

لم يكن الكثير يعرف بهذا العمق عن هذا الرمز من رموز الأدب والفكر والثقافة في المملكة الأستاذ الرائد/ عبد القدوس الأنصاري، ولكن هذا الملتقى الثقافي كشف عن الكثير من الجوانب المخبوءة في حياته.

وهذا يعتبر تكريماً ووفاء لهذا الرجل وإبراز فكره وقد كنت أتمنى أن يقدم الباحث فكراً عميقا لهذا الرجل ويوفيه حقه.. صحيح أنها أبحاث تعرضت وعرضت لفكره، ولكن كنا نريد أن نستخلص العمق الفكري والخط الفكري لهذا الرائد. ومع ذلك ولله الحمد فلقد كان الملتقى جيدا والحضور كان أكثر مما كان الجميع يتوقعون سواء أكان في الافتتاح أم كان في المشاركات والجلسات وهذا شيء يسجل للنادي الأدبي ولمجلة المنهل.

نطمع بمثقفينا اليوم أن يسلكوا مسلك الأنصاري في التسامح والانفتاح على الآخر (د. صالح زياد)

د. صالح زياد

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود

المنهل: **ترى أي شيء يشدك إلى الرائد عبدالقدوس الأنصاري..؟**

■ أنا أعتقد أن ملتقى العقيق حقق قيمة جوهرية للباحثين والأدباء، باعتبار أن موضوعه الأول هو شخصية الأديب الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري.



د. صالح زياد

عبد القدوس الأنصاري رائد من خلال علمه وأدبه ودأبه وبحثه، ورائد من خلال أخلاقه في ذاته التي ترقى بالثقافة إلى أعلى المستويات التي نطمع بأدبائنا ومثقفينا في هذه الأيام إلى أن يتخلقوا بها، وإلى أن يسلكوا سلوك أولئك الرواد فيما كانوا يتميزون به من أصالة ومن تسامح ومن انفتاح على الآخر ومن مرونة عقلية.

نحن في هذه الأيام نعيش ثقافة مأزومة بالتعصب مأزومة بالمعارك وبالأزمات المفتعلة.

وحين نعود بأذهاننا إلى الماضي سنجد أن الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري كان يعاني من بعض خصومه الذين كانوا يسلكون مسالك غير حضارية غير ثقافية وغير إنسانية تجاهه. فعبد القدوس الأنصاري عانى من هؤلاء الخصوم لكن



موقفه تجاههم كان موقف الواثق من نفسه، المتمكن من علمه، الذي يضرب أروع الأمثلة بأخلاقه ومُثله. كان يتجنب أن يرد عليهم بمثل ما يستخدمون من الألفاظ التي تجرح الأخلاق العالية، وكان يتجنب أن يرد عليهم، وكان يحاول أن يقتصر في ردوده معهم على الجوانب العلمية فقط.

أنا أعتقد أن ماتركه الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري من تراث يتمثل في هذه المجلة العريقة (مجلة المنهل). حفيده الأستاذ زهير الأنصاري ومن قبل ابنه الأستاذ نبيه الأنصاري يضربان أروع نموذج لما كان عليه عبد القدوس الأنصاري من توهج وحرارة امتدت في سلالة بنيه كتعبير عن أصالة المنبع وقوة العزيمة وحرارة الإيمان واليقين بما يفعلونه على مستوى الثقافة العربية ككل.

المنهل يسير بكفاح وجهد واضح وبيِّن، والمجلات الأدبية والثقافية دائما ليس لها مردود مادي، ولذلك أعتقد أن ما يقوم به الأستاذ/ زهير الأنصاري الآن من جهد ومواصلة عطائه لمجلته المنهل إنما هو جهد وجهاد عظيمين، يعكس إيمانه بما تركه له المؤسس الراحل الشيخ عبد القدوس الأنصاري - عليه رحمة الله -

أدعو الله عز وجل أن يوفق الأستاذ/ زهير بن نبيه الأنصاري إلى مواصلة جهده في مجلته المنهل.

أدعو الله عز وجل أن تستمر هذه المجلة لتكون نبراسا لما يخدم الأدب العربي واللغة العربية والأمة العربية بشكل عام.

****

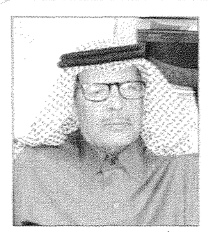
الأنصاري رائد بماله في ذاكرة الأجيال من سَبق ومن ريادة

(أ. عبد الرحمن المعمر)

الأستاذ /عبد الرحمن المعمر

أديب وكاتب سعودي

المنهل: أنتم ممن عاصرتم المنهل وصاحب المنهل الرائد الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري واليوم يتم تكريمه في منتدى العقيق الأول وأنتم من المشاركين في هذا الملتقى فما انطباعاتكم عن هذا الحفل الثقافي؟ وعن الرائد الأنصاري؟ وعن مجلته..؟



أ. عبد الرحمن المعمر

▪ نعم أنا عاصرت المنهل في أوائل الستينيات الميلادية والثمانينيات الهجرية ويسرني ويسعدني أن أحضر في هذا المؤتمر الذي سر كل قارئ للمنهل، وكل عارف بتاريخه العتيد، وكل من عرف الأستاذ الكبير/ عبد القدوس الأنصاري الكبير في خلقه، الكبير في تعامله، الكبير في عطائه.

هذا المؤتمر جدير بأن يعطي الأستاذ حقه، وقد أعطاه، والدليل على ذلك هي المحاور التي غُطيت من قبل الباحثين والباحثات، والأعداد الكبيرة التي حضرت من المشاركين ومن المستمعين والمتداخلين والمتداخلات.

فهذا فأل خير.. لأن الأستاذ الأنصاري ليس أديبا إقليميا فقط بل هو واسع في عطائه كسعة سُمعته وعلمه.

ولذلك نجد أدباء وعلماء قد شاركوا في هذا الملتقى من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها من مصر وسوريا.

وأينما تذهب تجد مجلة المنهل اسما وفكرا وذكرا.

وإن اختيار الأستاذ/ عبد القدوس الأنصاري موضوعا للملتقى يجب أن يكون لأنه رائد ومؤسس بما له في ذاكرة الأجيال من سَبْق ومن ريادة.

وانطباعاتي عن المنهل هوأن شعار المنهل الذي وضعه الأستاذ/ الأنصاري (إلى الأمام على الدوام) قد استمر هذا الشعار يأخذه جيل بعد جيل.. وإنما ينطبق على المنهل وعلى من ورث المنهل من بعد الرائد/ الأنصاري قول الشاعر/ إذا غاب منا سيد قام سيد.. قئول لما قال الكرام فعول.

هكذا الكبار في كل شيء كبار، كبار في فضلهم وفي عطائهم.

وقد سررت وفرحت بهذه التظاهرة الثقافية التي يستحق الأستاذ/ الأنصاري - رحمه الله - مثلها وأكثر.

والحمد لله هي كبيرة ككبر الأستاذ/ الأنصاري وعظيمة كعظمته وثرية كثرائه، والحمد لله أن يسر لي حضورها، فإن الوفاء سمة من سمات الأنصاري ووفاء أصدقاء الأنصاري يجب أن يستمر لأن الوفاء والإخلاص سَمْتٌ عظيم لا يقدر عليه إلا الرجال الكبار.

****

الأنصاري يستحق هذا التكريم، وقدَّره العلماء في حياته، وكرَّموه بعد وفاته (د. سعد الراشد)



د. سعد الراشد

د. سعد عبدالعزيز الراشد

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود

المنهل: من خلال مشاركتكم في هذا الملتقى.. ماذا تود أن تسجل؟

■في البداية أبارك للنادي الأدبي والثقافي بالمدينة المنورة هذه التظاهرة الثقافية الكبيرة (ملتقى العقيق) التي خصصت هذه الدورة للحديث عن الأستاذ/ عبدالقدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية.

كما أهنئ الأستاذ/ زهير بن نبيه الأنصاري والعاملين معه على إنجاح هذا اللقاء العلمي الكبير هنا بالمدينة المنورة.

والواقع أن الأستاذ/ عبدالقدوس الأنصاري يستحق هذا التقدير، ولقد كان كل المهتمين بالأدب والتاريخ والتراث والحضارة والثقافة في حياته يقدرون علمه وإنجازاته الكبيرة، وهاهو التكريم يستمر بعد وفاته.

إن الشيخ عبدالقدوس الأنصاري عالم جليل وأستاذ مفضال ترك عملاً ينتفعُ به كما ورد في الحديث النبوي الشريف، هذا العمل هو المنهل هذه المجلة الرائدة، وما ترك لنا من بحوث ودراسات، وما ترك لنا من إرث ومكاتبات ومخاطبات وسجل وثائقي وصور يمكن أن تشكل في مجموعها عملاً علمياً يوثق لتاريخ المملكة العربية السعودية وحضارتها وتراثها.

لقد عرفنا الأنصاري من خلال قراءتنا للمنهل وعندما كبرنا ودخلنا الجامعة عرفناه عن قرب، وعندما وجهنا بحوثنا ودراساتنا عن تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها وتراثها جاء التصاقنا بالأستاذ عبدالقدوس الأنصاري أكبر وأكثر، واستمر هذا الود وهذا التواصل حتى انتقل إلي الرفيق الأعلى.

إن هذا الملتقى العلمي الثقافي ناجح إلي أبعد الحدود وإن المشاركين فيه هم جلهم من تلامذة الرائد والأستاذ الأنصاري، وفاء له كان التكريم وحباً واخلاصاً من أحبابه وتلاميذه كان الحضور كثيفاً والمشاركات جيدة وعظيمة.

على هامش الملتقى

● كان الحضور الجيد من المشاركين والمستمعين هو السمة الظاهرة خلال جلسات الملتقى سواء من الرجال أو النساء.

★★★★★

● تعددت المداخلات من الحضور أثناء الجلسات وكانت كلها تنصب في توضيحات واستنارات ومناقشات حول فكر الأنصاري (رحمه الله) وكانت هناك مداخلات خارجة عن موضوع الملتقى حرص رؤساء الجلسات على استبعادها.

★★★★★

● كان التكريم ظاهرة لافتة للنظر في هذا الملتقى فقد حرصت مجلة المنهل على تقديم دروع تذكارية إلى وزير الثقافة والإعلام وإلى رئيس النادي وإلى أعضاء اللجنة التحضيرية للملتقى.. وكذلك قُدم درع تذكاري إلى مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة وفاء من مجلة المنهل لهذه المدرسة الرائدة التي كان الأنصاري أحد خريجيها وعمل مدرساً بها.

★★★★★

● حرصت مجلة المنهل على توفير الكثير من أعدادها السابقة وإصداراتها وكذلك كتب المرحوم الأنصاري ووزعت بشكل كبير على المشاركين والحضور.. ولا نغفل الصدى الطيب للمعرض الذي أقامته المنهل من خلال الملتقى، وقد عرض تاريخ تأسيس المنهل وكذلك عرضت نماذج من المجلة وإصداراتها وكتب المرحوم الأنصاري وعرضت مجموعة من الصور التاريخية لمراحل حياة المحتفى به، وصوره خلال لقاءاته برجالات جيله ورحلاته وانجازاته، العلمية والفكرية.

★★★★★

● على هامش الملتقى حرصت جامعة طيبة في تكريم المشاركين فقد أقام معالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور منصور النزهة حفل غداء خاص في حرم الجامعة للمشاركين وحرصت مجلة المنهل على تقديم هدية لمعالي المدير من بعض مؤلفات الأستاذ الأنصاري.

★★★★★

● كان حفل العشاء الذي أقامته أمانة المدينة المنورة في حديقة الأمانة للمشاركين في الملتقى وشَرَّفه معالي الأمين المهندس عبدالعزيز الحصين ورجالات الأمانة فرصة طيبة للحضور للراحة والاستجمام في جو مديني عليل.

★★★★★

● حرص الأستاذ الدكتور نايف بن هاشم الدعيس الأستاذ في كلية التربية وأحد أعيان ومثقفي طيبة الطيبة على تكريم المشاركين في الملتقى، وذلك خلال حفل الغذاء الكبير الذي أقامه في مزرعته العامرة وشرفه معالي وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة المهندس عبدالكريم بن سالم الحنيني.. وقد كرم الأستاذ الدكتور الدعيس مجلة المنهل في شخص رئيس تحريرها بدرع تذكاري في هذا الحفل.

★★★★★

● كما كرم اللواء الدكتور محمد بن صنيتان بن تمباك أحد أعيان المدينة المنورة المشاركين في الملتقى بحفل عشاء كبير..للجميع خالص الشكر والتقدير.

● قريباً سينشر نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي جميع البحوث التي ألقيت في الملتقى في كتاب ضخم من إصدارات النادي.

منهج للتخلص من أخطاء الوقف في القرآن الكريم



د. نصـــر عطـــواني - سوريا

هذا الموضوع عن فواصل الوقف والوصل في القرآن الكريم .. سجل فيه كاتبه د. نصر عطواني رؤيته العلمية حسب اجتهاده.. ولما كان هذا الموضوع على درجة من الأهمية فإن "المنهل" يسعدها أن تطرح هذا الموضوع لحوار المختصين حوله وإبداء رأيهم العلمي فيه.. وهذا بغرض توسيع دائرة العلم والمعرفة..

توجد في طبعات القرآن الكريم أخطاء في استعمال علامات الوقف. وهذه الأخطاء تكثر في بعض الطبعات وتقل في بعضها الآخر. وعلامات الوقف المستعملة في هذه الطبعات هي شأن إنساني حضاري يجب أن يكون خاضعاً للتصحيح، على عكس ألفاظ الآيات الكريمة، التي أنزلها الله تعالى وأمر رسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يحفظها ثم ينقلها إلينا، وأعلمنا بأنه سبحانه سوف يحفظها من كل تغيير أو تحريف حتى آخر الزمان. قال سبحانه: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}(الحجر: ٩).

إن علامات الوقف في القرآن الكريم هي موضوع هذه المقالة التي تهدف إلى لفت نظر الهيئات الإسلامية إلى ضرورة الاضطلاع بواجب التخلص من أخطاء الوقف والابتداء، وبواجب وضع منهج عام يؤدي إلى تحقيق هذه الغاية النبيلة.

الأدلة على وجود أخطاء في استعمال علامات الوقف في كثير من طبعات القرآن الكريم تشمل الاختلاف بين هذه الطبعات في أنواع علامات الوقف التي تستعملها كل طبعة منها في صفحاتها، والاختلاف في مواضع منع الوقف وفي مواضع الوقف، والاختلاف في نوع الوقف غير الممنوع الذي استعمل في كل موضع من هذه المواضع. إن وجود هذه الاختلافات الكثيرة هو دليل على وجود أخطاء في علامات الوقف. وإن التخلص من هذه الاختلافات مهم جداً لجماعة المسلمين كلها، لأن الوقوف الصحيحة في قراءة آيات القرآن الكريم ضرورية جداً من أجل فهم معاني الآيات الكريمة فهماً صحيحاً، ومن أجل استيعاب العلاقة المنطقية بين أجزاء كل جملة، وكذلك بين الجملة والجمل التي قبلها والجمل التي بعدها. وأما الوقوف المغلوطة فإنها تخل بالفهم، وتحول عقول القراء عن المعاني الدقيقة التي أرادها الله سبحانه إلى معانٍ تختلف عنها اختلافاً قليلاً أو كثيراً.

هذا التصحيح لأخطاء الوقف التي حصلت في طباعة آيات الذكر الحكيم يحتاج إلى لجنة من

الاختصاصيين منبثقة عن هيئة إسلامية كبرى، عن هيئة تلزم نفسها بمتابعة نشر التصحيح الذي تعتمده اللجنة، وبالتأكد من أن الناشرين في المستقبل سوف لا يغفلونه، وسوف يحصلون على موافقة جديدة لكل طبعة جديدة. لو كان الهدف هو اكتشاف أخطاء علامات الوقف فحسب واقتراح العلامات الصحيحة عوضاً عن العلامات المغلوطة، لما كان شرط تشكيل اللجنة المذكورة وشرط انبثاقها عن هيئة إسلامية كبرى شرطين ضرورين؛ إذ أن عالماً واحداً ممن آتاهم الله تعالى عمقاً في إدراك المعاني وشمولاً في الإحاطة بالعلوم القرآنية واللغوية لا يمكن أن يمتلك القدرة العلمية والتقنية اللازمة لإنجاز هذا التصحيح على خير وجه؛ ولكن قيام لجنة من الاختصاصيين بعملية التصحيح بدلاً من عالم واحد ضروري من أجل إغلاق باب المعارضة والمخالفة؛ هذا بالإضافة إلى أن نشر وتعميم حصيلة التصحيح في جميع المجتمعات الإسلامية يحتاج إلى هيئة إسلامية ذات نشاط واسع تتبناه وتتابع تنفيذه إلى أمد طويل. وينبغي أن تتعدد وتتنوع الاختصاصات التي يمتلكها أعضاء لجنة التصحيح، بحيث تشمل كل العلوم اللازمة لاختيار أرقى الحلول لمشاكل علامات الوقف في القرآن العزيز، وأهم هذه العلوم علم تفسير القرآن وعلم النحو وعلم البيان وعلم البلاغة وعلم المعاني وعلم دلالات الألفاظ وعلم اللغويات.

إننا لا ننكر فضل علماء تجويد تلاوة القرآن السالفين، وهم الذين قاموا بعملهم المخلص من أجل ضبط الوقف والابتداء، ولا ندعي أنهم لم يهدوا بذكائهم الممتاز قارئي القرآن الكريم إلى معانٍ دقيقة أبرزوها عن طريق اقتراحاتهم الصائبة في مجال الوقف. ولكننا لا يسعنا إلا أن نلاحظ أن بعض علامات الوقف في بعض طبعات المصحف الشريف تحتاج إلى إعادة النظر فيها من قبل لجنة من العلماء يشكلها المسؤولون عن هذا الشأن العام من شؤون المسلمين. وغني عن البيان أنه ما من مسلم عاقل يمكن أن يتصور عندما يقترح تصحيح أخطاء الوقف والابتداء في طبعات القرآن الكريم أن يطالب بالإضافة إلى ذلك بتغيير كلمة واحدة من كلمات هذا الكتاب العزيز الذي حفظه الله إلى الأبد من التحريف والتبديل.

أهمية قواعد النحو

إن معرفة قواعد نحو اللغة العربية معرفةً دقيقة وعميقة هي شرط أساسي في من يريد أن يتحمل مسؤولية وضع علامات الوقف الصحيحة في القرآن الكريم وفي غيره. ذلك لأن الوظيفة الأساسية لعلامات الوقف هي أن تبين التوافق والتساند بين التركيب المنطقي للجملة والتركيب النحوي. وهكذا فإن عملية اختيار مواضع الوقف واختيار علامة الوقف المناسبة لكل موضع من هذه المواضع مرتبطة بفهم التركيب النحوي للجمل: المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، والفعل والفاعل والمفعول في الجملة الفعلية، والتوابع والمتعلقات، والجمل التي لها محل من الإعراب، إلخ. وفي حالة الجملة المركبة من المهم تمييز الجزء الرئيسي عن الجزء الثانوي أو الأجزاء الثانوية من هذه الجملة المركبة، أي الأجزاء التي تصف الجزء الرئيسي أو تعدل معناه أو تعلقه بشرط معين؛ وعلامات الوقف هي التي تبين نوع العلاقة بين الجزء الرئيسي والأجزاء الثانوية من الجملة المركبة. إن إتقان التدرب على فهم هذه العلاقة بين النحو والمنطق وعلامات الوقف يزيد من قوة فهم المعاني ومن

سرعة القراءة الواعية عند القارئ العادي.

يجد قارئ القرآن الكريم في بعض المصاحف الشريفة أمثلة على غياب بعض قواعد النحو عن أذهان بعض الذين وضعوا علامات الوقف في تلك المصاحف، لأن الحسّ المرهف بجمال التركيب اللغوي الصحيح لا يفوته إدراك التوافق التام بين المنطق الصحيح والتركيب النحوي الدقيق، وبناءً على هذا الإدراك فإن صاحب هذا الحس المرهف من واضعي علامات الوقف هو الذي يستطيع أن يضبط تحديد نوع علامة الوقف وموضعها ضبطاً تاماً، وأن يجعلها متوافقة تمام التوافق مع التركيب النحوي القائم على المنطق السديد وعلى الترابط المنطقي القوي بين أجزاء الجملة، وهذا الضبط هو السبيل إلى توصيل المعنى إلى الأذهان توصيلاً متصفاً بالدقة والتنوير الذي يرضي اللّه تعالى.

أعطي مثالاً على هذا المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع في ضبط علامات الوقف: الآية ٢٨ من سورة الكهف. ففي طبعة المصحف الشريف التي يقرأها المسلمون أكثر من غيرها، وهي الطبعة المسماة "طبعة الحافظ عثمان"، توجد علامة وقف واحدة في وسط هذه الآية قبل الجملة الفعلية **{تريد زينة الحياة الدنيا}**، ولكن طبقاً للمبدأ الذي أوضحته في هذه الفقرة ينبغي أن تكون علامة الوقف الجائز بعد هذه الجملة الفعلية وليس قبلها، لأن هذه الجملة الفعلية تابعة منطقياً ونحوياً لفعل الجملة **{ولا تَعْدُ عيناك عنهم}**، إذ أن علامة الوقف ينبغي أن تكون بعد جملة **{ومن شاء فليكفر}** وليس قبلها، لأن الجملتين **{فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}** تشكلان وحدة منطقية واحدة معبرة عن انقسام البشر إلى مؤمنين وكافرين في طريقة تعاملهم مع الحق الذي يأتيهم من عند اللّه تعالى.

وقد نجد أحياناً أن الاختلاف في الوقف ناتج عن مخالفة لقاعدة من قواعد النحو الواضحة كل الوضوح، كما في طباعة الآية التالية: **{وكذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك، اللّهُ العزيزالحكيم}** (الشورى: ٣)، حيث نرى أن بعضهم قد وضع وقفاً تاماً قبل فاعل فعل الجملة، أي قبل اسم الجلالة. ووضعوا بنفس الطريقة علامة وقف تام تفصل الفاعل "رجال" عن فعله "يسبح" في الآيتين ٣٦ و٣٧ من سورة النور. ونجد أحياناً علامة وقف تام موضوعة بين الفعل والمفعول به، مثل: **{وما يُشعركم، أنها إذا جاءت لا يؤمنون}** (الأنعام، من الآية ١٠٩). إننا نعلم أيضاً أن المنطق والنحو لا يحبذان الوقوف بين جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط إذا لم يتوسط بينهما تركيب آخر أو أكثر، ولكن بعض الذين قاموا بتحديد الوقف والابتداء في المصحف الشريف فصلوا الآية ٤١ من سورة الكهف عن الآية التي قبلها بواسطة علامة وقف جائز على الرغم من أن الآية ٤١ هي جواب شرط لفعل الشرط الذي سبقها مباشرة في الآية ٤٠: **{إن ترنِ أنا أقل منك مالاً وولداً، فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقا}**. وفصلوا كذلك جملة فعل الشرط عن جملة جواب الشرط في الآية التالية: **{حتى إذا رأوْا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة، فسيعلمون مَنْ هو شر مكاناً وأضعفُ جنداً}** (مريم: ٧٦).

التعلق النحوي

تحصل أيضاً اختلافات كثيرة في علامات الوقف بسبب الاختلافات في تفسير طبيعة التعلق والوصل. إن واحداً من أنواع الوصل والتعلق في نحو اللغة العربية هو الاسم الموصول، لأنه يعود على اسم قبله ويتفق معه من حيث الإفراد والتثنية والجمع ومن حيث التذكير والتأنيث. والذي يهمنا هنا هو تأثير هذا الارتباط بين هذين الاسمين على

وجود وقف قبل الاسم الموصول أو عدم وجوده. إن بعض آيات القرآن الكريم تبدأ باسم موصول، وعندما يكون هذا الاسم الموصول مفصولاً عن الاسم الذي يعود عليه بكلمة أو بكلمات من كلمات الآية السابقة فإنه يغلب أن يكون ارتباطه النحوي والمنطقي بهذا الاسم ضعيفاً، وبالتالي فإن وجود وقف قبل مثل هذا الاسم الموصول يكون وارداً، ويكون منع الوقف الذي يقترحه بعض واضعي علامات الوقف خطأ في هذه الحالة. إن استعمالات الأسماء الموصولة تبين لنا أننا يجب أن نصنفها صنفين: أحدهما ذو ارتباط قوي بالاسم الذي يعود عليه، والثاني ذو ارتباط ضعيف بهذا الاسم. إن الاسم الموصول الذي تبدأ به الآية التالية منقطع نسبياً عن الاسم الذي يعود عليه، فينبغي أن يفصله وقف عن الآية التي تسبقه، وقد أخطأ من وضع قبله علامة منع وقف بدلاً عن علامة الوقف: **{الذين يُبَلِّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، وكفى بالله حسيباً}** (الأحزاب: ٣٩).

إن هذا الانقطاع القليل أو الكثير الذي يبرر الوقف موجود أيضاً بين الاسم الموصول وصلته من ناحية والجملة التي تسبقه من ناحية ثانية، فهو يستدعي أن يكون هناك بين الآيتين التاليتين وقف: **{قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً}** (الكهف: ١٠٤ و١٠٥)، وهو انقطاع نحوي ومنطقي يتكرر مرات كثيرة في القرآن الكريم، ويكون الأقرب إلى المنطق إضمار كلمة أو كلمتين قبل الاسم الموصول وصلته واعتبار الجملة جملة جديدة يحسن بنا الوقوف قبلها. ومن الأمثلة على هذا النوع من العلاقة بين الجمل الآية ١٤٠ من سورة النساء والآية ٨٠ من سورة يس والآية ٣٥ من سورة فاطر.

ومثل الاسم الموصول في انقسامه إلى نوعين: نوع شديد الاتصال بما قبله ونوع آخذ بقسط من الانقطاع المنطقي حروف وأدوات أخرى. من بين هذه الحروف والأدوات لام التعليل.فهذه اللام تكون في الغالب هي والفعل الذي معها واضحة الاتصال بفعل سابق لها وتبين أن الفعل الذي معها هو علة لحدوث الفعل السابق عليها. ولكنها تكون أحياناً ضعيفة الصلة بالفعل الذي قبلها، وفي هذه الحالة ينبغي أن يسبقها وقف وأن تقدر قبلها كلمة مضمرة أو كلمتان، كما في الجملة التالية: **{ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله}** (النور، من الآية ٣٨)، حيث يفضل أن تقدر كلمة "ذلك" قبل لام التعليل؛ وكما في الآية ٣٥ وفي الآية ٧٠ من سورة يس. ونقطة أخرى تتعلق بالوقف أو عدم الوقف قبل لام التعليل هي لزوم التفريق بين هذه اللام ولام الأمر. إذ يخطئ من يمنع الوقف قبل لام الأمر التي تأتي في بداية الآية إذا كانت الجملة التي تسبقها جملة إخبارية، وربما أنه يفعل ذلك لأنه يحسبها لام تعليل، لأن الانقطاع واضح بين جملة الأمر وجملة الإخبار التي قبلها على الرغم من وجود واو العطف قبل اللام، كما في الآية ٥٠ من سورة المائدة: **{وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه}**.

ونقول الشيء ذاته عن تأثير وجود واو العطف في بداية الآية القرآنية على مسألة الاختيار بين الوقف ومنع الوقف، إذ أن واو العطف التي تجيء في بداية الآية تعطف في الغالب جملة على جملة، وعندما يكون هذا هو نوع العطف فالأرجح هو أنه يأتي قبلها وقف، وأنه لا يجوز أن يُمْنَع قبلها الوقف كما لو كانت تعطف كلمةً على كلمة، ولكن هذا المنع هو ما اقترحه مَنْ وضع علامة المنع (لا) بين الآيتين ٣٥ و٣٦ من سورة مريم: **{ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه}**؛ كما اقترح منع الوقف أيضاً سبع مرات قبل واو العطف في بداية سبع من بين الآيات ٤١-٥٠ في سورة النجم، ومرتين قبل واو العطف في بداية اثنين من الآيات ١-٣ في سورة الأحزاب، وقبل الواو التي في بداية الآية ٢٢ من سورة الواقعة: **{وحور عين}**، مع أن حكم الاسم الذي يجيء بعد الواو في هذه الآية يختلف عن حكم الأسماء في الآيات التي تسبقها من حيث النحو، لأنه مرفوع

وتلك الأسماء مجرورة، وكذلك من حيث المنطق، لأن الولدان المخلدين لا يطوفون بالحور على المقربين في جنات النعيم. وأخطاء الوقف التي أذكرها هنا هي على سبيل المثال لا الحصر.

ومثل واو العطف حروف عطف أخرى في تأثيرها على الاختيار من قبل ضابطي تلاوة آيات القرآن الحكيم بين الوقف ومنع الوقف قبل الآية التي تبدأ بحرف عطف. فقد وضع بعضهم علامة منع الوقف بين الآيتين ٨٤ و٨٥ من سورة مريم، على الرغم من الانقطاع الواضح بين الجملتين من حيث المعنى ومن حيث التركيب النحوي، ظناً منهم أن (الفاء) التي في بداية الآية الثانية تربط كلمة مع كلمة: {**ألم تر أنَّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تَؤُزّهم أزّاً فلا تعجل عليهم، إنما نعد لهم عدا**}. كما منعوا الوقف أيضاً بين الآيتين ٣٩ و٤٠ من سورة النور، منعاً لا يقوم على أساس نحوي أو منطقي، مدفوعين إلى ذلك بالظن أن "أو" التي في بداية الآية ٤٠ تعطف كلمة على كلمة: {**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه، والله سريع الحساب أو كظلمات في بحرٍ لجيٍ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحابٌ**}، والوقف هنا قبل الآية ٤٠ وقف تام، والتقدير هو "أو هو كظلمات". وكذلك فاتهم أن "ثم" التي تبدأ بها الآية ١٢ من سورة الكهف لا تعطف هنا فعلاً ماضياً على فعل ماض، ولا سيما لأن الفترة الزمنية بين العملين طويلة جداً، ولأن نوع العمل الثاني هو ضد لنوع العمل الأول، وبسبب هذا الخطأ في التحليل النحوي وضعوا علامة منع وقف بين الآيتين: {**فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً**}.

إننا بهذه المناسبة ينبغي أن نتذكر أن علم نحو اللغة العربية يجب أن يتبع فصاحة القرآن وأن لا يتبع سيبويه أو أي نحوي آخر عندما تتعارض قاعدة من قواعد هؤلاء النحويين مع روعة التعبير القرآني، وينبغي أن نسأل إن كان كبار النحويين العرب المعاصرين قد أعطوا الأولوية التامة في مؤلفاتهم لهذا المبدأ الأساسي. إن إعجاز القرآن الكريم يشمل كل النواحي اللغوية، بما في ذلك ناحية صحة التركيب وقوة الأسلوب والفصاحة والبلاغة. قال الله تعالى: {**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**} (الإسراء: ٨٨).

يجب علينا أن نشير إلى هذه الأولوية في سياق كلامنا هذا عن علامات الوقف في القرآن الكريم لأن علامات الوقف كثيراً ما توصل إلى عقل القارئ معاني نحوية، ولهذا السبب يجب أن نهتم بأن يكون استعمال هذه العلامات صحيحاً وفي غاية الدقة. فعلى سبيل المثال، إن علامات الوقف الكامل، أي النقطة وعلامة الاستفهام وعلامة التعجب، تبين موضع انتهاء الجملة الكاملة، وإن الخطأ في تعيين موضع استعمالها يعني أن الكاتب أو الطابع يعطي للقارئ ما هو ليس بجملة على أنه جملة. ثم إن التمييز بين الجملة التقريرية أو الإخبارية والجملة الاستفهامية والجملة التعجبية عن طريق استعمال علامة الوقف الكامل المناسبة من بين هذه العلامات الثلاث في نهاية الجملة هو أمر مهم من أجل إعطاء المعنى الصحيح للجملة. وهناك علامات وقف أخرى كثيرة عدا العلامات الثلاث المذكورة، وكلٌ واحدة منها لها وظائفها الخاصة ومعانيها الخاصة.

الوقف والأسلوب البياني

وفي معرض كلامنا عن العلاقة بين علامات الوقف والتركيب النحوي للجملة ينبغي أن نذكر أيضاً أن الأساليب البيانية التي تستعملها اللغة لها دور أيضاً في هذه العلاقة. ذلك لأن هذين العنصرين من عناصر اللغة، عنصر النحو وعنصر البيان، غير مستقلين أحدهما عن الآخر، وإنما هما متداخلان، وعلامات الوقف المستعملة في كل جملة وفي كل فقرة تشكل عاملا من عوامل هذا التداخل فيما بين العنصرين. فقواعد نحو كل لغة هي

التقرير المنظم للكيفية التي تعمل بها تلك اللغة لكي تعطي حديثاً مفهوماً، ولكن علم البيان لتلك اللغة يهتم أيضاً بإعطاء الحديث المفهوم، وباختيار الكلمات أو بترتيبها ترتيباً جيداً في ذلك الحديث. فالنحو هو قواعد اللغة التي يجب أن تُراعى، ولكن مراعاة أساليب الفصاحة أيضاً، وهي الأساليب اللغوية التي تعتني بالأهداف الفكرية والعاطفية التي يرمي إليها الحديث، والتي تؤدي إلى قوة هذا الحديث، هي عنصر لغوي ضروري أيضاً، لأن مراعاة قواعد اللغة وحدها لا تكفي. وبناءً على هذه العلاقة الثلاثية فإن تغيير موضع علامة الوقف في الجملة يحدث تغييراً في معنى الجملة وفي قوة بيانها، وكذلك الحال أيضاً عندما تُستعمل واحدة من علامات الوقف المتعددة بدلاً من العلامة الصحيحة. وهذا التغيير قد يشمل إفساد وضوح الجملة وإضعاف قوتها البيانية والتركيبية.

الوقف والتركيب الصوتي

إن التركيب النحوي للجملة ومعه أسلوبها البياني مرتبط أيضاً بتركيبها الصوتي، الذي يتألف من النبرات الصوتية في لفظ كلمات الجملة ومن النغمات المختلفة في عباراتها ومن ارتفاع وانخفاض طبقة الصوت في قراءتها أو في تلفظ المتكلم بها في الكلام الشفوي. والتركيب الصوتي للجملة يقابله في كتابتها نظام علامات الوقف المستعملة فيها. وبما أن علامات الوقف تعكس جزئياً التركيب الصوتي الذي تتضح معالمه جيداً في التلفظ بكلماتها، وتعكس جزئياً تركيبها النحوي، وبما أن التركيب النحوي والتركيب الصوتي هما عماد المعنى فإن هذا يبين الأهمية الكبيرة لضبط الوقوف والابتداء في اللغة المكتوبة عموماً، وفي طباعة القرآن الكريم بوجه خاص، كلام الله الذي يلزمنا أن نفهمه فهماً عميقاً وأن نحفظه في أعماق قلوبنا وعقولنا. إن التركيب الصوتي مهم جداً في تحديد المعنى العام للجملة، وهو يأتي من حيث الأهمية في الدرجة الثانية بعد الكلمات ذاتها التي تتألف منها الجملة. إن معنى الجملة العام يمكن أن يتغير من غير إدخال زيادة أو نقصان على كلماتها، ومن غير تبديل ترتيب الكلمات أيضاً، وذلك بمجرد إدخال تغيير في درجة النغم أو طبقة الصوت، إذ أن هذا التغيير بحد ذاته كاف لتحويل معنى الجملة، مثلاً، من الإخبار إلى الاستفهام أو إلى الطلب، أو لتحويله من معنى الاستفهام إلى معنى تقديم اقتراح. وبما أن علامات الوقوف هي المؤشر إلى طريقة تشكيل التركيب الصوتي من عناصره الكثيرة، فإن الدقة الكافية في استعمال علامات الوقف في القرآن الكريم هي وسيلة هامة من وسائل الحفاظ على الجمال الصوتي الموجود في أسلوب كتاب الله العزيز، بالإضافة إلى توصيل معانيه السامية.

السياق وعلامات الوقف

من نافلة القول أن فهم معنى الجملة فهماً دقيقاً هو الذي تتحدد بموجبه مواضع الوقف ونوع كل علامة من علاماته. وفهم المعنى الدقيق للجملة لا يعتمد فقط على فهم معاني المفردات ومعاني أشباه الجمل وجمل الوصل وجمل الشرط وباقي الأجزاء الداخلة في تركيبها، وإنما يجب أن يشمل الفهم أيضاً معنى السياق الذي تشكّلُ تلك الجملة جزءاً منه. إن هناك علاقة معنوية بين الجملة والنص الذي يتضمنها مشابهة للعلاقة بين الكلمة أو شبه الجملة وبين الجملة التي تشكل الكلمة أو شبه الجملة جزءاً منها. ذلك لأن جمل الفقرة الواحدة تنظمها وحدة فكرية ومنطقية ويشملها تماسك يؤلف بينها. وهكذا فإن اعتماد الجملة في تركيبها وفي معناها وفي اختيار علامات الوقوف فيها على السياق يجعل من المهم جداً فهم السياق العام من أجل فهم الجمل التي يتألف فيها السياق فهماً دقيقاً. وإذا جعلنا اختيار علامات الوقف بين الجمل وعلامات الوقف في داخل كل جملة قائماً على أساس الفهم الدقيق للسياق العام فإن ذلك يشكل عاملاً هاماً من عوامل تجنب الأخطاء في

الوقف والابتداء. وهذا الشرط ينطبق على اختيار علامات الوقف في داخل آيات القرآن الكريم وفي نهاياتها.

إن بعض المغرضين من ذوي العقائد الفاسدة يزعمون أن أسيقة القرآن الكريم تحوي أحياناً أفكاراً غير متجانسة. ولكن الحقيقة هي أن أسيقة القرآن الكريم هي المثل الأعلى للتجانس وتساوق الأفكار وتكاملها وتواصلها وتأييد بعضها البعض. وإن الذي يجدر بنا أن نفعله من أجل استيعاب هذا التجانس والتساوق والتكامل بين أفكار السياق القرآني هو أن نتذكر أن القرآن هو كلام مالك السماوات والأرض ومدبر أقدار كل الآدميين، وأن الله سبحانه أراد من هذه الأسيقة القرآنية أن تكون للمسلمين دروساً في أخذ الشؤون الكبيرة الدنيوية والأخروية مأخذ الشمولية والترابط فيما بينها، ولذلك فإنه جعل المعاني والأفكار تتداخل أحياناً في السياق القرآني فيسري بعضها في إثر بعض حتى كأنها فكرة واحدة، مثل أفكار خلق الأكوان وخلق الإنسان ووجوب الإيمان وفرض العبادات والجهاد والصدقة والقدر والرسل والملائكة والأخلاق والحياة الروحية والجسدية ونظام الحكم والاقتصاد والحرب والسلام والعلاقات التاريخية. إن هذه المواضيع كلها ومواضيع كثيرة أخرى مترابطة ومتقاربة ومتكاملة عند الله تعالى لأن النظام الإلهي الكوني والإنساني الذي ينتظمها جميعاً هو نظام موحد، لأن صانعه إله واحد لا شريك له، وقد أراد الله سبحانه أن يكون الانتقال السريع من فكرة إلى فكرة من تلك الأفكار في السياق القرآني وسيلة لتوسيع أذهان الذين يتبصرون بهذه العلاقات وبهذا التكامل البديع بين أجزاء النظام الإنساني العام والنظام الكوني العام الذي أوجده الله تعالى. إن أصحاب العقول المريضة والعقائد الفاسدة هم الذين لا يريدون أن يفرقوا بين سياق من كلام الله هدفه الأساسي الوعظ والإرشاد والهداية وسياق من كلام البشر هدفه بيان موضوع معين محدود.

الإضمار

إن كلامنا عن أهمية فهم السياق من أجل فهم معنى الجملة ومن أجل تحديد أنواع ومواضع علامات الوقف في داخلها وفي نهايتها يذكرنا بمبدأ من مبادئ الأسلوب اللغوي عموماً والأسلوب اللغوي القرآني على وجه الخصوص، وهو مبدأ الإضمار. إن الإضمار هو شكل من أشكال اعتماد تركيب الجملة على السياق. إن الأسلوب القرآني يتميز بأنه أسلوب يتطلب من قارئ القرآن أن يظل متيقظ الذهن لجميع المعاني تيقظاً شديداً، بما في ذلك الكلمة أو الكلمات التي تضمر أحياناً، وذلك من أجل أن يحصل ذهن القارئ على المعاني الدقيقة التي أرادها الله تعالى. إننا كثيراً ما نلاحظ أن فهمنا لمعنى بعض الآيات يظل فهماً ناقصاً إذا لم نكشف الكلمة أو الكلمات التي أضمرت. ويكون الإضمار في الغالب في بداية الآية، ولكنه يكون في بعض الأحيان في داخلها أو في نهايتها. فمن الأمثلة على الإضمار في نهاية الآية أو المجموعة من الآيات المتصلة إضمار جواب القسم في نهاية الآية الخامسة من سورة النازعات، وهو {لتُبعثنَّ ولتُحاسبُن}.

إن الذي يهمنا في هذه الدراسة التي تتناول علامات الوقف في القرآن الكريم هو لزوم أخذ معنى السياق بالاعتبار في سعينا لفهم كل آية من آيات السياق ولزوم أخذ المعنى الدقيق للآية بالاعتبار في اختيارنا لعلامات الوقف وفي تحديدنا لمواضعها، وإن اكتشاف الإضمار هو إحدى الوسائل إلى ذلك. إن أخذ الإضمار بعين الاعتبار هو الذي جعل واضع علامات الوقف يقترح فصل الآية ٥ من سورة الصافات عن الآية ٤ بوقف، وفصل الآية ٤٦ من سورة المؤمنون عن الآية ٤٥، على سبيل المثال. وعندما نفهم من التلاوة أنه يوجد إضمار كلمة "قائلين" بعد الجملة الفعلية الأولى من الجمل الثلاث التالية، فإننا لا نقع في خطأ وضع علامتي وقف بين الكلمات الإحدى والعشرين التي تتألف منها هذه الجمل الثلاث، كما فعل بعضهم: **{والذين اتخذوا من دونه أولياء، ما نعبدهم إلا**

ليقربونا إلى الله زلفى، إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون} (الزمر، من الآية ٣). وإذا أضمرنا كلمة "فيُسألون" أو ما يسد مسدّها قبل "أكفرتم" في الآية ١٠٦ من سورة آل عمران فإننا نستغني عن الوقف غير الملائم للمعنى الذي وضع في بعض الطبعات قبل الفعل المذكور. وإذا أضمرنا فعلاً مناسباً قبل المفعول "ولوطاً" في الآية ٧٤ من سورة الأنبياء وقبل المفعول "وأيوب" في الآية ٨٣ فإننا نتجنب بذلك وصل هاتين الآيتين مع ما يسبقهما ومنع الوقف قبل كل منهما، على الرغم من أن اعتبار الاسمين المذكورين معطوفين على اسم مشابه لهما يعني عطفهما على اسم قبلهما بعيد جداً في السياق، وهو الاسم "إبراهيم" في الآية ٥١. وإذا أضمرنا كلمةً مناسبة أو عبارة مناسبة قبل كل من الآيات ٥٦ و٥٧ و٥٨ من سورة الزمر تربط المعنى العام لكل من هذه الآيات مع معنى الآيتين اللتين تسبقانها، فإننا نتجنب بهذا الإضمار خطأ وصل هذه الآيات الثلاث مع ما قبلها، لأن الوصل يعني وجود ربط نحوي بين "أن تقول" في كل من هذه الآيات وبين "وأنيبوا" "واتبعوا"، وهو ربط لا يؤيده معنى الآيات، ولا يساعد على جعل المعنى واضحاً كل الوضوح للقارئ العادي. وهذا ينطبق أيضاً على فعل الآية ٥٢ من سورة المائدة "وليحكم" وعلى المصدر الذي تبدأ به الآية ٨٨ من سورة الزخرف. وإذا أضمرنا فعل الشرط "إن تفعلوا" قبل جواب الشرط الذي تبدأ به الآية ١٢ من سورة الصف **{يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات}** فإننا نستغني عن منع الوقف قبل تلك الآية، وهو المنع الذي يجعل من جواب الشرط المذكور جواباً للفعلين المضارعين الواردين في الآية ١١ بعد تأويل معناهما بحيث يعطيان معنى فعل شرط أو معنى فعل أمر، وهذا التأويل أقل مباشرة من المعنى الحاصل من إضمار فعل الشرط في أول جملة الآية ١٢.

إن تعيين علامة الوقف تعييناً خاطئاً بسبب الغفلة عن وجود كلمة مضمرة أو عبارة مضمرة كثيراً ما يقع في تراكيب نحوية معينة، من بينها التركيب الذي يبدأ بكاف التشبيه. يكفي أن نضمر مبتدأ مناسباً، اسماً أو ضميراً، قبل كاف التشبيه التي هي خبره في التركيب، بدلاً من الظن بأن المبتدأ وارد في الجملة السابقة، وعندئذ لا تبقى هناك حاجة لمنع الوقف قبل الآية التي تبدأ بالكاف. إن الذي وضع علامات الوقف لطبعة المصحف الشريف المسماة "طبعة الحافظ عثمان" قد غفل أحياناً عن هذا الإضمار قبل الكاف، وبناء على ذلك منع الوقف قبل آيات كثيرة مبدوءة بكاف التشبيه، مثل الآية ٤٠ من سورة النور والآية ٥٣ من سورة الأنفال والآية ١١ من سورة آل عمران، مع أنه لم يغفل عن وجود إضمار في بداية التركيب النحوي نفسه في وسط الآية الأخيرة من سورة الفتح، فكان على صواب هناك إذ اقترح وقفاً قبل الكاف: **{كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ}**. إن هذه الأهمية الكبيرة لفهم الإضمار في تلاوتنا لآيات القرآن الكريم وفي طباعتنا لها تجعل من المستحسن أن تختار لجنة تصحيح الوقف المقترح تشكيلها علامة تدل على وجود إضمار، تطبع في كل موضع فيه إضمار، فتفيد القارئ في محاولته فهم معنى الآية. ولكن يجب أن لا يكون شكل العلامة التي يقع عليها الاختيار هو نفس الشكل الذي يستعمل في طباعة الكتب العادية وفي الكتابة (...)، لأن هذا الشكل يدل على أن الكلمات المحذوفة كانت موجودة في النص الأصلي فحذفها الكاتب أو الطابع استغناء عنها. وهذا التفسير للإضمار لا يجوز أن نتصوره

عندما نتكلم عن كلام اللّه تعالى، لأن كلمات اللّه وآياته القرآنية نُقلت وحُفظت في عهد الرسول صلى اللّه عليه وسلم كما سمعها الرسول صلى اللّه عليه وسلم من جبريل عليه السلام حرفياً. إن علامة وجود إضمار في طباعة آيات القرآن العظيم يجب أن تكون علامةً غير النقط الثلاث، ويجب أن تدل على أن الإضمار قد نزل من عند اللّه تعالى على قلب محمد صلى اللّه عليه وسلم مثلما نزلت كلمات القرآن الكريم.

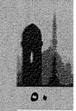
أنواع الوقف

إن عنصراً هاماً من عناصر ضبط الوقف والابتداء في تلاوة القرآن الكريم هو تحديد أنواع الوقف وتحديد عددها وتوحيد هذا التحديد في جميع طبعات المصحف الشريف. أما بقاء عدد هذه الأنواع خمسة في بعض الطبعات وستة أو سبعة أو ثمانية في طبعات أخرى فإنه أمر لا يليق بأمة القرآن، لأن القرآن الكريم ليس مثل باقي الكتب، التي يمكن التغاضي عن الاختلاف في الوقف والابتداء في قراءتها وفي طباعتها. لقد صنف عدد من علماء الدين الإسلامي المتمكنين من لغة القرآن أنواعاً للوقف، ووضعوا تعريفاً مناسباً لكل واحد من تلك الأنواع، وأبرزها الوقف التام والوقف الكافي والوقف الحسن والوقف القبيح. وزاد بعضهم صنفاً آخر هو الوقف المطلق، وزاد بعضهم غيره. وارتأى علماء آخرون أن ينصبَّ الاهتمام على وضع العلامات المؤدية إلى تحقيق هدف إتقان التلاوة على المستوى العملي، وهي علامة الوقف اللازم (**م**) وعلامة الوقف الجائز (**ج**) وعلامة الوقف الممنوع (**لا**) وعلامة الوقف الجائز مع إعطاء الأولوية للوصل (**صلى**) وعلامة الوقف الجائز مع إعطاء الأولوية للوقف على الوصل (**قلى**). واستعمل آخرون من علماء تجويد تلاوة القرآن علامات أخرى، مثل علامة الوصل (**ص**) وعلامة الوقف الشديد القصر الذي يساعد القارئ على أخذ نفس سريع فقط ولا يزيد في مدته على ذلك (**ق**) ولا تنقطع معه القراءة.

إن الاختلاف في تحديد أنواع الوقف لا يقتصر على الاختلاف الذي سبق ذكره، وإنما يتعدى إلى ما هو أكثر من ذلك. إذ أن هذا من علماء تجويد التلاوة من صنف أنواع الوقف من غير أن يأتي على ذكر الوقف اللازم، مع أن هذا النوع هو أقوى أنواع الوقف وله وظيفة تتميز عن وظيفة الوقف التام، وهناك من بينهم أيضاً من كتب في أحد كتبه أنه لو كان في وسع أحدنا أن يقرأ القرآن كله في نفس واحد ساغ له ذلك. وهذا القول، مع أنه يجيء في ذلك الكتاب على سبيل الافتراض، يدل على تقليل من شأن الفرق بين نوع الوقف اللازم من ناحية والوقف الاختياري من ناحية ثانية، وعلى تجاهل لما يحصل من تحويل في معنى الآية القرآنية التي لا يلتزم قارئها بالوقف في موضع الوقف اللازم؛ كما يدل أيضاً على تقليل من شأن قاعدة من قواعد عمل الفكر الإنساني التي فطر اللّه الإنسان عليها، وهي أن الفكر الإنساني يصعب عليه أن يستوعب الأفكار التي يقرأها في الصفحة المكتوبة استيعاباً دقيقاً وسريعاً إذا لم يقف في القراءة في مواضع مناسبة حددها كاتب تلك الصفحة أو طابعها، وكذلك الحال في سماعه لما يُقرأ له أو يُقال له. إن الصفحة المكتوبة من غير علامات وقف هي عبارة عن كتلة من خيوط الأفكار المتشابكة، وهذا التشابك في الأفكار يحير عقل القارئ كثيراً أو قليلاً في محاولته استخلاص معناها. ومن المعلوم أيضاً أن لكل نوع من أنواع علامات الوقف الكثيرة وظيفة خاصة به، وأن فترة الوقف تتفاوت في طولها بحسب كل نوع، وأن المقاطع الصوتية المجاورة لكل نوع من أنواع علامات الوقف تختلف في أنغامها وفي ارتفاع الصوت وانخفاضه في التلفظ بها بما يتفق مع ذلك النوع، لأن ذلك يساعد كثيراً على فهم المعنى الدقيق للكلام المقروء أو المسموع. وهذا كله لا يتنافى مع تجنيد أن توصي لجنة تصحيح الوقف المقترحة بتبسيط نظام علامات الوقف في المصحف الشريف قدر الإمكان.

محمد بن سالم عمر - تونس

في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كانت حركات الاستعمار الكبرى للعالم الإسلامي تركز قواعدها في الهند ومصر والجزائر وتونس والسودان. كحلقة أخيرة من حلقات تطويق العالم الإسلامي والانقضاض على ثرواته ونهبها. وكان قد مهد لهذا الاستعمار بغزو حضاري نشط، ابتدأه وألهب شرارته الأولى في ديار الإسلام ما يسمون عندنا (بزعماء الإصلاح العرب)! وهكذا تراجعت الرابطة الإسلامية كشكل من أشكال البناء السياسي القائم أمام ضربات الاستعمار الموجعة وقد توج ذلك بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية عام ١٩٢٤م على يد كمال أتاتورك.



الإسلام وتحديات القرن ٢١

أثناء الدولة العثمانية كانت الحضارة الإسلامية مسيطرة بشكل من الأشكال

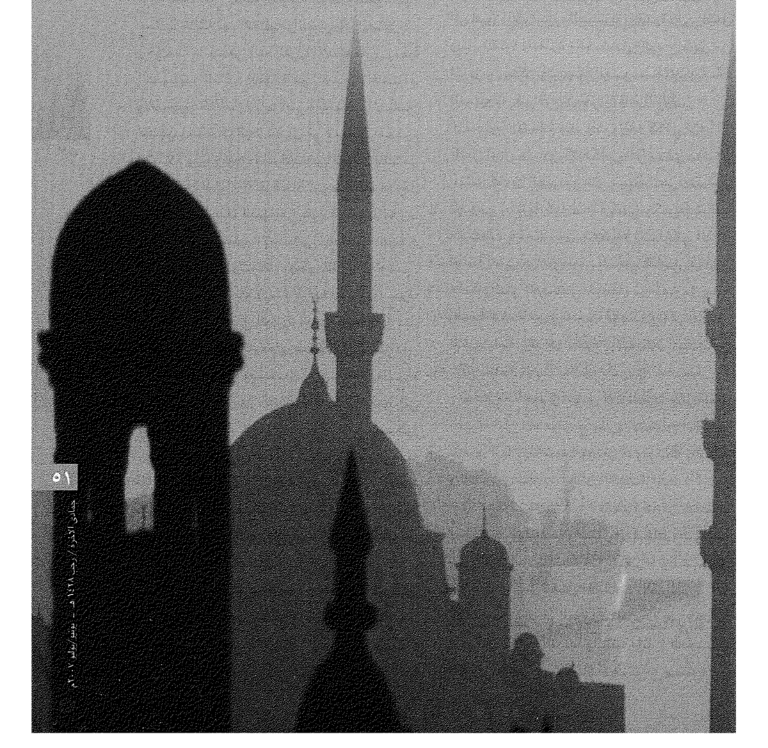
لقد تمزقت الوحدة الإسلامية خلال القرن العشرين وتنازعت الدول الكبرى ميراث الإسلام وسيطرت على أضخم قواعده ومقدراته واندفعت الحركة الصهيونية العالمية من خلال مخططات الاستعمار تسيطر على فلسطين وتجعل من احتلال بريطانيا للقدس مقدمة لسيطرتها عليها بعد خمسين عاما.

ولقد قاوم المسلمون في معارك حاسمة في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي في أفغانستان والقرم ومصر وسورية والجزائر والعراق وباكستان وحققوا بعض الانتصارات وتحررت البلاد الإسلامية من نفوذ الاستعمار العسكري المباشر وانبعث من قلبه (حركة تنويرية تحررية) بعد طول سبات.

غير أن حركة التنوير والتحرر لم تلبث أن واجهت عقبات كأداء في العقود الأخيرة من القرن الماضي وبداية هذا القرن الجديد، فقد تحالف الاستعمار الغربي والصهيونية من أجل ضرب حركة التنوير والتحرر ودفعها للانحراف عن ثوابتها الإسلامية ومفاهيمها القرآنية.. ومن ثم فإن أخطر التحديات في السنوات الأخيرة تتمثل في الحفاظ على الذاتية الإسلامية وحماية الهوية الثقافية لشعوبنا الإسلامية وتطوير هياكلها وتحرير العقل المسلم من الجمود الفكري ومن الأخطار الفكرية والمفاهيم الثقافية المنحرفة عن هداية الله سبحانه وتعالى التي تلقى إليه عن طريق وسائل الإعلام والاتصال المختلفة والتبشير والاستشراق والشعوبية من أجل إذابة الهوية الحضارية لأمتنا الإسلامية لدعوى

(الحداثة) و(العولمة) و(العلمانية) و(اللائكية).. وهي دعاوى وان اختلفت مسمياتها إلا أنها تتفق على أن يترك المسلمون ثوابت دينهم الإسلامي ومفاهيم قرآنهم المتطابقة مع حقائق الكون والإنسان والحياة وتغييرها بفلسفات مريضة وتيارات جانحة منحرفة من الفكر والثقافة والاعتقاد ونظرة خاطئة لحقيقة الألوهية والقدر حتى يسهل للغرب الاستعماري بعد ذلك السيطرة علينا ونهب ثرواتنا واستغلال شعوبنا وإخضاعها لأطروحاته المعادية لكل مصالحنا..

هذا هو التحدي الكبير الذي يواجهه المسلمون في بداية هذا القرن!؟ فالقضاء على أصالة هذه الأمة



وكيانها الفكري والروحي هو مقدمة لتحقيق مآرب الصهيونية اللقيطة في الاستيلاء على أرض المسلمين وخيراتهم بمساندة الغرب الاستعماري وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية المتصهينة!؟ إن كل هؤلاء لا يخفون عداءهم لحملة الراية الإسلامية الذين اختاروا طريق الأنبياء والصالحين في الانتصار للحق وإعلاء كلمة الله والتمكين لشريعته في الأرض.. وهذا العداء تتفق عليه مختلف تشكلاتهم الثقافية والسياسية والعسكرية.. وخلاصة ما يسعى إليه الغرب الاستعماري بمعية الصهيونية العالمية اللقيطة هو التدجين والاحتواء. ولعل أبرز التحديات التي واجهت المسلمين لتدجينهم واحتوائهم تتمثل في تحريف مفهوم الإسلام وتشويهه وإخراجه من طابعه المتكامل الجامع بين الدنيا والآخرة - إذ أن حياة المسلم وكل أعماله في الحياة الدنيا هي عبادة وتقرب لله رب العالمين في المنظور الإسلامي - إذا ما اهتدت أعماله وكل سلوكياته بهدي القرآن العظيم - متهمين شريعته بالتخلف والرجعية! ونادوا بعزله عن الحياة كما فعل اليهود والمسيحيون من قبل والذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يشرعون لهم ويحددون لهم مفاهيم الحياة البعيدة كل البعد عن حقائق الوجود.. ! ودعوا إلى (اللائكية) و(العلمانية) بديلا عنه! كما استغلوا جهل العامة والخاصة - من النخب المتغربة - بأهمية الشريعة الإسلامية والمفاهيم الإسلامية في الحفاظ على مكتسبات الأمة المسلمة وحماية النفس البشرية والكيان الاجتماعي من السقوط والانهيار ونادوا بالتحلل منها واستبدالها بقوانين الغرب وشريعته. التي حولت العالم إلى غابة وحوش ضارية يأكل القوى فيه الضعيف!؟ - رغم عدم انسجامها مع خصوصيتنا الحضارية وقيمنا الثقافية ومفاهيمنا الإسلامية !؟ ثم امتدت دعوة

اسقاط الخلافة الإسلامية كان سببا مباشراً في دخول الاستعمار..

★★★★★★

التغريب فزيفت المفاهيم وحرفت الكلم عن مواضعه وشوهت المبادئ التي أقامت الحضارة الإسلامية وأوصلتها إلى أقاصي الأرض واستمد منها المسلمون القوة على الصمود والقدرة على الفعل وبناء القوة والعزة والحضارة لردح طويل من الزمن.. ويمكن حوصلة الهجمة الغربية - الصهيونية على الإسلام في النقاط التالية:

– محاربة الإسلام بنظريات زائفة كالتي تزعم أن الدين ليس سوى الانعكاس الواهم في دماغ البشر للقوى الطبيعية التي تسيطر على وجودهم اليومي (نظرية كارل ماركس).. كما شكلت مصنفات ما يسمون بفلاسفة الأنوار في القرن الثامن عشر ميلادي أرضية خصبة لمحاربة الدين عامة والفكر الإسلامي خاصة، من بعد ما تبنته نخبة هامة من (زعماء الإصلاح) في البلاد الإسلامية، ولم يدرك هؤلاء أنهم كانوا يحفرون مقابر حضارتهم الإسلامية بأيديهم!.

– محاربة القيم والمبادئ الإسلامية وكل القيم النبيلة التي تنسجم مع فطرة الإنسان السوي، بدعوى أنها قيما نسبية ومتغيرة، ومرتبطة بالبيئات والعصور وتختلف باختلاف الحضارات!

– الدعوة إلى هدم الأسرة باعتبارها من مخلفات المجتمعات الإقطاعية وعصور الانحطاط والتشجيع على العلاقات المنحرفة كاللواط والسحاق والإجهاض كحل لبعض المشكلات الأسرية.

–الدعوة إلى قيام العلاقات البشرية على أساس المصالح المادية والعرقية والاثنية وإثارة العصبيات الطائفية والعرقية..

-محاربة اللغة العربية الفصحى، لغة الإسلام الأولى ولغة القرآن الكريم لإدراكهم الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والدين الإسلامي ومجد ووحدة المسلمين، وقد عملوا جاهدين على ترويج الدعاوى التي تتهم اللغة العربية الفصحى بالعقم والبداوة وألقوا عليها مسؤولية التخلف الحضاري للمسلمين ورفعوا شعار (من أراد التقدم والرقى فلا يتكلم اللغة العربية) زاعمين بعدم استجابة الفصحى للحضارة الحديثة وأنها لا تستوعبها وهي عسيرة على من يتعلمها؟!

-اعتماد مناهج تربوية بعيدة كل البعد عن المنهج الإسلامي في تربية الإنسان المسلم المثبت من الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، المستضيء بنور الله الذي لا يخبو أبدا (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين).

– خلق مفهوم صراع الأجيال حتى يسهل بعد ذلك دفع الشباب إلى الانهيار والتمزق في ظل فراغ نفسي وفكري وثقافي وعطش روحي.. وقد تخفوا وراء مذاهب ونظريات منحرفة مغرضة أثبت العلماء المحايدون تفاهتها وعدم ارتكازها على حقائق علمية ثابتة وانبناؤها على الظن والتخمين وليس لها أية صلة بالواقع، بل وقدرتها الفائقة على تخريب عقول الشباب وصنع الرجال الجوَف!

إن مجابهة هذه التحديات وغيرها تبدأ بتجديد الثقافة الإسلامية الصحيحة المبنية على الثوابت الإلهية الحقة انطلاقا من ثوابتنا القيمية والحضارية ومفاهيمنا الإسلامية المبثوثة في ثنايا الذكر الحكيم، إذ لا يعقل أن نجابه مفاهيم الزيف الحداثي والعولمة بمفاهيم عصور الانحطاط البالية

★★★★★

كل الفكر الأوروبي - شرقيه وغربيه - يدعي العالمية..

المستعمرون كان همهم إضعاف الدين.. واللغة.. والوحدة..

★★★★★

في تاريخنا الإسلامي ودون أن نطور مفاهيمنا ونصححها ونجعلها تأخذ بالألباب كما أخذت بألباب رجال الجاهلية الأولى لانبنائها على الحق والنور الإلهي.

سنن إقامة الحضارات

(زمن الانحطاط العربي) مقولة مختصرة لكنها معبرة، تعبر عن المرارة التي أضحى يشعر بها المفكر في البلاد الإسلامية وهو يرى أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، تزداد سوءاً وانتكاسا على مر الأيام.

يحدث كل هذا بعد أن شهدت البلاد الإسلامية جمعا من المصلحين والمفكرين الذين تخصصوا في شتى المجالات (١) إن هذا الوضع الذي آلت إليه حالنا يحتم علينا أن نطرح السؤال التالي: ما هي الأسباب الكامنة وراء فشل البرامج الإصلاحية التي أخذت تظهر منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي !؟

أسباب الفشل:

إن المتتبع لمؤلفات رواد النهضة في بلادنا الإسلامية يلاحظ أن الانبهار بما حققته الحضارة الغربية كان عظيما في نفوسهم والانشداد إلى النمط الغربي في الحياة واضحا وجليا(٢) وهذا الانبهار بمنجزات الغرب جعلهم يتخذونه قدوة ومثالا، فكان النمط الغربي النهضوي حاضرا لدى جل هؤلاء الرواد(٣) لذلك جاءت برامجهم الإصلاحية وتنظيراتهم تنقصها الدراسة العلمية

المتأنية التي تُرَاعَى فيها الملابسات والظروف التي أدت بأمتهم الإسلامية إلى حالة من التخلف والانحطاط الحضاري.

ولا عجب بعد ذلك أن نجد منهم من يدعو إلى (أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب)(٤).

إن الصفة المشتركة التي جمعت زعماء الإصلاح هي (افتقار الشعور بالعزة بهويتهم الحضارية الإسلامية والانبهار الكلي بالغرب) وهذا الانبهار قد أعشى أبصارهم أن ترى الدرب القويم والنهج السليم لنهضة أمتهم الإسلامية وبناء حضارة إسلامية جديدة تليق بخير أمة أخرجت للناس وقد كلفها ربها بأن تكون شاهدة على الناس إن هي استمسكت بالنور الذي أنزله الله عليها ـ القرآن ـ والتاريخ (يعلمنا أنه ما من مدنية تستطيع أن تزدهر أو تظل على قيد الحياة إذا هي خسرت إعجابها بنفسها وصلتها بماضيها)(٥).

نظرة تاريخية

الإسلام ومرحلة الفكرة والمفاهيم الجديدة:

جاء الإسلام معلنا منذ بداية نزول الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن بداية ظهور نظرة مغايرة لما هو سائد بين البشر ومفاهيم جديدة للكون والإنسان والحياة تختلف جذريا عما تعلمه الإنسان من مصادر بشرية ومعلنا بوضوح مخالفته لسائر التصورات (البشرية المساوية للجاهلية في المنظور القرآني) ثقافتها ومعتقداتها أخلاقها ومعاملاتها، نظمها وتشريعاتها (اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلم) (سورة العلق الآية ٣ و٤ و٥) ليبرز بعد عملية الهدم مباشرة شخصيته المستقلة بكل أبعادها العقائدية

صراع الحضارات كان البديل عن تلاقي الحضارات وتكاملها..

★★★★★

والتشريعية ومختلف تصوراتها وطموحاتها على أنقاض الجاهلية(كل مفاهيم الإنسان عن الكون والإنسان والحياة التي تخالف المفاهيم الإلهية) التي أعلن الحرب عليها منذ الوهلة الأولى: (كلا لا تطعه واسجد واقترب) (سورة العلق وهي أول ما نزل من القرآن الآية ١٩).

إن مراجعة بسيطة للنهج الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون في إحداث التغييرات الجذرية التي هزت جزيرة العرب يلاحظ ما يلي:

- بداية نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء وقد حمله ربه مسؤولية التبليغ وإيصال ما سيوحي إليه من قيم ومبادئ ومفاهيم جديدة عن الكون والإنسان والحياة إلى الناس كافة بدءا بالعشيرة الأقربين.
- الجهر بالدعوة الإسلامية وتحمل الأذى والصبر على تعنت الكفار وإجرامهم في حق أتباعه من المؤمنين برسالته.
- نزول ما سمي (بالقرآن المكي ويعد ٨٦ سورة) وهو في جملته آيات قصيرة تعالج قضايا توحيد الله وتحارب الشرك بالله بمختلف تشكلاته وتشير إلى مواطن الفساد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وترد على بعض شبهات أهل الكتاب ومزاعم أهل مكة وتندد بتصرفاتهم المنحرفة وتصحح مفاهيم البشر عن الإلوهية الحقة والربوبية الصحيحة والتي لا تجوز إلا لخالق الكون والإنسان والحياة العليم الخبير الذي يعلم غيب السماوات والأرض.. فالقرآن المكي كان يدعو إلى ـ فكرة جديدة ومفاهيم مغايرة لمفاهيم البشر ـ لتحل

محل الفكر والمفاهيم والمعتقدات الجاهلية في ذهن المسْتَقْبِل حتى تؤثر في فكره ووجدانه تمهيدا للانتقال به إلى مرحلة أخرى قادمة.
- كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو أصحابه الذين آمنوا بدعوته بالصبر على الأذى والتنكيل الذي كانوا يتعرضون له على يد كفار قريش وعدم الرد بالعنف على الاضطهاد الذي كان يسلط عليهم - رغم استعداد بعض الصحابة للقيام بذلك.. ولما اشتد الاضطهاد على بعض الصحابة نصحهم عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى الحبشة لأن بها ملكا لا يظلم الناس عنده أبدا.. وقد استمر الرسول وأصحابه في الاستمساك بالمفاهيم الإلهية الجديدة والالتزام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلة الكفار والمشركين وكل المناوئين بالتي هي أحسن. ولم يسجل لنا القرآن أو المؤرخون أن أحدا من الصحابة قد كون عصابة للرد على اضطهاد قريش أو تحرير البيت الحرام من أيدي كفار مكة ومشركيها.. بل كان سلاح المؤمنين الوحيد: الدعوة إلى الإسلام الحق والجهاد بآيات القرآن الكريم والتي تحمل المفاهيم الجديدة وإبلاغها إلى مسامع المشركين والصبر على أذاهم امتثالاً لأوامر الله في القرآن المكي - سور القرآن التي أوحى الله بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة.
- ثم جاءت حادثة الإسراء بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم لتتوج المرحلة المكية (مرحلة الفكر والمفاهيم الجديدة) وأهم ما يمكن استخلاصه من حادثة الإسراء هو بداية تلقي المسلمين لبعض التشريعات والعبادات كالصلاة وهي تشريعات عملية تستوجب توفر الأمن للقيام بها وهو ما يعني حدوث نقلة نوعية كبيرة لأن المرحلة المكية التي سبقت حادثة الإسراء تميزت بتركيز القرآن على المعتقدات الإسلامية والمبادئ الذهنية والمفاهيم

حركة ما يسمى بـ (التنوير) كانت علمانية على منهج أوروبا..

★★★★★

الجديدة على الكون والإنسان والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقيم الأخلاقية ومحاربة التمظهرات المتنوعة للكفر والشرك والتشهير بانحرافات زعامات قريش العقائدية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.. وهذا يعني أن حادثة الإسراء كانت بمثابة التمهيد للإعلان عن انتقال المسلمين من مرحلة (الفكرة) إلى مرحلة (الدولة).

الإسلام ومرحلة الدولة

بعد حادثة الإسراء أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إلى المدينة وقد مهد عليه الصلاة والسلام لهجرته وهجرة أصحابه عندما التقى بالأنصار - الأوس والخزرج - وأخذ منهم عهدا بحمايته وحماية أصحابه ونصرة الدين الذي بعثه الله به إلى الناس كافة وكان قد سبقه بعض صحابته إلى المدينة لتوضيح دعوته..
- في المدينة أصبح للمسلمين أرض آمنة وقد آمن جل أهلها بالرسالة الإسلامية.. وأصبحت لهم ثروات متعددة وقوة مادية استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوتيه من حكمة إلاهية وبصيرة قرآنية من أن ينشئ منهم مجتمعا مسلما يعتنق العقيدة الإسلامية ويحتكم إلى الشريعة الإسلامية في علاقات أفراده بعضهم ببعض وتنتظم علاقاتهم وفق التصور الإسلامي والمفاهيم الإسلامية في الأسرة والمجتمع وعلاقاته الداخلية والخارجية.. ثم كون الرسول القائد جيشا قوامه مؤمنون باعوا أنفسهم وأموالهم لله رب العالمين مقابل الفوز بجنة عرضها السموات والأرض.. (إن الله اشترى من

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلون وَيُقْتَلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (سورة التوبة الآية ١١١) إن تكوين الجيش الإسلامي جاء بعد تكوين الدولة الإسلامية لحمايتها من الأعداء المتربصين.

– ولم يمر زمن طويل حتى أذن للذين أوذوا في سبيل الله بالقتال واستعمال السلاح لاسترجاع حقوقهم المنتهبة من الكفار والمشركين وصد عدوانهم ومكرهم بالمسلمين.

– في مرحلة تالية بدا المسلمون ـ بقيادة رسولهم عليه الصلاة والسلام ـ يفكرون في نشر الدعوة الإسلامية خارج حدود دولتهم الفتية، وبدأ الرسول القائد السياسي والعسكري في بعث السرايا والجيوش إلى مختلف الأصقاع لفتحها ونشر الإسلام فيها حتى تعم رحمة الإسلام الناس كافة.. استجابة لنداء (القرآن المدني).

إن هذا التسلسل الذي اتبعه الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نشر الدعوة الإسلامية ومن ثم بناء الحضارة رغم وضوحه في السيرة النبوية (١٦) قد تغاضى عنه المسلمون في العصر الحديث فغابت عنهم الأولويات مما أوقعهم في المحظورات وأبعدهم عن هداية الله.

الرأسمالية الغربية

لقد مثلت الحداثة الغربية ـ قطيعة تامة بين عهود الظلام وبين ما سمي بفلسفة الأنوار التي نادت بتحرير الإنسان من سلطة الكنيسة وجبروتها وحرضته على امتلاك زمام أموره وكسر القيود التي فرضتها عليه عهود من الجهل والانحطاط فلقد استفاق الأوروبيون فوجدوا مجموعاً ضخما من التجارب والمعارف التي خلفتها حضارات عديدة بما فيها الحضارة الإسلامية فأغراهم ذلك بالتمعن فيها بحثا عن السبيل الموصل إلى البناء الحضاري والتقدم والتحرر من جهالات رجال الدين عندهم. وما انفك هذا الشعور يتنامى في أوروبا منذ القرنين الحادي عشر الميلادي والثاني عشر خصوصا في فرنسا وايطاليا..

وانتبه الغربيون بعد هيمنة طويلة فرضتها الكنيسة الكاثوليكية وأثر تزايد قهر الأباطرة، وصار بعض المفكرين يتحسسون طريق الخلاص من تبعات عصور الانحطاط. وكان لتضخم ممارسات الكنيسة الكاثوليكية ولاستفحال السياسة القهرية التي ينتهجها الأباطرة دور كبير في تصعيد الاستياء وتنمية رصيد الشعور الرافض بعد يقين عمقته الملاحظة بأن ممارسات الاكليروس ومقررات البابا فاقدة للمصداقية لأنها تتضارب مع حقائق الوجود وتطلعات الإنسان نحو الانعتاق.. فهي تفرض وصايتها عليه!؟ وكان للجامعات اللاهوتية التي وقع بعثها في بعض أقطار أوروبا كالسربون مساهمات في المجال المعرفي وتأثيرات حتى في الكنيسة ذاتها(٧).

إن فقدان الشرعيات الدينية مصداقيتها ليس فقط بالنسبة إلى بعض المثقفين.. ولكن في الشرائح العريضة للمجتمعات الغربية بأسرها هو الذي ولد مفهوم العلمانية الداعي إلى تخليص قطاعات المجتمع والثقافة من سيطرة المؤسسات الدينية ونواميسها.. وقد سعى مفكرو عصر الأنوار (٨) إلى تنوير الشعب وتحريره من ظلم الكنيسة وجبروتها، فرفعوا في وجه الكنيسة التي كانت تبيع

الحضارة الإسلامية استجابة طبيعية فطرية لسنن الله سبحانه في خلقه..

★★★★★★

صكوك الغفران - (اللائكية) وفي وجه رجال الدين واستغلالهم للشعب باسم الرب رفعوا شعارات (الحرية والأخوة والمساواة).

إن إزاحة الغربيين لتأثيرات الكنيسة عن مجرى حياتهم نظرا لما أصبحت تمثله من عقبات كأداء أوجد لديهم الحافز القوي على البحث والتنقيب واستنباط النظم السياسية والاقتصادية والنظريات العلمية والمعرفية وغيرها بمعزل عن تأثيرات قرون من التخلف والجهل.. الذي ساهمت فيه بقسط وافر قناعات رجال الدين المسيحي الضالة عن وحي الله وكلماته في التوراة والإنجيل والقرآن.

الماركسية

عاش ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) ضمن المجتمع البرجوازي، وعاين عن قرب أوضاع العمال المتردية، ذلك أن العامل رغم قيامه بالعمل والإنتاج إلا أنه لا يتمتع بثمار سواعده حيث أصبحت الطبقة البرجوازية الرأسمالية هي المالكة (بل المغتصبة لما ينبغي أن يكون ملكا من وسائل الإنتاج).. يقول ماركس في معرض تحليله للأوضاع المتردية التي أفرزتها الطبقة البرجوازية (إن البرجوازية لم تكتف بصناعة الأسلحة التي سوف تؤدي إلى فنائها بل أنجبت الرجال الذين سوف يستعملون هذه الأسلحة - أعني بهم عمال العصر الحديث - الذين يؤلفون البروليتاريا وكلما ازدادت قوة البرجوازية أي رأس المال ازداد نمو البروليتاريا، تلك الطبقة التي تضم العمال الذين لا تتوفر لهم أسباب العيش إلا إذا وجدوا عملا، ولا يحصلون عليه إلا إذا كان هذا العمل منميا لرأس المال. فهؤلاء العمال الذين يضطرون إلى عرض أنفسهم للبيع يوميا هم معرضون نتيجة لذلك إلى كل تقلبات المنافسة التي تعتري السوق.. لقد صار العامل فقيرا وتفاقم الفقر بسرعة تفوق سرعة نمو

المستعمر صنع صنائع له من أبناء المسلمين يدعون بدعوته..

★★★★★★

السكان وتراكم الثروات.. فمن البين إذن أن البرجوازية لم يعد في إمكانها القيام لمدة طويلة بدور الطبقة المسيرة(٩) تكشف لنا هذه الوثيقة عن وعي ماركس بالظلم والحيف الاجتماعي الذي يعاني منه العمال في مجتمع تسوده الأنانية والاستغلال وسلوك كل السبل للإثراء ولو على حساب فقر الملايين من العمال. لا تهمنا هنا تحليلات ماركس وتنبؤاته الخاطئة فذاك أمر آخر! ما يهمنا هو الموقف الفكري والسلوك الحضاري الذي انتهجه تجاه واقع معين.. تبنى ماركس إذن هموم العمال ومشاكلهم، وسعى إلى إنشاء منظومة فكرية تمثلت في نظريته - المادية التاريخية - ذلك أنها تقوم على مبدأين أساسيين: هما المادية المنطقية والمادية التاريخية. ذلك أنها تنظر إلى المادة على أنها أساس كل أمر في الحياة، وأن البشرية مسيرة في مختلف أطوارها بتأثير المادة فقط (١٠) يقول ماركس موضحا ذلك (إن الأفكار لا يبتدعها دماغ الإنسان.. وهذا الدماغ ليس إلا مادة دقيقة التركيب وهو جزء من الجسم يعكس مؤثرات العالم الخارجي)(١١).

شن ماركس وأتباعه حملة منظمة ضد النظام الرأسمالي وكل مبادئه وقيمه طارحين بدائل أخرى وقيما جديدة، ومبشرين بإيجاد جنة أرضية يحكمها الكادحون والعمال والفقراء - ففي جريدة البرافدا ركز لينين حملاته تحت شعار: (كل السلطة للسفيات، الأرض للفلاحين.. الخبز للجائعين..) وفي أكتوبر سنة ١٩١٧ قامت الثورة البلشفية، الثورة التي انبنى على أساسها ما كان

يسمى بالاتحاد السوفيتي.. بعد هذا الاستعراض السريع لثلاث حضارات مختلفات.. نعود لنطرح على أنفسنا السؤال التالي: ما هي السنن والقوانين التي تتحكم في إقامة الحضارات الإنسانية؟

بناء الحضارة:

إن استقراءنا للحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بشقيها الرأسمالي والماركسي يمكننا من بلورة السنن والقوانين التي تتحكم في إقامة الحضارات في النقاط التالية:

١- فكرة إنسانية سامية:

وهذه الفكرة يمكن أن تكون منظومة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية.. تحمل في طياتها صفة العالمية واستطاع مفكرو الشعب أن يقنعوه بأن فكرته التي يتبناها هي أسمى فكرة على الإطلاق وأن هذه الفكرة لا تحمل سعادته هو فقط بل مرشحة لإنقاذ البشرية كافة، وتستحق هذه الفكرة أن يضحي الشعب من أجلها ويغامر حتى تتجسد على أرض الواقع، ثم نقلها إلى بقية شعوب العالم لتستفيد منها ومن الاستغلال إلى التمتع بخيرات الحياة وطيباتها.. ومن الجور والظلم إلى العدل والمساواة.. ومن ظلمات القرون الخالية إلى نور الحياة ورفاهيتها. إن أي برنامج إصلاحي أو منظومة فكرية عاجزة عن تحقيق النهضة المنشودة في الشعوب إن لم تكن تحمل في طياتها هذه السمة، وعجزت عن إقناع الشعب الذي يتبناها بسموها وتفوقها على كل الأفكار والمنظومات الأخرى.

٢- تقزيم الخصم والحط من فكره وقيمه(١٢)

وهذا القانون هو مواصلة للقانون الأول في شروط إقامة الحضارات: إن تقزيم الخصم والحط من قيمة منظومته الفكرية عملية تأتي مواصلة للعملية الأولى.

وهدفها الوصول بالشعب المراد إنهاضه إلى مرحلة الشعور بالعزة وهذا الشعور يأتي كنتيجة حتمية لاعتقاد هذا الشعب بسمو فكرته ومعتقداته ومنظومة القيم التي تحكمه التي تفوق في سموها جميع القيم والمعتقدات والمفاهيم الأخرى بل قد لا يعطي هذه المفاهيم أهمية البتة ما دام يملك ما هو أسمى.. وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا بمدى تماسك أفكاره وصدقها وتطابقها مع الواقع وقدرتها على الإقناع ومدى اعتقاده فيها وحنكة مفكريه وقدرتهم على تشويه الخصم وأفكاره ومعتقداته..

نخلص إلى القول بأنه متى توفرت لدى أي شعب من شعوب الدنيا منظومة فكرية تحتوى على فكرة سامية واقتنع هذا الشعب بأنها أعظم فكرة على الإطلاق في تلك الفترة من الزمن واقتنع بوجوب نشرها والتضحية في سبيل إيصالها إلى الشعوب الأخرى.. عندها يبدأ الشعب بصفة تلقائية يسير رويدا رويدا نحو النهضة ومن ثم تكوين حضارة متفوقة على ما عداها من الحضارات القائمة.. والسبب في ذلك يعود إلى أن إدراك هذا الشعب لسمو فكرته وعالميتها يدفعه إلى البحث والتنقيب في كل المجالات الحياتية والعلمية لإثبات سمو فكرته عمليا للآخرين كي يعتنقوا مثله القيم التي يؤمن بها من جهة وإقناع خصومه بتفاهتهم ومحاولة (تقزيمهم) أمام عظمة فكرته وتكاملها وقدرتها على إسعاد الناس جميعا كما تدفعه إمكانية مواجهة الخصم ماديا إلى الاعتناء بالمجال الاقتصادي والصناعي وتكوين جيش قوى لمجابهة كل التحديات الممكنة والتي يمكن أن تهدد فكرته.

وهكذا تبدأ حضارة هذا الشعب صاحب الفكرة والمفاهيم السامية الجديدة في صعود أما أصحاب الحضارات الأخرى أن كانت هناك حضارة قائمة فإما أن ينضموا إلى أصحاب الحضارة الصاعدة ويعتنقوا فكرتها السامية ويساندوها ويدعموها

بمعارفهم وبالتالي تصبح إنجازاتهم تنتمي إلى الحضارة الجديدة. وإما أن يتزعزع اعتقادهم في فكرتهم التي بنوا عليها حضارتهم فيفتقدون بذلك الحماس القادر على تمكينهم من مواصلة الإبداع وبناء الحضارة عند ذلك تبدأ حضارتهم في أفول مستمر.. وتضعف قوتهم المادية والمعنوية شيئاً فشيئاً أمام القوة الصاعدة والحضارة الجديدة. كما يصبح الشعب صاحب الحضارة الآفلة مقلدا لظواهر سلوكيات صاحب الحضارة الصاعدة، اعتقاداً منه أن هذا التقليد قد يعيد فيه الحيوية من جديد ـ لكنه يبقى كالذي يريد أن ينجو من الغرق وما هو بناج لأنه كلما اغرق في التقليد ابتعد أكثر عن إمكانية الشعور بالعزة، فتبعثر أموره وتتذبذب حاله ويصبح كالكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث.

الخاتمة

ظل (المفكرون وزعماء الإصلاح) في البلاد الإسلامية يعتقدون طويلا بأن الأنظمة والتشريعات السياسية والاجتماعية هي التي ستنهض أمتهم من كبوتها، فاقتبسوا أنظمة الغرب وتشريعاته، لكن دون جدوى.. وما دروا أنه على الرغم من تنوع الأنظمة والتشريعات قامت الحضارات العديدة في التاريخ الإنساني.

إن القوانين والتشريعات ما هي إلا شكل من أشكال التنظيم في المجتمعات البشرية وتنبع عادة من حاجيات هذه المجتمعات وطموحاتها وتنبثق عن منظوماتها القيمية والفكرية ومفاهيمها عن الكون والإنسان والحياة.. وليس هناك أي سند تاريخي أو واقعي يدل على أن الحضارة تبنى نتيجة لهذه القوانين والنظم والتشريعات وإنما هو التباس الأوضاع وضبابية الرؤية.

الهوامش:

١- (أمين) أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث بيروت - دار الكتاب العربي ١٩٧٩م.
- (شرابي) هشام: المثقفون العرب والغرب بيروت - دار النهار ١٩٧٣م.
٢- انظر كتاب الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة د نازك سابايارد الطبعة الأولى ١٩٧٩م.
٣- نفس المرجع.
٤- مستقبل الثقافة بمصر د. طه حسين.
٥- الإسلام في مفترق الطرق تعريب عمر فروج.
٦- راجع مثلاً: دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٩٨١م.
٧- المرجع العلمانية وانتشارها غرباً وشرقاً فتحي القاسمي - سلسلة موافقات - الدار التونسية للنشر - فيفري ١٩٩٤م.
٨- فولغين (ف) فلسفة الأنوار - بيروت - دار الطليعة ط ١٩٨١م.
٩- كارل ماركس "بيان الحزب الشيوعي".
١٠- (يكن) فتحي: كيف ندعو إلى الإسلام ص ٥٥.
١١- خفاجي المحامي (عبدالحليم) حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون ص ٥٥ .
١٢- يقول الله عز وجل: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ - (سورة البقرة الآية ٢٥٧).

أ. د. إبراهيم السامرائي
عليه رحمة الله

أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي - عليه رحمة الله تعالى - كان مؤثراً المنهل بكثير من كتاباته وأشعاره. وكانت المنهل سعيدة بمشاركاته العلمية الماتعة..
ولا تزال المنهل تحتفظ ببعض كتاباته وأشعاره وهذه القصيدة واحدة منها..

مع "الزيتونة" المباركة..

كان لي حديث قديم مع "النخلة" تحدثنا معاً، سمعت حديثها واستمعت إليّ وقد كنت في داري في بغداد، فكان ذاك فيما يرى النائم. وها أنذا أستمع لشكوى "زيتونتي" المباركة التي انطلقت شاكية بائسة تعرض أمرها كما تتأسى لما نال "النخلة" فقلت وقالت:

عمّي صباحاً نبعة الأصائل ... جادك غيثي ووفاك نائلي
رُزِئْتِ من زيتونةٍ ضيمت بما ... ساء وبي من زمانٍ ماحل
طرقت ليلي، وهو يغتال السّنا ... بشفٍ عودٍ وبجيدٍ عاطل
أأنتِ مَن بوركتِ في ميمونةٍ ... "للذكر" من آي وفي "فواصل"
قالت: وما ظنّكَ في مرزوءةٍ ... قسا عليها كل خطب هائل
لم أنس أمسي كنتَ فيه ذا ندى ... جودٍ، ويا طيب سماح باذل
فأينَ مَن ليليَ ما غنمتُه ... أمس، ولا الصبح بسَعْدٍ حافل
طويتُ عمري، وأنا أشتاقه ... وكيف، والغُصن بلون حائل؟
فقلت: كُفّي، كيف بي في عاصف ... وكيف أخفي دمعتي في جائل؟
أنا الذي ودعت مني بائساً ... سرى بأعباء وجرمٍ ناحل
حملتُ زادي ليس لي في بعضه ... مثلُ الذي يحمل أيُّ راحل
تركت للدار هوى كأنه ... حنين حرّانَ لخطب حامل
أقسم بالآي التي قد كرمت ... "بالتين والزيتون" والأصائل
وبالضحى يسطع والليل إذا ... يغشى وبالكرام، والأماثل
وبالتي تاهتْ بطلع وافرٍ ... كأنما لُفَّ بشفٍ رافل
لأنت مني كلُ طيب نافل ... نيل، وبالهفي لظلٍ شامل
وأنت من قصدتُه بنائلي ... وكان هَديُ منك في "نوافلي"

★★★★★

عمّي صباحاً بسماحٍ عامرٍ ... وسِعْتِه قبل زمان باخل
جادك مني كلُ ما قد صُنْتُه ... ما كنت لم أغن له بطائل
ألم ترَيْ ما خان من وحش الدُجى ... وغال رِفْهَا في حمى المنازل؟

فلا الضُحى في سكب لون بارق ... في موحش للربَع غير آهل

ونَثٌ من "زيتونتي" نفح به ... بعض الذي أفَدتُه من حاصل

قالت: سئمتُ الليل في أطوائه ... وحش تصدّى ليَ غير باسل

أَخْنى على ضعفي، وهل لي قدرة ... أُعطي سخيَ الزيت بعض آكل؟

رأيتُ أهلي ظُلموا بجائر ... من زمن صَلَوهُ غير عادل

قد شُغلوا برثٍ عيش غامر ... يابؤسه من موجعٍ وشاغل

وهالني في "جارة" ما هالني ... أن لقيتْ في الكَدُ كلٍّ هائل

"سيدة" قد نال منها زَمَنٌ ... من "باسقاتٍ" شِخْنَ أو "فسائل"

ألي غَدٌ أستافه عَبْقَ الندّى ... وأين ذا؟ وقد وهت وسائلي

متى، وأين الدار تُلفي أهلها ... وأين من أحيائنا الأواهل؟

قل لي: أما أنتَ لأهلِ آيبٌ ... أَنِلْ جواباً ضام كلٍّ سائلِ

★★★★★★

وقال صحب ورفاق قد شَقوا ... ما بال هذا صوتُ كلٍّ قائل؟

أما لهذا الليل من رحيله، ... وما لهذا الفلك بعض ساحل؟

خانتْ "ديار" ونأتْ عن "وافدِ" ... ضيم "بخُبُزٍ" ساء غير كافل

وجاش فيه كلُّ "ساعٍ" في الدُجى ... يا خُسر ما يلقاه كلُّ غافل!

كأنني أُلحقتُ من أشابةِ ... ما أنا من "بَكْرِ" ولا مِن "وائِل"

نسوا "قريشاً" وأنا في ذروةٍ   ذؤابةٍ في المجد والمحافل

عمي صباحاً، ويكِ يا "زيتونتي"   وبادلي "النخلة" بؤس عامل

تَرَيْ سحيقاً جِذْعَ ساعٍ لبِلىً   يشيع في جرمٍ لموت آيلِ

وأنت قد آدكِ همسٌ من هوىً   نثَّ به كخوطِ بانٍ خاملِ

كأنني منكِ ومنها نَفَر   أوذي في آتٍ حثيثٍ عاجلِ

يحمل سيفاً كلنا من حَدِّهِ   صَرْعَى، ومن خطبٍ مصيبٍ قاصلِ

إنا حَيينا زمناً طاف الأسَى   في بعض أهليه بسُمٍّ قاتلِ

بدا لنا بزخرف جال الرَّدى   فيه بألوان وصُنْعٍ باطلِ

وقد بدت دنيا بأوهام الذي   يطيعه في الأمر كل جاهل

★★★★★★

عفواً رماني عنك "يا زيتونتي"   ما حاق بالنخلة من مشاكل

ومعضلات شملت أهلَ الحمى   يا خُسر ما عانَوْهُ من مسائل

أسروا بقطع الليل لا ذو رَحِمٍ   فإن لَقُوهُ فهو غير واصل

أمسيتُ من هذي وذي في عُروة   وُثْقَى فما لي عنهما من فاصل

قد كان لي من فيض إنسانيةٍ   وهبته مما حوت فضائلي

أوشكتُ أصغي للذي من هذه   وتلك مما بي ومن دخائلي

هل أنا في حُلْمٍ ولي من طيفه   طيرٌ توخَّى العُشَّ في فصائلي

قالت: متى تلقَى الهدى، "زيتونتي"   وكيف تلقى هاتف السنابل

وقالت "النخلة": هل من عالم   أراه لا يؤمن بالقنابل؟

تلك التي حَزَّت "رءوس صُحبتي"   لا "الطلع منضود ولا عثاكلي"

أبصرتُ لا العرجون في تيجانه   ولا الجنيُّ الحلوُ من فواصلي

ما البصرة الفيحاء إلا وطني   وفي ثراها طفحت جداولي

إن أنس لا أنسَ التي من جودها   بُورك في بغداد من خلائلي

وقالت الأخرى: مشى في جمعنا   فاجعةُ الخطوب من زلازل

★★★★★★

قلتُ، وقد أدركتُ سَبقَ رحلةٍ   منحتُها همةَ راجٍ آمل

مشى بيَ الطَّيفُ فلم أُبصر سوى   وجود إنسانٍ لقلبٍ حامل

أعباءَ أشتاتٍ عَلَوا في دأبهم   على شقاءٍ في ربوع ماثل

ألم يكن لنا نشيدُ أمةٍ   فيعمر الرحيب بالخمائل

لا يلتقينا بعض ما في أمة   أخرى شجاها كل خطب غائل

لكن دهتنا مثلها وقائع   هالتْ بما جلَّ وشرٌّ نازل

★★★★★★

آمنت بالحق وفي "كتابه"   ما كان من هدي لكل عاقل

لكلُ مجبولٍ على سَمْتٍ به   سعى إلى الصراط غير ناكل

مَشَيْتُ فيه مشيَ راجٍ آمل   أُبصرُ ما يومئ من مخايل

فهل إلى غايةِ يومٍ حافل   نقبس من أيامنا الأوائل؟

وهل لمن قد هاجه حُرُّ الصَّدَى   وكيف جفَّ الثَّمْدُ في المناهل؟

لوحة شرف



العمل الاجتماعي والإنساني في المملكة العربية السعودية يمثل ريادة وإنجازاً إنسانياً عظيماً يقف له الجميع اكباراً وتقديراً..

ويظهر هذا جلياً واضحاً في مجموع المؤسسات واللجان الإنسانية التي تعنى بخدمة المجتمع في مجالاته المتعددة.. وهذه لمسات رائعة تظل مكان الوفاء والتقدير..

وفي هذا الإطار تأتي لجنة (رعاية السجناء والمفرج عنهم وأسرهم بمنطقة الرياض) التابعة لمؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية.. وقد أدت هذه المؤسسة أعمالاً إنسانية واجتماعية كبيرة في مجالها..

وتسجيلاً للأداء المتميز لهذه اللجنة (لجنة رعاية السجناء والمفرج عنهم وأسرهم) فقد كرم صاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبدالعزيز، نائب أمير منطقة الرياض، كرم الدكتور عبدالعزيز علي المقوشي مساعد مدير عام مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية، عضو لجنة (رعاية السجناء).. وذلك تقديراً لما قام به وما قامت به لجنته من أعمال إنسانية في هذا التوجه المحمود.. وقد أدخلت السرور في قلوب السجناء والمفرج عنهم وأسرهم..

وبهذه المناسبة فإن مجلة المنهل تهنئ الدكتور عبدالعزيز المقوشي على هذا التكريم وهذه الثقة الغالية متمنين لسعادته كل التوفيق والسداد..

- المنهل -

الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز لـ "المنهل":

جمعية الأطفال المعوقين.. تجسيد لنجاح

مما لا شك فيه أن الإنسان هو هدف كل الخطط التنموية الطموحة.. الإنسان أداة فعالة في مجتمعه لتحقيق الهدف الذي نصبو إليه، "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

وتأتي رعاية المعوقين في مقدمة أولويات المجتمعات المتحضرة بتضافر الجهود، جهود الجميع، من هنا كان اهتمام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز رئيس مجلس إدارة جمعية الأطفال المعوقين ورئيس مجلس أمناء مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة.



أجرى الحوار:
مصطفى محمد مصطفى
- المنهل -

ـات مؤسسات العمل الخيري في المملكة



من خلال تجربتي استطيع أن أؤكد أن الإعاقة قضية اجتماعية واقتصادية تهم المجتمع بأسره وان الاهتمام بهم ينعكس إيجاباً على باقي فئات المجتمع.

طموحاتي للمعوقين بلا حدود وأتطلع إلى اليوم الذي نستغنى فيه عن مراكز الرعاية والتأهيل بالبحث العلمي

المنهل: يرأس سموكم مجلس إدارة جمعية الأطفال المعوقين وتعتبر هذه الجمعية أنموذجا يحتذى في مجال تأهيل ورعاية المعوقين، أين موقف الجمعية اليوم بين واقع الانجازات المحققة والطموحات المرجوة أو المأمولة؟

إن الواقع يثبت أن الجمعية أصبحت من أبرز مؤسسات العمل الخيري في مجال التصدي لقضية الإعاقة وقاية وعلاجاً، وإنها نجحت في أن تضع تلك القضية على أولويات المجتمع وهمومه، كقضية اجتماعية واقتصادية. هذا بالطبع نجاح متميز وراءه منظومة من التخطيط العلمي والعمل الجاد والجهود المخلصة. فالجمعية التي تحتفي قريباً بمرور خمسة وعشرين عاماً على تأسيسها تمكنت بفضل الله ثم بمساندة قطاعات المجتمع المختلفة من قطع أشواط على صعيد تنفيذ محاور استراتيجيتها سواء فيما يتعلق بتوفير خدمات متخصصة مجانية تشمل الرعاية والعلاج والتعليم للأطفال المعوقين، أو ما يتعلق بالمساهمة في بناء رأي عام واع بقضية الإعاقة وطرق التعامل معها وقاية وعلاجاً، أو ما يتعلق بتوفير قاعدة علمية لبرامج العلاج والتأهيل للمعوقين في المملكة. ولم تكتف الجمعية بدورها الخدمي الخيري، بل تخطت ذلك لتصبح مركزاً ومرجعية علمية وتدريبية، وبحثية للمهتمين بقضية الإعاقة، وشريكاً فاعلاً في خلق ثقافة مجتمعية باحتياجات المعوقين وكيفية تحقيقها. أما على صعيد الطموحات فهي كبيرة بحجم الإنجاز، وبحجم ما تعيشه مملكة الإنسانية من تطور حضاري، وما تحتله من مكانة متميزة على خريطة العالم، فطموحاتنا أن تصل خدمات الجمعية إلى كل منطقة ومدينة تحتاجها. وأن تسهم في رسم البسمة على شفاه كل معاق وأسرته، وأن يتاح لكل معاق خدمة نفسه ومجتمعه بتعميم برنامج الدمج، وتفعيل النظام الوطني لرعاية المعوقين، وطموحنا الأكبر أن لا يوجد معاق في هذا البلد الطيب.

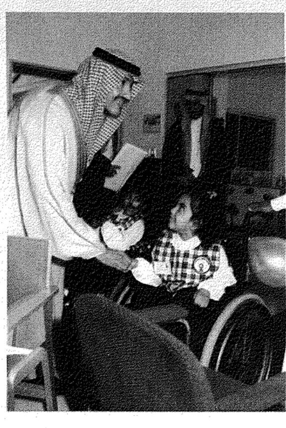
المنهل: مضى ربع قرن على إنشاء الجمعية ماهي أبرز المحطات والانجازات خلال الـ٢٥ عاما الماضية؟

بفضل من الله تعالى حققت الجمعية العديد من الانجازات، وذلك وفق استراتيجية شاملة تستهدف توفير خدمة متخصصة مجانية للأطفال المعوقين في مجالات العلاج والتعليم والتأهيل، من أجل ذلك قامت الجمعية خلال مسيرتها الإنسانية بإنشاء ستة مراكز بالإضافة إلى مركزها الجديد في منطقة عسير تحت الإنشاء، حيث تم مد مظلة

٧٠٠ طفل معاق تم دمجهم في مدارس التعليم العام

★★★★★★

خدمات الجمعية إلى مختلف مناطق المملكة حتى يمكن استفادة المعوقين بهذه المناطق من خدمات الجمعية التي تقدمها وفقاً للمستويات العالمية في مجال رعاية الأطفال المعوقين. كما لا يفوتني أن الجمعية كانت وراء تأسيس مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة وهو أول مركز متخصص في مجالات بحوث الإعاقة في الشرق الأوسط وقد انطلق مؤخراً بعد تأسيس جمعية المؤسسين للمركز وتضم نخبة متميزة من أبناء المملكة، وذلك للمساهمة في بناء قاعدة علمية لبرامج رعاية المعوقين من خلال دعم البحوث والدراسات في هذا المجال. وخلال مسيرة الجمعية قامت بتنظيم أكبر مؤتمرين دوليين في مجالات التأهيل والإعاقة، وبمشاركة المئات من الباحثين والمتخصصين محلياً وإقليمياً ودولياً، كما كان للجمعية دور بارز في إصدار النظام الوطني للمعوقين، الذي كان أحد توصيات المؤتمر الأول للجمعية، وقد تقنن هذا النظام الحضاري لضمان حقوق وواجبات المعوقين بالإضافة إلى شموله على تشكيل المجلس الأعلى للمعوقين، من جهة أخرى ساهمت الجمعية بفعالية في إعداد الكوادر والكفاءات الوطنية في مختلف مجالات الإعاقة وذلك من خلال العديد من برامج التطوع والتدريب التي تطبق منذ سنوات في مراكزها المنتشرة في أنحاء المملكة. ورغم كل ذلك.. فإن أبرز انجازات الجمعية هي تلك النقلة النوعية في توعية وتثقيف المجتمع بمسببات الإعاقة وطرق الوقاية منها، وتكوين صورة ذهنية إيجابية تجاه قضية الإعاقة والمعوقين.. وبصفة عامة ما كان للجمعية أن تحقق كل هذه الإنجازات



إلا بفضل من الله سبحانه وتعالى ثم بدعم لا محدود من الدولة ومساهمة قطاعات المجتمع ومنها بالطبع القطاع الأهلي ورجال الأعمال وهذا أمر يثابون عليه إن شاء الله - ولولا مساندة هذا القطاع ما تمكنت الجمعية من تقديم خدمات بهذا المستوى المتميز لهذه الفئة الغالية من الأبناء.

المنهل: تباينت الآراء والاجتهادات حيال مسمى ذوي الاحتياجات الخاصة والمعوقين بين مؤيد لهذه ورافض لتلك، ما رأي سموكم؟

أتذكر في هذا الإطار تلك المناقشات المستفيضة التي دارت حول مسمى الجمعية، ومدى ملاءمة تضمين لفظ الإعاقة والمعوقين، وشارك في ذلك الكثير من المتخصصين والمهتمين في مجالات اللغة والإعاقة، وتم استطلاع آراء نخبه من العلماء الأفاضل وعدد من أساتذة الجامعات والشخصيات البارزة في المجتمع وأيضاً المعوقين أنفسهم وبعض الأسر ومن

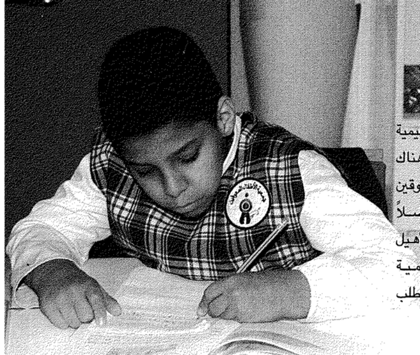


مجمل تلك الآراء تم التوصل إلى هذا الاسم باعتباره الأقرب والأدق والأشمل لتعريف المعوقين ، بل إنّ العديد من المعوقين خلال المناقشات تحفظوا بشدة على تعبير " أصحاب الاحتياجات الخاصة" ، وقالوا إنهم ليسوا أصحاب حاجة من الآخرين ، وإنهم " معوقون " ومن حقوقهم أن تتوفر لهم خدمات المعوقين. كما أيد المسئولون بوزارة العمل والشئون الاجتماعية، وأيضاً الإعلاميون هذا الاسم لدقته في التعبير عن هذه الفئة لغوياً واصطلاحياً.. ورغم ذلك استجدت مؤخرا آراء ترى أهمية دراسة مسمى الجمعية مرة أخرى ولا يزال الأمر تحت الدراسة.

المنهل: طبقت الجمعية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والجهات ذات العلاقة برنامجا مبهرا في معناه ومضمونه لدمج الأطفال المعوقين بمدارس التعليم العام ، ماهو تقييم أو رؤية سموكم لهذه التجربة ومؤشرات نجاحها.؟

بتوفيق من الله تعالى ثم بتعاون الجهات المعنية في وزارة التربية والتعليم وأمانة التعليم الخاص نجحت الجمعية على مدى السنوات السابقة في دمج حوالي (٧٠٠) من الأطفال المعوّقين في مدارس التعليم العام، والكثير منهم ولله الحمد حقق نتائج متميزة ويواصلون استكمال مراحلهم التعليمية المختلفة بالمدارس والجامعات والبعض منهم يواصل حياته لمرحلة معينة ويعمل في أحد المجالات إذا سمحت إمكانياته لذلك.. ونظراً لأهمية هذه القضية تسعى مراكز الجمعية لتوثيق التعاون مع الجهات المعنية لتنفيذ برامج الدمج للأطفال الذين أتموا خطط التعليم والعلاج والتأهيل بنجاح، وتتابع فرق من الأجهزة الطبية والتعليمية والأخصائيات النفسيات والاجتماعيات عملية الدمج وخطواتها عن قرب.

وأود هنا أن أشيد بما تلقاه الجمعية من تعاون من الأمانة العامة للتربية الخاصة بوزارة التربية



والتعليم، وكذلك مديريات التعليم بالمناطق التعليمية التي تحتضن مراكز للجمعية. ورغم ذلك هناك صعوبات تواجه قضية دمج الأطفال المعوقين بالمدارس، حيث إن أطراف هذه القضية أصلاً عديدة ويحتاج كل المشاركين فيها للتأهيل والتدريب، بما في ذلك تهيئة الأبنية التعليمية لملاءمتها لحركة الأطفال المعوقين.. وكل ذلك يتطلب جهوداً كبيرة.

المنهل: الجمعية بفضل الله ثم بفضل جهودكم تغطي بخدماتها العديد من مناطق المملكة وهناك أخرى تنتظر هذه الخدمات الفريدة، فما هي مشاريعكم المستقبلية لتصبح خدمات الجمعية في متناول كل طفل معوق بين أهله وفي بيئته؟

الجمعية مستمرة بفضل من الله تعالى ثم بدعم الدولة وأهل الخير في بلادنا، في تقديم خدماتها المجانية المتخصصة للمئات من الأطفال المعوقين وأسرهم في مختلف المناطق، وفي هذا الإطار تم وضع استراتيجية متكاملة للتوسع في إنشاء مراكز جديدة وذلك بناء على دراسات علمية وإحصائية دقيقة للأطفال المعوقين الذين هم في حاجة إلى خدمات الجمعية في المناطق المستهدفة لإنشاء مراكز فيها، كما نأخذ في الاعتبار عدداً من الضوابط في حال الإقدام على إنشاء مشروع مركز جديد ومنها ضرورة توفير الأرض اللازمة لبناء المركز عليها وتدبير تكاليف إنشاء وتجهيزات المركز من تبرعات أهل المنطقة بالإضافة إلى إيجاد وقف خيري للمركز يوجه ريعه للإنفاق على المركز وبذلك يتم تأمين مصدر ثابت للميزانية التشغيلية للمركز.

المنهل: يعد مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة من أبرز إنجازات الجمعية ويعتبر أكبر مراكز الأبحاث في مجال الإعاقة على مستوى العالم العربي، فما هي تطلعات وطموحات المركز؟

٢٥ عاماً (اليوبيل الفضي) على تأسيس الجمعية

★★★★★★

يعتبر مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة المركز الوحيد في الشرق الأوسط المتخصص في مجال البحوث العلمية والتطبيقية حول الإعاقة والمعوقين، وقد أنشئ المركز بمنحة كريمة من سمو سيدي صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز - حفظه الله - ليكون بمثابة قاعدة علمية متفردة في مجاله. ولقد تمكن المركز منذ تأسيسه من تبني وإنجاز العديد من البحوث والدراسات الحيوية التي تشمل العديد من مناطق المملكة، بهدف إثراء المعرفة عن أسباب الإعاقة وكيفية الوقاية منها، كما ينفذ المركز حالياً عشرات البحوث العلمية التي تناقش مختلف الجوانب التي تتعلق بالإعاقة والمعوقين وأسرهم..

وتتنوع الأبحاث بين أبحاث علمية بحتة مثل بحث (الجينات العصبية والأمراض العضلي عصبية الوراثية) وأبحاث سلوكية مثل (مشروع التوحد) الذي ينفذ بالتعاون مع مراكز الأبحاث في

مستشفى الملك فيصل التخصصي - وجامعتي أيوا - ونورث كارولينا في الولايات المتحدة الأمريكية، وأبحاث تقنية مثل(تحويل لغة الإشارة العربية إلى لغة ناطقة باستخدام الحاسب الآلي). ويعمل المركز على تركيز الأبحاث العلمية المتخصصة بالإعاقة، والإسهام في دعم المجتمعات الإنسانية ، لمواجهة التزايد المطرد لمشكلة الإعاقة والوقاية منها.

وتقديم أفضل الأساليب العلمية للارتقاء بنوعية وجودة خدمات الرعاية والتأهيل للمعوقين، وذلك عن طريق إثراء البحث العلمي والتدريب المستمر والخدمات النوعية المتميزة. كما يسعى المركز لعقد تحالفات وشراكات مع مراكز البحوث العلمية المعتبرة في العالم ، وذلك من خلال انضمام الكثير من الشخصيات البارزة لجمعية مؤسسي المركز والاستفادة من تميزهم وعلاقاتهم الوطيدة بالعديد من المراكز الإنسانية والعلمية في مختلف أرجاء العالم.

المنهل: فكرة تأسيس الجمعية تقوم على تقديم الرعاية المتكاملة المجانية للأطفال المعوقين من سن الميلاد وحتى الثانية عشرة ، فماهي البرامج التي تقوم بها الجمعية بعد خروج الأطفال بعد سن الـ ١٢ سنة؟

الرعاية الشاملة التي توفرها الجمعية لمنسوبيها من الأطفال المعوقين يتم تنفيذها من خلال العديد من البرامج المتطورة، وبالتالي دور الجمعية لا ينتهي عند تخرج الطفل من الجمعية رغم أنه يستكمل برامجه العلاجية والتعليمية والتأهيلية، إلا أنه تتم المتابعة والتواصل مع أسرته من خلال فريق متخصص وذلك سواء التحق الطفل بمدارس التعليم العام لاستكمال مراحله التعليمية، أو بالمراكز التأهيلية الأخرى،وتتواصل رعاية الجمعية لمنسوبيها الذين يستكملون مراحل تعليمهم إلى الجامعة وإلى ما بعد التخرج حيث يتم إلحاقهم بالوظائف المناسبة، بل إن كثيراً من منسوبي



الجمعية الذين تخرجوا منها الآن هم موظفون فيها سواء في القسم التعليمي بالنسبة للفتيات أو الإدارات الأخرى للفتيان.

المنهل: سموكم الكريم .. هل يمكن إعطاءنا فكرة عن جائزة الجمعية وماطرأ عليها من مستجدات ؟

الجمعية صارت والحمد لله مؤسسة علمية وخدمية بارزة في قضية الإعاقة والمعوقين، وتعتبر جائزة الجمعية امتدادا لاستراتيجيتها في التصدي لهذه القضية من جوانبها كافة وعلى مختلف مستوياتها، ولهذا تحظى جائزة الجمعية بتقدير خاص لتميز تخصصها من خلال فروعها الثلاثة..

الأول: جائزة الخدمة الإنسانية وتهدف إلى الإشادة بالأعمال والنشاطات الخيرية والإنسانية والجهود والمساهمات المتميزة المتعلقة برعاية الأطفال المعوّقين بالمملكة كما تهدف إلى إبراز الدعم المعنوي والمادي الذي تتلقاه جمعية الأطفال المعوّقين لتتمكن من تحقيق أهدافها بما في ذلك بناء أو تطوير الجمعية أو أحد فروعها ومشروعاتها الخيرية. والجائزة عبارة عن اعتراف علني وتكريم للشخصيات البارزة التي أسهمت في مجال الخدمة الإنسانية في المملكة العربية السعودية وتتكون من: وثيقة منح الجائزة تحمل اسم الجمعية وشعارها وشعار الجائزة واسم الفائز بها وتتضمن مبررات المنح، وتمنح الوثيقة للفائز في حفل خاص يقام لهذا الغرض ووضع اسم الفائز في لوحة الشرف الخاصة بذلك في مقر الجمعية الرئيسي ومراكزها الفرعية وتمنح الجائزة مرة واحدة في كل دورة من دورات الجائزة (كل ثلاث سنوات) في احتفال يقام لهذا الغرض، ويتم الترشيح للجائزة من المؤسسات والهيئات والمراكز العاملة في

الجمعية.. أصبحت شريكاً فاعلاً في خلق ثقافة المجتمع

★★★★★★

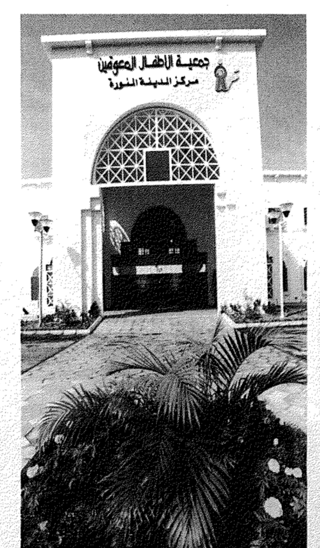
المملكة ذات العلاقة باهتمامات الجمعية، وأعضاء الجمعية العمومية للجمعية، وتختار لجنة الجائزة بالجمعية الفائز بعد دراسة وافية لكافة الترشيحات التي ترد إليها من الجهات الحكومية والأهلية ومن أعضاء الجمعية العمومية بالجمعية.

أما الفرع الثاني فهو عبارة عن جائزة للبحث العلمي وتهدف إلى تشجيع البحث العلمي في مجال الإعاقة والتأهيل، وتتكون الجائزة من: جائزة



مالية قيمتها مائة ألف ريال سعودي لكل فرع من فروعها، ووثيقة منح الجائزة تحمل اسم الجمعية وشعارها وشعار الجائزة واسم الفائز بها، ووضع اسم الفائزين في لوحة الشرف الخاصة بذلك في مقر الجمعية الرئيسي.

وتمنح جائزة الجمعية للبحث العلمي في ثلاثة مجالات هي: التأهيل، التربية الخاصة، الطب والعلوم الطبية. وتقبل الترشيحات للجائزة من الهيئات العلمية والجامعات والمؤسسات الطبية والبحثية والاجتماعية كما تقبل الترشيحات الفردية. وتمنح جائزة الجمعية للبحث العلمي للباحثين الأفراد كما تمنح للهيئات والمراكز العلمية





المتخصصة ممن ساهموا مساهمة فعالة بأبحاث علمية متميزة في مجال الإعاقة والتأهيل أو عملوا على تطوير وسيلة أو عقار طبي أو أجهزة غير مسبوقة لمساعدة الأطفال المعوّقين.

كما تم إقرار فرع ثالث للجائزة، وهو جائزة التميز للمعوّقين ، وخصصت الجائزة لمن تغلّب على إعاقته وتميز في مجال من المجالات.

المنهل: مسابقة الأمير سلطان لحفظ القرآن الكريم للأطفال المعوقين تكاد تكون المسابقة الأولى من نوعها على مستوى عالمنا العربي ، وبتمويل خاص من لدن سموكم فليحدثنا سموكم عن المسابقة وما وصلت إليه وما تحقق من نتائج؟

إن أي نجاح حققته المسابقة لم يأت من فراغ بل جاء في ظل العناية الكريمة لحفظة كتاب الله في المملكة وفى إطار الرعاية المتميزة التي تحظى بها فئة المعوّقين من رعاية ودعم، من حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - ومنذ بدء الدورة الأولى للمسابقة في عام ١٤١٧هـ وحتى الآن، تشير الدلالات الرقمية للمشاركين في فعاليات المسابقة إلى تزايد إقبال المؤسسات التعليمية



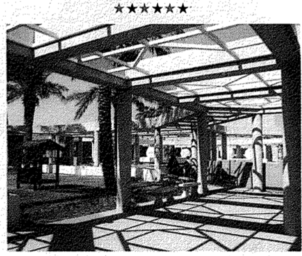




والهيئات والجمعيات المعنية بخدمة المعوّقين على المسابقة، حيث إنّه قد شارك على مدى السنوات السابقة أكثر من (١١٧٤) متسابقاً ومتسابقة. كما أن التوسع في المسابقة خليجيا وتطويرها لتشمل الأطفال المعوقين بالمؤسسات الخيرية والتعليمية بدول مجلس التعاون، كان خطوة مهمة في مسيرة المسابقة، وقد كان لتطبيقها في الأعوام الماضية آثار إيجابية واسعة النطاق في دعم أواصر التعاون بين المؤسسات والهيئات الخيرية والتعليمية بدول الخليج والجمعية مما أعطى للمسابقة عمقا إقليميا متميزاً.

الجمعية تخطت دورها الخدمي الخيري وأصبحت مركزاً علمياً وتدريبياً وبحثياً

★★★★★★



المنهل: من الوسائل التثقيفية التوعوية إصداركم مجلة (الخطوة) المتخصصة في مجال المعوقين والإعاقة ، فهل هناك خطط تطويرية لوضعها على خارطة التسويق دعما لموارد الجمعية؟

شكلت الجمعية لجنة للإعلام والعلاقات العامة انطلاقا من إيمانها بأهمية الدور الإعلامي بصفة عامة وبصفة خاصة للجهات الخيرية وتأتي مجلة (الخطوة) ضمن الرسالة الإعلامية التوعوية للجمعية وهي مجلة فصلية متخصصة في مختلف مجالات الإعاقة، واستطاعت حقيقة هذه المجلة أن تجد لها مكانا بارزا بين المجلات المتخصصة كافة، حيث نحرص دائما على تطويرها وإمكانية الاستفادة منها على مختلف المستويات ونحن نتفاءل إن شاء الله تعالى أن تحقق نجاحا في ذلك.

المنهل: المرأة نصف المجتمع كما يقال .. ما مدى إمكانية تمثيل المرأة في عضوية دورات مجلس ادارة الجمعية والمشاركة الفاعلة في اجتماعاته عن طريق الدائرة المغلقة؟

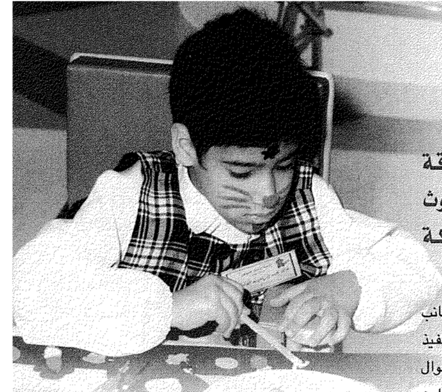
الجمعية تعتبر من المؤسسات الرائدة في تأهيل وتدريب وتوظيف القطاع النسائي في مختلف الأقسام والوحدات المتخصصة في كل مراكز الجمعية ، وقد نجحنا والحمد لله في سعودة الأقسام التعليمية بنسبة ١٠٠ ٪ من المعلمات ومساعدات المعلمات والمشرفات والمربيات، وأكثر من ٩٠٪ من المنتسبات في أقسام الخدمة الاجتماعية والطبية ، والجمعية حريصة على مشاركة القطاع النسائي في مختلف جوانب العمل فيها.. كما أن معظم لجان الجمعية التطوعية يمثلها النساء ، وفي كل فعاليات الجمعية للمرأة دور كبير في التنظيم والإعداد والمشاركة وعلى سبيل المثال مسابقة القرآن الكريم وملتقيات التوظيف بالجمعية وغيرها الكثير من الأنشطة.

المنهل: في هذا الصرح الرائد في مجال خدمة المجتمع .. ما هي أبرز المشاكل والعقبات التي تعترض مسيرة الجمعية؟

ان تمويل الخدمات التعليمية والعلاجية والتأهيلية المجانية للأطفال المعوقين تمثل هاجسا مستمرا لمجلس إدارة الجمعية ، وخاصة مع اتساع دائرة نشاطات الجمعية وتعدد مراكزها فقد وصل عدد مراكز الجمعية الآن ستة مراكز في الرياض ،ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والجوف، وحائل، بالإضافة إلى مشروع مركز عسير وهو السابع في منظومة مراكز الجمعية ، وبالتالي تضاعفت ميزانيتها ومن ثم تزايدت الحاجة لمصادر دخل ثابتة ودائمة تسهم في دعم موازنة الجمعية خاصة في ظل التراجع الذي شهدته حصيلة التبرعات في السنوات الأخيرة وهي مصدر التمويل الرئيسي لنفقات تشغيل مراكز الجمعية وخدماتها المجانية ، وهو ما دفع الجمعية لبدء







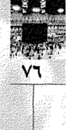
مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة أول مركز متخصص في بحوث الإعاقة في المملكة

★★★★★★

تنفيذ استراتيجية مالية جديدة تتضمن إلى جانب تنشيط التبرعات عدة محاور أهمها دراسة وتنفيذ سبل وقنوات الاستثمار المناسبة لتنمية أموال وموجودات الجمعية وتوقيع اتفاقيات تعاون مشتركة طويلة المدى مع عدد من المؤسسات والشركات والبنوك الوطنية وتبني برامج وأنشطة تحشد الدعم للجمعية ثم إيجاد مشروعات أوقاف خيرية في المدن والمناطق التي أقيمت بها مراكز الجمعية تحت إشراف لجنة الأوقاف بالجمعية وتضم نخبة من أصحاب الفضيلة العلماء يدعمهم فريق عمل إداري من الجمعية وتخصص إيرادات الأوقاف لدعم موازنة المراكز.

المنهل: لسموكم اهتمامات خاصة بقضية الإعاقة من منظور أعم وأشمل ولسموكم العديد من البصمات على هذا الصعيد ، هلا تكرمتم بإعطائنا فكرة عن أهم ما يشغلكم تجاه الجمعية ودورها وأهدافها؟

من خلال تجربتي أستطيع أن أؤكد أنّ الإعاقة قضية اجتماعية واقتصادية تهم المجتمع بأسره ، وأنّ الاهتمام بهذه الفئة ينعكس إيجاباً على باقي فئات المجتمع ، ولأن الآثار السلبية للإعاقة تظل مستمرة مع المعوق طوال حياته بالتالي من الضرورة توفير الرعاية المتكاملة للمعوق وإتاحة الفرصة له لتطوير قدراته وإمكاناته بما يمكنه من خدمة نفسه ومجتمعه، ويكون إضافة لقوى الإنتاج الوطني. وفيما يتعلق بموقعهم في فكري، فإنّ طموحاتي لهم بلا حدود، ودائماً ما أقول إنني أتطلع إلى اليوم الذي نستغني فيه عن مراكز الرعاية والتأهيل وذلك عن طريق البحث العلمي الذي سيسهم بإذن الله تعالى في الحد من الإعاقة والارتفاع بمستوى خدمات الرعاية المقدمة للمعوقين عن طريق الاكتشاف والتدخل المبكر ، وإن كان هذا حلم غير واقعي إلاّ أنّه يعني نجاح جهودنا في الوقاية من الإعاقة بمشيئة الله. ورغم ذلك فان أهم ما يشغلني بالنسبة للجمعية ان تظل على الدوام محل ثقة المجتمع فيها كمؤسسة تقدم الرعاية الشاملة المتخصصة للطفل المعوق وفقاً لأرقى ما يطبق في المراكز المتخصصة في العالم، وهنا لا نتحدث عن رعاية لمدة عام أو عامين، ولكن عن رعاية تبدأ من سن الميلاد وحتى سن الثانية عشرة من عمر الطفل أو الطفلة، وهو سن التخرج من الجمعية، ثم مواصلة الطريق من خلال الدمج بمدارس التعليم العام، وهي عملية شاقة ولكن بفضل من الله تعالى، ثم بدعم الدولة غير المحدود لمشروعات الجمعية وتوسعاتها، وبالتفاعل الكريم من أهل الخير سنواصل مواجهة قضية الإعاقة وقاية وعلاجاً بهدف الحد من آثارها السلبية على أفراد المجتمع كافة وليس فقط على المعوق وأسرته.



من أعلام الحرمين الشريفين

ومنهم العالم العلامة الثقة برهان الدين ابو اسحاق الشيخ إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم بن سعيد الاربلي القاهري المدني المقرئ ويعرف بابن الجابي وبالمسروري مقرئ الحرمين الشريفين معاً كما ذكره الإمام تقي الدين الفاسي في تاريخه العقد الثمين من سكان مكة شرفها الله وذكره الإمام شمس الدين السخاوي في التحفة اللطيفة من سكان المدينة الشريفة.

وقد ولد رحمة الله عليه في القاهرة في شهر ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وستين وستمائة من الهجرة المباركة بخان مسرور ولذلك لقب بالمسروري فنشأ نشأة صالحة ودرس بين يدي علماء كثر يشار إليهم بالبنان. وسمع من النجيب الحراني وسمع على القاضي عماد الدين علي بن صالح المعروف بابن ابي عمامة المصري مسند الإمام الشافعي وحدث به عنه وحدث عن القاضي شمس الدين محمد بن العماد المقدسي وأخذ القراءات عن جماعة منهم الشطنوفي والتقي الصائغ الفاسي وغيرهم. سمع عليه قاضي مكة ابو الفضل محمد بن أحمد النويري المسند وغيرهما من اعيان الحرمين الشريفين. فبلغ من الاقراء وعلوم القرآن الكريم مبلغاً جعله يحظى بمشيخة القراء بمكة شرفها الله. فتصدر للإقراء بالحرمين الشريفين وأقام بمكة شرفها الله مدة طويلة ثم استوطن المدينة الشريفة وناب فيهما في الإمامة والخطابة أحسن قيام.



ضياء محمد عطار

المدينة المنورة

وشهد له بحسن الأداء وأقر له كل خطيب وإمام. ونشر علوم القرآن الكريم والقراءات السبع. وممن ترجم له الحافظ الإمام شهاب الدين ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.. والإمام الذهبي والعلامة ابن فرحون مؤرخ المدينة في نصيحة المشاور. وكل أثنى عليه بما هو فيه من العلم والتقى والمكانة. وقد وصفه الجمال بن ظهيرة بالمسند المعمر بقية المشائخ المسندين شيخ القراء والمحدثين والمتصدر بالحرمين الشريفين. وكان رحمة الله عليه شيخاً مهاباً عليه سكينة ووقار، حسن السمت، مليح الشيبة، حسن الوجه، كثير الصمت، صبيح النقيبة، وقد عمر رحمة الله تعالى حتى كف بصره

فصبر واحتسب على الله تعالى وتوفي بالمدينة المنورة على صاحبها ازكى الصلوات واطيب التحيات. وكانت وفاته في الثالث والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة ودفن بالبقيع الشريف قريباً من قبر سيدنا عثمان بن عفان أمير المومنين رضي الله تعالى عنه، وكان عمره يوم توفي ثلاث وثمانون سنة حسب تقديري رحمة الله عليه رحمة الأبرار.

ومنهم العلامة أبو محمد عفيف الدين الشيخ عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي الشافعي المكي رحمة الله عليه.

ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة للهجرة المباركة تقريباً حسبما ذكره الإمام السخاوي في التحفة اللطيفة وعده من سكان المدينة الشريفة فحفظ القرآن الكريم وأخذ عن ابي عبدالله الذهبي والشرف أحمد بن علي الحرازي قاضي عدن ومفتيها ثم حج سنة اثنتي عشرة وسبعمائة للهجرة المباركة وعمره حينئذ أربع عشرة سنة

وبعد أداء المناسك رجع إلى اليمن وصحب أبا الحسن الطواشي فانتفع به وبعلومه، وسلك على يديه طريق الزهد والخلوة والتنسك، وحبب الله عز وجل إليه الخلوة والانقطاع عن الناس. ثم عاد إلى الديار الحرمية والاباطح المكية المشرفة سنة ثمان عشرة وسبعمائة وهو شاب يافع وقد بلغ من الحال ما بلغ من الرجال الأقوياء في المجاهدة وتصقيل النفس وترويض الجوارح. وسمع بها قراءاته على الرضى الطبري الكبير وعلى النجم الطبري وبحث عليه الحاوي والتنبيه.

وأصبح من العارفين بالله السالكين إلى الله. عالماً بفنون الفقه والأصول واللغة والفرائض والحساب وغيرها من العلوم. وكتب كتبا في صنوف من العلوم ومنها (المرهم في أصول الدين) ونظم قصيدة في نحو ثلاثة آلاف بيت في اللغة العربية وغيرها من الفنون وله تاريخ ابتداء من أول الهجرة، وروض الرياحين في أخبار الصالحين، والارشاد، والتطرين، والدرة المستحسنة في تكرير العمرة في السنة. وكان كثير العبادة على جانب عظيم من الورع والتقى، وافر الصلاح، يحب العزلة، وينقبض عن أهل الدنيا مع انكاره عليهم ويتسربل الايثار والقرب من الفقراء. ورحل إلى الشام وزار الخليل والقدس الشريف ثم دخل مصر مختفياً وزار الإمام الشافعي وغيره وكل ذلك قدم التجريد ولم تفته حجة في كل تلك السنين. ثم استقر بمكة شرفها الله وكأن لسان حاله يقول:

وألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم تصدى للتصنيف والاقراء والتعليم والاسماع وصرف أوقاته كلها في وجوه البر والعلم وممن أخذ عنه من العلماء الكبار العلامة زين الدين العراقي ومؤرخ ومحدث مكة جمال الدين بن ظهيرة. وقد أثنى عليه البدر بن حبيب في تاريخه والاسنوي في طبقاته وقال إنه جاور المدينة مراراً وأثنى عليه الخزرجي في تاريخ اليمن. وذكر العلامة ابن فرحون على ما ذكره الإمام السخاوي في التحفة اللطيفة: أن مناقبه وكراماته وأقواله وعلومه ومصنفاته ومجاهداته لا يحصرها أحد ولا تنتهي بالعد.. انتهى.

وقد توفي إلى رحمة الله تعالى بمكة المشرفة في جمادى الثانية سنة ثمان وستين وسبعمائة من الهجرة عن عمر ناهز فيه السبعين عاماً تقديراً. ودفن بالمعلاة بالحجون بمكة شرفها الله إلى جوار الفضيل بن عياض. وبيعت حوائجه الرثة القديمة بأغلى الأثمان حيث بيع له مئزر عتيق قديم بثلاثمائة درهم وطاقية بمائة درهم وهكذا، ومن نظمه:

ألا يا أيها المغرور جهلاً بعزلتي
عن الناس ظنا أن ذاك صلاح
تيقن بأني حارس سر كلبة
عقور لها في المسلمين نباح
ونادى منادي القوم باللوم معلنا
على يافعي ماعليك جناح

وقوله أيضاً:

يا غائباً وهو في قلبي يشاهده
ماغاب من لم يزل في القلب مشهودا
إن فات عيني من رؤياك حظهما
فالقلب قد نال حظا منك محمودا

رحمة الله عليهم جميعا..

مطلق مخلد الذيابي

"سمير الوادي"

عثمان محمد مليباري - مكة المكرمة

من مواليد عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ولد عام ١٩٢٧م الموافق بالعام الهجري ١٣٤٦هـ في عمان في منزل والده (مخلد حبيب الله الذيابي) الذي رحل من الحجاز مع جلالة الملك عبدالله بن الحسين إلى الأردن (أثناء قيام الدولة السعودية وتولي جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود على الحجاز) التحق - وهو في السابعة من عمره بالمدرسة الابتدائية تعلم في صفوفها قراءة الكلمات والجمل وكتابتها وتلاوة القرآن الكريم وحفظ بعض السور ومجمل الآيات بشكل متقن وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره التحق بالجيش الأردني متطوعاً وظل جندياً فيه لمدة ست سنوات تعلم في خلال هذه المدة أنواع التدريب العسكري لمحاربة العدو المحتل في ديار الشام إلا أن لغماً انفجر



تحت مدرعة كان يقودها بنفسه فقلبت وقتل زميله في الحال الذي كان في مقصورة القيادة أما هو فقد نجا من الموت بأعجوبة وكتب الله له عمراً جديداً ولجأ إلى أحد الخنادق وعاش فيها مختفياً

لمدة ثلاثة أشهر في الوقت الذي ظن والده أنه من جملة الذين بذلوا أرواحهم في سبيل طرد العدو المحتل. وعندما حانت الفرصة عاد إلى أهله إلى أبيه وأمه سالماً وروى لهما وأصدقائه ما لقي من متاعب ومصاعب. وكيف تغلب عليها ببسالته وشجاعته على إثر انفجار مدرعته وكانت لديه رغبة جامحة في مواصلة التعليم وتثقيف نفسه بواسطة القراءة الجادة والاطلاع المستمر أملاً منه في الحصول على درجات علمية وشهادات متفوقة وقد شجعه والده على ذلك خاصة بعد أن أصبح موظفاً في البريد الأردني كما أن والده كان يصحبه معه إلى قصر الملك عبدالله بن الحسين للسلام عليه ويلقي الشعر الذي يحفظه بين يديه بأسلوبه الشيق وأدائه الجيد الأمر الذي دفع الملك/ عبدالله إلى تشجيعه وبالتالي أغدق عليه حبه وحنانه كواحد من أبنائه ولما مات الملك عبدالله بن الحسين تأثر والد شاعرنا بهذه الوفاة وبعد مضي أسابيع عاد والد شاعرنا إلى الحجاز ورأى أهله وعشيرته في مكة المكرمة.. فقرر الاستقرار فيها لدرجة أنه أرسل لابنه الشاعر رسالة طلب منه فيها وهذا نصها (التوجه إلى الحجاز مع كافة أفراد الأسرة لأنني عزمت الاستقرار فيها وعليك أن لا تلتفت خلفك) ونفذ شاعرنا أمر والده بأسرع وقت وودع الأردن وأهلها بهذه الأبيات ولم ينس الإشارة لوالدته التي دفنت في ثرى الأردن.. في مقبرة (السلط) بالأردن:

يسافر الفكر.. صوب (السلط) ينقلني
إلى ربوع السنا من تراب أوطاني
تلك التي راقني ثوب الشباب بها
مرابع العز ظلت ملء وجداني
بلاد خير.. رعى الخلاق.. ساحتها
ورد عنها.. بلاء الطامع الجاني
وإن لي في ثرى الأردن (جوهرة)
سقى الإله ثراها.. غيث هتان

وعندما وصل إلى السعودية وجد وظيفة إذ أصبح وكيلاً للجوازات والجنسية بمكة المكرمة فترة من الزمن حتى عين مذيعاً في الإذاعة السعودية التي كان مقرها في مكة المكرمة.. وكانت هذه الوظيفة بالنسبة إليه مناسبة لأن الله أنعم عليه حنجرة صوتية عذبة إضافة إلى أنه كان يتمتع بثقافة أدبية ومدارك ناضجة. وقريحة خصبة في الشعر والنثر معاً وعندما دخل باب الإذاعة ظهر نشاطه وحيويته فأذاع الأخبار ثم قدم العديد من البرامج الأدبية مثل (برنامج خاطرة) و(ثمرات الأوراق) ومن البرامج الشعبية (البادية) إذ قدم فيه التراث الشعبي الذي احتوى على قصائد شعبية وروايات صادقة عن كرم أبناء البادية في الماضي والحاضر هكذا كان لشاعرنا صولات وجولات في الإذاعة.. عمل في الإذاعة كأديب بارع يتمتع برائع النثر وعطاء الشاعر المتدفق من أجل تحريك عجلة الفكر وإبراز حركة الإبداع في سماء وطنه. سأكتفي بهذا القدر عن حياة الشاعر (مطلق مخلد الذيابي) ونشاطه في الإذاعة السعودية عند التحاقه بها.. ودعونا نتجول في ديوانه الأول (أطياف العذارى) الذي أنجزه النادي الأدبي الثقافي بجدة، حقاً إن الديوان اتسم بالتعبير عن الوجدان ونغم الشعور الحي الذي يخاطب العاطفة ويستثير المشاعر.

ظمئي.. من يروي لي ظمئي
إني أتلظى.. أتحرق
ظمئي.. من يروي لي ظمئي
فهناك السلسل يتدفق
من نبع مرابع.. فاتنتي
من وجه في الدنيا أشرق
العين هنالك وأحزاني
وأنا بالدمع، هنا أغرق
والقيد أراه.. يكبلني
فلماذا أسموني.. مطلق؟

قصيدة (يا منية القلب): ابتعدت عن اللجلجة اللفظية والنبرة الخطابية وفي الوقت نفسه امتازت بالبساطة في التعبير والقرب من النفس:

بيننا يا منية القلب.. نداء
هو يدعوني – فهل لي – باللقاء
وأنا أدعوك.. يا ملهمتي
للقاء الروح.. في ظل الصفاء
كيف يمضي العمر – لا تجمعنا
ساعة نظفر فيها بالهناء
قلبي يهواك.. على البعد فكم
آثر الكتمان يثنيه الحياء
فكم سوف تغدو يا هنائي روضة
تنفح الدنيا.. بآيات العطاء
فرسول الحب ألقى.. بيننا
بذرة باركها.. رب السماء

شعره لا يخلو من نبضات عاطفية وذكريات وجدانية التي تثير كوامن الشوق والأشجان.. تقرأ في قصيدته (عندي الرسائل) عبارات الحب والهيام.. والأشواق والأمل:

من غير ذنب تبترين مودتي
ماذا دهاك؟ ومن بغى إقصائي
إن كنت أنت فلِمَ رجوت تقربي
عندي الرسائل لا أذل إبائي
أنت التي أزعجت ساكن مهجتي
بنداء قلبك.. راجياً للقائي
لكنني لما تعلق –خافقي
بهواك.. لم يُسمع رنين ندائي

كان يجلس شاعرنا في مقهى أحد الفنادق الكبيرة في بيروت يحتسي القهوة التركية مع زميل له في الإذاعة فرأى فتاة ريانة الصبا.. ساحرة العينين حسنها الطاغي روى فؤاده بالهوى بعد أن تاه زمناً في بيداء الظماء فأخرج قلمه وكتب هذه الأبيات في كراسته الصغيرة:

كان يوم.. في حياتي.. قد أضاء
ضحك الإصباح فيه والمساء
ما الذي يلهب بي وَقْدَ الهوى
بعد سلواني لأسراب الظباء
إنه ذو الحسن ريان الصبا
ساحر العين به القلب استضاء
حبه يملأ روحي.. ألَقَاً
فهو النعمة من رب السماء
حسنك الطاغي سبى منى الحِجَى
فترفق.. بالقلب الرجاء
لك حبي.. قلتها.. من لهفي
فأنا في الود.. أوفى الأوفياء
هيأ الله لقانا.. في الدنى
قبساً شع بروحي وأضاء

إلى أن يقول:

أنت أرويت فؤادي بالهوى
بعد أن تاه.. ببيداء الظماء
فاقترب يا نبع إلهامي.. أنا
خافق أهواك أنغام الصفاء

وإذا امتلأ ديوانه بالشعر الوجداني الذي يصف عواطف النفس من مسرات وأحزان من آمال وآلام في صور حيه أخاذة تجد في هذا الديوان أيضاً مقطوعات شعرية مفعمة بإحساس الشاعر القومي والوطني إيمانه بالفكرة الإسلامية.. بالدين الإسلامي الذي يدعو إلى التفاؤل وحب الحياة والحركة، إذ ينبغي على الأمة العربية الإسلامية أن تخدم قضيتها.. قضية فلسطين بكل الطاقات الإيجابية فتبادل الشتائم والانشغال بالقضايا الجانبية. لا يجلب النصر ولا يدفع العرب إلى العزة والمنعة.

الشتم في الأخوان منقصة
هذا التهاتر كم بنا أزرى
يتسع الأغيار سبتنا
وقلوبهم في فرحة.. كبرى
لم يرض دين الحق فرقتنا
بل قد دعانا نصلح الأمرا

****

الله قال: تعاونوا تجلوا
روح التوافق.. يطلع الفجرا
وبحبل ذات الله فاعتصموا
توحدوا.. وتعاظموا قدرا
يا أمتي حق الحياة.. لنا
والعز نحن بنيله أحرى

هذا وقد اهتم الصديق الشريف/ منصور بن سلطان بشعر شاعرنا مطلق الذيابي فأخرج له ديواناً آخر عنوانه (غناء الشادي) سنة ١٤٠٤هـ بمقدمة ضافية منه.

د. غسان بن علي الرمال

مدير إدارة الدراسات والبحوث رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة

تشكل الرحلات الأوروبية إلى العالم الإسلامي رافداً من روافد استقاء الدروس والعبر خلال تشكيلها لجزء من نمط العلاقات بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، وقبل ذلك كله كانت تلك الرحلات والأسفار من أوائل السبل لطلب العلم في تلك العصور، حيث كانت الكتب نادرة، وكانت الدراسات الميدانية هي التعويض المنافس لفقدان المصادر والمراجع، عرفت تلك العلاقات قبيل ظهور الإسلام بالعلاقات بين الشرق والغرب، وما أن ظهر الإسلام وتوطدت أركانه في بعض أطراف العالم المسيحي في أسبانيا وصقلية حتى انحصرت العلاقة بين عالم إسلامي وعالم مسيحي، عالم مسيحي تقوده الكنيسة في روما مع أجنحة متحركة لها في القسطنطينية وفلول الأسبان في منطقة الباسك في الأندلس،



النزعة الصليبية في بعض الرحلات الأوروبية

محاور الرحلات إلى الشرق الإسلامي كانت متنوعة ومتعددة..

الم إسلامي تزعمته دول إسلامية بدأت بالخلافة الراشدة ونهاية بالدولة العثمانية. لقد كان أهم درس في ذلك أن نجاح العالم الإسلامي راجع قبل كل شيء إلى وحدة ساكنه دائماً، وأن إخفاقه سببه التفكك، لهذا لم يكن من الغريب أن يكون لمجمل هذه العلاقات بين الطرفين أثرها البالغ في العالم الإسلامي بالدعوة إلى وحدته وترابطه وقد قدر لهذه العلاقات أن تتطور من وقت لآخر مع انتقالها أيضاً من موقع لآخر، فإن شكلت بعض المواقع الأوروبية اتجاهاً إيجابياً لهذه العلاقات ممثلا في ذلك الحضارة الإسلامية التي نشأت وترعرعت في أسبانيا وغيرها، فإن تلك العلاقات قدر لها أن تشهد جانبها السيئ والسيئ للغاية بالنسبة للعالم الإسلامي داخل أراضيه عندما نشبت الحروب الصليبية في الشام والعراق وفلسطين لمدة مائتي عام تعرف خلالها العالم الإسلامي على الجانب المظلم من الحضارة الأوروبية التي حلت داخل أراضيه.

لقد كان هناك الإسلام الذي عاين الغربيون روافده في أوروبا لكنهم لم يقفوا على مصدره، ومع جلاء الصليبيين عن أراضي العالم الإسلامي وعودتهم إلى بلادهم أدركوا تماما أن مصدر الإسلام أو قلبه النابض موجود في مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث البيت المعمور الذي تهوى إليه الأفئدة من شتى بقاع العالم ثم ذلك المثوى العظيم الذي يضم ثراه سيد البشرية جمعاء وأن المقاومة العنيفة لوجودهم في الشام



وفلسطين إنما كانت تستمد قوتها من هذا القرآن العظيم الذي نزل في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

من محاور الرحلات الأوروبية

كانت المعرفة الغربية للإسلام ترتقي وتتطور كلما ازدادت أوروبا ابتعاداً عن مشكلة الفكر الصليبي والعصور الوسطي، وما رافق ذلك من أكاذيب

ة إلى الديار الإسلامية

وأساطير، من هنا لم يكن بالغريب أن تتعدد محاور هذه الرحلات وتتنوع أسبابها بأهداف اندفاعها نحو العالم الإسلامي، فمنها ما كان للاستجمام والراحة وحب المغامرة والاستجابة لنداء الصحراء وغموضها، والتمتع بسحر وجمال الشرق ورؤية صورة الفارس العربي أو العرق العربي الصافي خاصة في الجزيرة العربية، ومنها ما كان لهدف علمي بحت كدراسة طبيعة الأرض، والقبائل ومعرفة الأماكن النفطية، والبحث عن أنواع جديدة من الزهور أو النبات، وغير ذلك مما تنبته أرض العرب، ومنها أيضاً ما كان بهدف الاطلاع على آثار الشرق.

والعودة بما خف وزنه وغلا ثمنه من الكتب والمخطوطات والمقتنيات الفنية، والحكايات التي اجتذبت الحالمين والرومانسيين إلى بلاد السندباد وطائر الرخ ومصباح علاء الدين على اعتبار أن الشرق يعتبر كنزاً حضارياً وثقافياً ومهبطاً

للأديان السماوية لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، وأيضاً لم يغب الهدف الاقتصادي التجاري عن هذه الرحلات وذلك ضماناً للمصالح التجارية وضم العالم الإسلامي إلى المجال الاقتصادي الأوروبي والتحكم في ممراته البحرية الهامة وهم إلى جانب هذه النزعة النصرانية في رحلاتهم لا يتركون بعض المعلومات جانباً والتي يرون أنها مفيدة لأوروبا، فهذا أحد رحالتهم ويدعى دي فارتيما يؤكد لأوروبا في ذلك الوقت (١٥٠٣ ـ ١٥٠٩م) عدم وجود الحديد أو الصلب أو المغناطيس في المدينة المنورة في وقت كانت فيه أوروبا قد بدأت بالتطلع إلى خارج القارة الأوروبية لتأمين هذه الخامات، كذلك لا ننسى رغبة الأوروبيين في الإطلاع على أحوال المسلمين والتعرف عليهم خاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويؤكد الرحالة دي فارتيما في مذكراته للأوروبيين بأن جسد الرسول (صلى الله عليه وسلم) غير معلق في الهواء كما كان الاعتقاد سائداً في أوروبا، وأنه زار قبره (صلى الله عليه وسلم) ـ رغم كونه مسيحياً ويروي كيف مكث بالمدينة المنورة ثلاثة أيام حرص خلالها على رؤية كل شيء فيها بما في ذلك وصف قبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، وما يحيط به من كل جانب، وعدد أبواب المسجد النبوي، وبعد هذه الزيارة يصف الإسلام بأنه مجرد هرطقات باطلة مما يؤكد على دوره الخفي في ظل هذه الرحلات.

هذا ولما كانت هذه الرحلات تصطدم ببعض العقبات لدخول الأماكن المقدسة الإسلامية لجأ بعض الرحالة إشهار إسلامه والتحق بالقوافل المتجهة إلى مكة، أما الآخرون فقد تحصنوا بلسان عربي وثوب إسلامي.

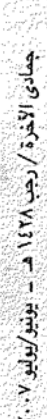
التنصير - التجارة - الآثار والمخطوطات - الاستكشاف.. كانت كلها من دوافع رحلاتهم..

★★★★★★

التعصب الديني.. وتحريف المعلومة:

وأما عن الحج إلى بيت المقدس في فلسطين وبقية المشاهد المسيحية الأخرى، فقد كان ذلك دافعاً للرحلات أيضاً لما للقدس من جاذبية طاغية بالنسبة للحجاج المسيحيين بسبب ارتباطها بقصة المسيح عليه السلام وقصص العهد القديم، وعلاقة ذلك بنشأة الرغبة في تأليف الكتب لإرشاد الحجاج المسيحيين إلى مواقع زيارة المشاهد المسيحية وتحديد المسافات بينها، هذا الأمر أيضاً لم يسلم من التعصب الديني لدى بعض الرحالة الغربيين عندما دونوا أسماء الأماكن الإسلامية بأسماء غربية فعلى سبيل المثال سجلوا مسجد قبة الصخرة باسم معبد السيد كذلك أطلقوا على المسجد الأقصى اسم معبد سليمان، ولم يقف التعصب أيضاً عند بعض هؤلاء الرحالة عند هذا القدر الذي وصلوا إليه، وإنما تجاوزا ذلك إلى مشاهد مزارات مسيحية لا أساس لها من الصحة، مثل الطريق إلى الجمجمة وهو طريق يعتقد المسيحيون أن المسيح عليه السلام سار به وعذب بالسياط حتى تم صلبه، وغير ذلك من مشاهد وآثار مسيحية ليس لها في التصور الإسلامي أي موقع.

كذلك كان هناك من امتهن مهنة الارتحال بناءاً على طلب من البابا أو أحد الملوك للاطلاع على أوضاع الأقليات المسيحية بها وإعداد تقارير عن أوضاعهم العقائدية، ومنهم من كان يفعل ذلك بدافع شخصي لكي يقدم ثمرة تجاربه إلى المسئولين، ولعل من الدوافع المهمة لتلك الرحلات



أيضاً ما كان له ارتباط باستراتيجية المستعمر للبلدان العربية والإسلامية التي استعمرها، فعندما بدأت هذه البلدان ترزح تحت نير المستعمر رغب في معرفة سر تأثير مناسك الحج على الحجاج العائدين من مكة، وذلك لما يلحظونه من مفارقات عجيبة على الحجاج قبل وبعد سفرهم إلى درجة أن الكثير منهم كانوا بمجرد عودتهم من الحج ينضمون لصفوف المجاهدين، وهذا ما أدى بالإمبراطورية الروسية إلى إيفاد رحالتها إلى الأماكن المقدسة الإسلامية لمعرفة سر هذا المنسك العظيم، وكذلك الحال بالنسبة لفرنسا التي وصل بها الأمر في بعض السنين إلى منع مسلمي الجزائر من الخروج لأداء فريضة الحج، ومما يؤسف له أن هذا التوسع الاستعماري الذي نظر إليه المفكرون الغربيون على أن حضارة أوروبية تزحف إلى الأمام لم يكن في واقع الأمر سوى محاولة للالتفاف حول قوة الإسلام البرية من حدوده الجنوبية، إضافة إلى محاولة أوروبا الإفلات من سجن البحر المتوسط الذي حبست فيه جميع الطاقات الأوروبية. وأخيرا ما كان للتجسس، والاستعلام، والاستكشاف وإثارة الفتن، وتهيئة الطرق أمام المستعمر نحو بلدان العالم الإسلامي والوقوف على طرق احتلاله، والقضاء على سلطان أهله السياسي.. فهذه الليدي إيستر ستانهوب خرجت إلى الشرق بدافع إعجابها الشديد بمدينة تدمر وملكتها القديمة، ولكنها ما لبثت ان تحدت الجميع وقامت بدعم حركات الفتن التي نشبت ضد محمد علي باشا في سوريا ولبنان وتولت مهام شراء الأسلحة وتوزيعها على الثائرين، حتى إنها باعت ما تملكه من حلي ومجوهرات في سبيل إثارة هذه الفتنة.

التعصب الديني دفع بعض الرحالة إلى تغيير مسميات الأماكن ذات الطابع الديني.

★★★★★★

جاءوا للتنصير.. وأسلموا:

وإنصافا للحق يجب أن لا ننسى أن العديد من هؤلاء الرحالة الغربيين الذين رحلوا إلى الشرق كانت تدفعهم النوايا السيئة إلا أنهم ما لبثوا أن استجابوا لنداء الإيمان فأسلموا وأقاموا في البلدان الإسلامية، وماتوا ودفنوا بها، ورغم أن غالبية المهتمين بالعالم الإسلامي مع بداية الرحلات الأوربية كانوا من رجال الدين المسيحيين الذين غالباً لم يستطيعوا أن يسيطروا على مواقفهم وعواطفهم خلال ما سجلوه من دراسات ومشاهدات لكن هذا الأمر سرعان ما تبدل واعتدل مع حلول القرن الثامن عشر الميلادي عندما بدأ العلماء والدارسون بالفصل بين الخرافات التي نسبت إلى العرب وبين الحقيقة التي بدأوا يتعرفون إليها عن كثب، كذلك فإن بعض الرحالة الأوروبيين عادوا إلى بلادهم ليدحضوا نظرية التفوق الحضاري لأوروبا ومنهم الرحالة ماركوبولو الذي خرج من أوروبا إلى الصين ثم عاد إليها بعد عشرين عاماً من الاغتراب لكي يمهد الطريق أمام الفكر الأوروبي لرؤية العالم على أساس الحقائق المشاهدة وليس على أساس الأفكار الفلسفية، أو المعتقدات الدينية فحسب، كانت هناك مجموعة من العوامل التي أدت إلى اتسام بعض هذه الرحلات بالنزعة الصليبية من ذلك اشتداد ساعد المسيحية واشتداد قوتها بظهور بابوية قوية نشرت

سلطانها في كل مكان، واستطاعت أن تسيطر على تلك الجهات سيطرة تامة، وأن تخضع لهيبتها ونفوذها جميع السلطات على اختلافها حتى الأباطرة على عظمتهم واتساع سلطانهم، ومنها أيضاً استحالة فصل الدين عن السياسة في أوروبا لأن الدين كان الموجه الأول والمكون لكل الفعاليات والتحركات السياسية حيث كانت الكنيسة تتدخل في كل شيء حتى مظاهر الحياة اليومية كانت مشبعة بالدين، ومنها أيضاً أن أوروبا ومعها البابوية - قد خرجت مهزومة في الحروب الصليبية التي قامت في الشرق الإسلامي – كانت تبحث عن أسباب إخفاقها في مواجهة الإسلام، كان ذلك مطلباً ينادي به كافة طبقات المجتمع الأوروبي أمثال البابوات، والملوك، والمحاربين، والأدباء، والوزراء، والأساقفة وسيل لا ينقطع من الحجاج العائدين من مدينة القدس، ولن يغيب عن ذلك أيضاً صورة المسلم في تقارير الإخباريين النصارى وتعمدهم تسميته بالمورو، عدو الله اللدود، وعدو نصارى الأندلس، وعدو المسيح، وأن ذلك هو فشل النصارى في المعارك وانهزامهم، وهو ما دعاهم إلى التواصل الدائم مع بعض المراكز المسيحية في الشرق الأوسط كبعض الكنائس في مدينة القدس، ومدينة الإسكندرية وما يتبعها من كنائس أخرى في الحبشة، ومنها أيضاً شعور أوروبا بضرورة وجود مواقع سياسية قوية لها قريبة من العالم الإسلامي ممثلة في قبرص، وصقلية وغيرها، وأخيراً البحث عن حليف مسيحي، ولو أدرك المسلمون هذا الدرس الذي سعت إليه أوروبا من أجل إقامة مواقع حليفة لهم داخل العالم الإسلامي لما تكررت مأساة فلسطين، ولكن مع الأسف لأننا لم نستفد من تاريخ علاقاتنا مع الغرب قديماً كان حرياً بنا أن نفقد فلسطين قطعة قطعة دون أن نحرك ساكناً.

بعض الرحلات كانت بدافع التمهيد لغزو العالم الإسلامي واستعماره..

★★★★★

ولا ننسى هنا الإشارة إلى أن هذه الرحلات التي قام بها الأوروبيون إلى العالم الإسلامي سواء منها ما كان إيجابياً أم كان سلبياً إنما كان نتيجة جهود المسلمين في الجغرافية إذ كانت كتابات العرب والمسلمين أساساً من الأسس التي شجعت هؤلاء الرحالة الأوروبيين على ارتياد ما كان مجهولاً لديهم من أرجاء الأرض سواء وصل إليها الإسلام أم لم يصل إليها. يقول المستشرق جوستاف لوبون في هذا المجال (فالعرب هم الذين انتهوا إلى معارف فلكية مضبوطة من الناحية العلمية عدت أول أساس للخرائط فصححوا أغاليط اليونان العظيمة في المواضع، والعرب من ناحية الريادة هم الذين نشروا رحلات عن بقاع العالم التي كان يشك الأوروبيون في وجودها فضلاً عن عدم وصولهم إليها).

جوانب ايجابية عند الرحالة:

ورغم ذلك فليس من مجال لأن ننسى الجوانب الإيجابية لهذه الرحلات وان ننوه بدور بعض هؤلاء الرحالة في الجهود التي قاموا بها كتدوين تراجم المحليين الذين عاصروهم، أو الإرشاد إلى الكثير من الآثار المقدسة سواء للمسلمين أو المسيحيين أم اليهود أو تدوين الملاحظات عن الكثير من نباتات وحيوانات المدن وكذلك طبقات أرضها أو تسجيل بعض المعلومات عن بعض الحركات الإصلاحية التي ظهرت في الجزيرة العربية كدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فالرحالة الفرنسي كورانسيز الذي زار بلاد

الشام عام ١٨٠٨م أثار اهتمامه وصول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى مكة المكرمة خلال عهد الدولة السعودية الأولى فجمع معلومات عنهم وزودنا بدراسة وافية عن نشأتهم وكيفية انتشار مذهبهم وعن عباداتهم وتقاليدهم وأساليبهم الحربية، وأهم الوقائع التي كان لها دور هام في تاريخهم منذ ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله) هذه المعلومات وردت ضمن كتاب: (تاريخ الوهابيين منذ النشأة حتى نهاية ١٨٠٩ باريس ١٨١٠) .

وفي الاتجاه نفسه سلك الرحالة الأسباني باديا دومنكو ما اتجه إليه الرحالة الفرنسي السابق معبراً عما جال في خاطره عقب زيارته للجزيرة العربية عام ١٨٠٧م ومنها مكة والمدينة المنورة حيث يخصص مساحة من ذكرياته للحديث عن ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مؤكداً أن الدعوة ظهرت في وقت اشتد فيه الجهل والخروج عن جادة الدين باتباع أصحاب الأهواء والملل الضالة والنحل المنحرفة والممارسات الدينية الباطلة، ثم ينتقل بعد ذلك إلى انتشار الدعوة الإصلاحية انتشاراً منقطع النظير في وقت وجيز من ظهورها وازدياد أتباعها وأنصارها في جهات متعددة من شبه جزيرة العرب، وكيف أنها أحدثت رجة في أوروبا وملأت دنياهم وشغلتهم لما سمعوا عنها من قوة الشكيمة، وكذلك لا يخلو بعض هذه الرحلات من إشارات تدل على حيادية بعض الرحالة وعدم تعصبهم كإشارة أحدهم إلى الأعمال البطولية التي كان يقوم بها المسلمون ضد الفرنجة خلال الحروب الصليبية في الشام وفلسطين.

ونظرة عامة إلى الرحلات الأوروبية المدونة نلاحظ أنها من الكثرة بدرجة يصعب حصرها فمنها ما ظهر، ومنها ما زال مخطوطاً، ومنها ما هو قيد الدراسة والبحث، وبعضها مما قد يجده المرء مصادفة في بعض النقولات والأبحاث ضمن الدراسات الغربية المعربة، ومما يؤسف له أن الكثير من كتابات هؤلاء الرحالة والحجاج لا زالت مدونة باللغات القديمة مثل اللاتينية والفرنسية القديمة واليونانية.

وفي سياقنا نحو هذه الرحلات لن نتعرض إلا لنماذج من الرحلات التي غلب عليها طابع العنصر الصليبي، وفي الوقت نفسه تحديد ميادين معنية تبرز لنا في ضوء هذه النزعة وما ترتب عليها من نتائج غير إيجابية.

من الرحالة من أوقدوا نار الفتنة الطائفية والقبلية واللغوية..

★★★★★

الرحلات.. والنزعة الصليبية:

يمكن القول أن أولى الرحلات الأوروبية إلى العالم الإسلامي التي حملت الروح الصليبية هي رحلاتهم إلى بلدان العالم الإسلامي بعد اكتساح المغول لها كالدولة الخوارزمية في إيران وما حولها، ودولة السلاجقة في الأناضول (آسيا الصغرى)، هذا التحرك كان وراءه مجموعة من العوامل في مقدمة هذا شعور أوروبا بخيبة الأمل بعد انكسار الصليبيين أمام صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين، وما أعقب ذلك من بداية انحسار نفوذهم في الشام وفلسطين، ورافق ذلك خوف أوروبا من بطش المغول الذين وصلت غزواتهم إلى هنغاريا، وما سمعوه من مذابح عنيفة تعرض لها سكان أوروبا الشرقية جعلتهم يسرعون الخطى نحو مساهمة هذه القبائل المتبربرة، ومن ثم تحويل ضررها نحو العالم الإسلامي.

تعددت الرحلات الأوروبية إلى فارس وآسيا الصغرى ووصل بعضها إلى قراقورم مقر الخان الأعظم للمغول وكما قلنا من قبل فإن هذه الرحلات من الكثرة بشكل لا يجدي معها سوى الاختصار وقد هدف جميعها إلى دعوة المغول لاعتناق المسيحية ومحاولة كبح جماحهم وإيقاف توسعاتهم والتعاون معهم لمحاربة المسلمين ضمن ما عرف بصليبية التتار، كان من أهم النتائج لهذه الرحلات اعتناق بعض زوجات أمراء المغول للمسيحية وبالتالي انتهاج سياسة العطف على رعاياهم المسيحيين وسوء معاملة رعاياهم من المسلمين، ومع سقوط بغداد بأيدي المغول أعفى أهلها المسيحيين من القتل بخلاف المسلمين الذي اشتد القتل فيهم، وكذلك عندما فتحوا دمشق تساهلوا مع المسيحيين من أهلها الذين أصبحوا بسبب هذا التساهل يشربون الخمر علناً في رمضان ويرشونها على المسلمين، وكانوا يمرون في الطرقات وهم يحملون الصليب ويجبرون المسلمين على القيام احتراماً وإجلالاً لهم، ويجاهرون بقولهم (ظهر الدين الصحيح دين المسيح)، وازداد الأرمن في إقليم جورجيا جرأة على المسلمين بقتالهم لهم إلى جانب المغول في آسيا الصغرى وبلاد الشام، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يقال إن أحد أمراء المغول فكر في القضاء على الإسلام وجعل مكة مركزاً لعبادة الأوثان، ولم يخلص المسلمين منه سوى موته، وأخيراً تأكدت أوروبا نتيجة هذه الرحلات أن الملك المسيحي الذي تبحث عنه (برسترجون) أو القديس يوحنا ليس موجوداً بين المغول وأن موقعه هو جنوب مصر.

قدر لغالبية النتائج السابقة أن تذهب أدراج الرياح من اعتناق المغول للإسلام وظهور دول إسلامية مغولية في إيران حسن إسلامها،

بعض الرحالة أعلنوا إسلامهم عن قناعة تامة.. وإيمان غامر..

★★★★★★

وشاركت بدورها في الأحداث السياسية للمنطقة باستثناء نتيجة واحدة تمسكت بها أوروبا واحتضنتها وهي قضية مملكة القديس يوحنا الموجودة في جنوب مصر ذلك الذي ألهب الحماسة الصليبية طيلة القرون التي سبقت مطلع العصور الحديثة، وأصبحت الركيزة الأساسية في سياسة البابوية تجاه العالم الإسلامي حتى تمكن البرتغاليون فيما بعد من الوصول إليه.

والقديس يوحنا هذا ومملكته قصد بها دولة الحبشة المسيحية (اثيوبيا) التي لم تتمكن أوروبا من الاتصال بها إلا عبر أوهام وأفكار دعاة الحرب الصليبية إذ كلما فشلت البابوية وأوروبا المسيحية في تحطيم العالم الإسلامي لجأ خيالهم الصليبي إلى هذه المملكة (الحبشة) للاتفاق معها على مهاجمة العالم الإسلامي من الجنوب عبر نهر النيل والبحر الأحمر.

كانت الخطوات التنفيذية لاتصال البابوية وأوربا بهذه المملكة عن طريق الحركات وفق ما أشرنا إليه في البداية فتم إيفاد مجموعة من هؤلاء الرحالة باسم العلم على فترات متتابعة إلى دولة الحبشة كان من أشهرهم دي كوفلهام، والفنوسو دي بايفا، وما تيو، ودي فارتيما أو الحاج (يونس المصري)، وجميعهم تنقلوا بين الجزيرة العربية والهند والمحيط الهندي والخليج العربي ولم يتمكنوا من الوصول إلى مملكة الحبشة باستثناء دي كوفلهام، والفونسو دي بايفا، وما تيو.

كان من نتائج هذه المرحلة من الرحلات تعمق

فكرة تكوين الأحلاف الصليبية من جديد ضد العالم الإسلامي، وضرورة فرض حصار اقتصادي ضد القوى السياسية الإسلامية في البحر المتوسط ، وحرمانها من المتاجرة مع أوروبا تمهيداً لإضعاف اقتصاد العالم الإسلامي، وأيضاً تأهب الحبشة المسيحية لمشاركة أوروبا في تحالف صليبي عسكري ضد العالم الإسلامي، كذلك ظهور فكرة ضرورة غزو مصر واحتلالها باعتبارها القلب النابض في ذلك الوقت لصد الهجمات الصليبية، وتحويل أقباط مصر إلى المذهب الكاثوليكي، وأخيراً تحقيق أهم هدف لتلك الرحلات وهو وصول البرتغاليين إلى جنوب العالم الإسلامي حيث نجحوا في ضرب الاقتصاد الإسلامي وفرض الحصار البحري أمام منافذ المسلمين في البحر الأحمر والخليج العربي، والمحيط الهندي وساحل شرق أفريقيا.

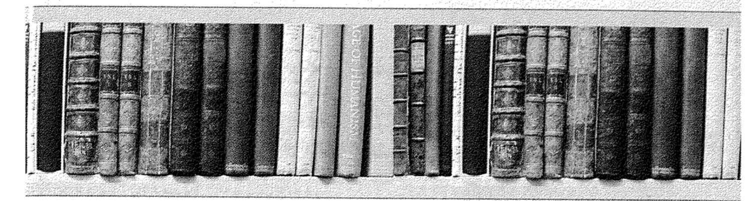
ومع تحقيق هذا الهدف سعت دول أوروبية أخرى للغرض نفسه وبالوسيلة ذاتها لتحقيق أطماعها الخفية في بلاد الشرق فمع نشوب الثورة الفرنسية في باريس عام ١٧٨٩م داعبت الآمال قادة فرنسا بالخروج إلى الشرق واحتلاله، وللتمهيد لذلك سعت فرنسا إلى إرسال العشرات من الرحالة الذين جابوا مصر والشام وفلسطين والعراق والخليج العربي بحجة التعرف على الإسلام وآثار الشرق، والدراسة في الأزهر وغير ذلك من المراكز العلمية المشهورة في ذلك الوقت، كان من أوائل هؤلاء الرحالة لاسكاريس الذي تم إيفاده إلى الشام لدراسة أوضاعها ومعرفة إمكانية وصول الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت إليها، ومنها إلى العراق لإنشاء قواعد بحرية في الخليج العربي لاعتراض سبل التجارة الإنجليزية في المحيط الهندي والبحر العربي، وفي مجال التنصير تم إيفاد الرحالة الفرنسي Vandal إلى لبنان الذي

المستشرقون ليسوا سواء.. منهم المنصف العادل في أحكامه ومنهم المتجني صاحب الغرض والهوى..

★★★★★★

لعب دوراً كبيراً في الإطلاع على كيفية انتشار المبشرين الفرنسيين في لبنان والطرق والأساليب المتبعة للتقرب من السكان،وليس من مجال هنا لمتابعة كافة الرحالة الفرنسيين فهم من الكثرة بحيث لا يفي معهم هذا المقال، على أن ما يهمنا في ذلك هو النتائج الخطيرة التي نتجت عن ذلك ولعل في مقدمة هذه النتائج قيام فرنسا باحتلال مصر، ومن ثم تهديد أمن بلاد الشام والحجاز، وهذا بدوره أيضاً أدى إلى تحويل أنظار المستعمر الأوروبي فيما بعد إلى مصر والشام وفلسطين والعراق وبلاد المغرب العربي، وازدياد النهم الأوروبي لسرقة وتجميع تراث الشرق من المخطوطات والآثار مما ساعد على نمو الوعي العلمي في أوروبا على إن من أخطر نتائج هذه المرحلة الأخيرة هو تحويل العديد من الأسر الإسلامية الشهيرة في لبنان إلى المسيحية، ويأتي في مقدمة هؤلاء أمراء آل شهاب الذين اعتنقوا المسيحية بعدما حكموا البلاد طوال سنين عديدة كونهم حكاماً مسلمين.

وبعد فلم يكن فيما أسلفنا القول فيه سوى النذر اليسير من العلاقات بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي من خلال الرحلات إلى بلاد الشرق لتبدأ بعد ذلك مرحلة من أخطر المراحل التي مرت بها العلاقات بين الطرفين، ونقصد بها مرحلة الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي والتي وضح من خلالها وعن كثب كيف نجحت بعض هذه الرحلات في وضع العالم الإسلامي تحت رحمة المستعمر.



فلاسفة وصعاليك

رُزق الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف النبوغ وهو طالب بالقسم الثانوي بالأزهر الشريف، إذ كان يكتب في المجلات الأدبية ذات المستوى الرفيع كتابة تحليلية لا يكتبها أساتذته، وحين التحق بكلية اللغة العربية اشتغل بالصحافة مع طلب العلم. فعاشر جماعة من أهل القلم، واختلط بهم اختلاط المتعلم المستفيد، ولم يلبث أن عُدّ من جماعتهم، حتى أصبح يكتب المقالة السياسية اليومية في إحدى الجرائد الشهيرة، وقد دفعه اتصاله الصحافي إلى صداقة نفر من كبار الأدباء والشعراء في مصر فروى عنهم كثيراً من أخبار الجيل الماضي، مما لم يُدونه أحد في كتاب،



أ.د. محمد رجب بيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر



تأليف الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف

وهذا المؤلَّف (فلاسفة وصعاليك) أحد ثمار هذا الاتصال، وأكثر مما استفاد من أخبار الجيل الماضي أتى عن طريق صديقيه الكبيرين عبدالعزيز البشرى وحسين شفيق المصري إذ كاشفاه بالجليل الدقيق من أخبار حافظ والمويلحي ومحمد عبده والأفغاني والمنفلوطي ومن لا أقدر على حصرهم من هؤلاء، وقد جمع في هذا الكتاب فصولاً عن بعضهم وبقيت فصول أخرى

في صورة لم يكتب لها أن تذاع إذ أنه انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل تدوينها المطلوب وقد سمى كتابه (فلاسفة وصعاليك) لأنه يجمع طائفة تمثل الفلسفة الذاتية ذات الطابع المنفرد مثل محمد المويلحي وطائفة تمثل الصعلكة المنحدرة مثل محمد الشربتلي، وقد قال عنهم جميعاً إنهم يعيشون في نطاق خاص يكفر بالنفاق الاجتماعي، والزيف السياسي، وقد لابسوا الحياة في سهولتها دون تعقيد والتواء، وكانوا لا يحتقرون في قرارة نفوسهم أحداً كما يحتقرون ذوي المال والمنصب والجاه من الذين رزقوا الحظوة دون موهبة خلقية أو ركيزة علمية. ولكن الظروف العابثة هي التي رفعتهم إلى القمة ورمت بذوي الفضل إلى الحضيض، وكانت مجالسهم ومحافلهم مورداً عذباً يختلف إليه الواردون فيفيدون منهم الكثير، أدباً وظرفاً ولطافة نكته، ودقة نقد، حتى اشتهروا بالنادرة الطريفة مع شهرة أخرى بالحاجة وضيق اليد، مهما سيقت لهم المرتبات والأموال إذ كانوا لا يبقون على شيء، وفيهم كمحمد البابلي مَنْ أفلس وبيعت أرضه ومنازله لإسرافه في الجود: وقد أراد الكاتب أن يربط بين صعلكة هؤلاء المحدثين، وبين صعلكة عروة بن الورد والشنفري وأضرابهما ممن اشتهروا بالبذخ في العطاء، مع السطو على أموال البخلاء ليبيحوها الفقراء، والربط هنا متكلف، لأن الزمن غير الزمن، والأخلاق غير الأخلاق.. وقد افتتح الكاتب مؤلفه بفصل شاف عن الندوات الأدبية في مصر من مطلع عصر النهضة، وهو فصل لم يكتبه سواه ممن تصدوا للحديث عن الندوات الأدبية والسياسية، وكل من كتب في هذا المجال عيال على صاحب (فلاسفة وصعاليك) لأنه نشر حديث هذه الندوات في أواخر الثلاثينيات بمجلة الرسالة قبل أن يلخصه في هذا الكتاب، لذلك ترى حديثاً شافياً عن أول ندوة علمية في عهد محمد علي ثم حديثاً عن ندوة "الأفغاني وما أثّر به في الحركة السياسية والأدبية معاً، وحديثاً عن ندوات أساتذة دار العلوم، وندوات الحلمية وباب الخلق، مع ذكر أسماء اللامعين في هذه الندوات، وطرفٍ من نوادرهم الجليلة، وإذا علم القارئ أن المظاهرات السياسية، والانتفاضات الاجتماعية كانت تدار في هذه الندوات أمكنه أن يعرف تأثيرها البعيد، لذلك كان يفضل الحديث عنها بهذه الإفاضة المسترسلة، والاستطراد المتنوع مما يسجل فصلاً من فصول التاريخ الحديث! وقد قُدِّر للأستاذ فهمي أن يشارك في ندوتي الحلمية وباب الخلق فكتب عما رآه وروى من الشعر طرائف كانت ستضيع في خضم الزمن لولا أن بادر بتسجيلها، وكم ضاعت طرائف كثيرة من هذا الوادي، إذ كنتُ – مثلاً– لا أقابل صديقي الأستاذ طاهر أبو فاشا إلا روى لي طُرفاً كثيرة مما دار في ندوة الشاعر الكبير حسن القاياتي! وهي طرائف تجمع بين النقد والسياسة والأدب والشعر وفي مدرسة هذه الندوة نبغ فريق من شعراء الشباب! فأين من يُسجل حديث هذه الندوة المعطاء.

الربط بين الصعالكة المحدثين والقدامى.. مُتكلف.. لاختلاف الزمن والأخلاق

وقد افتتح حديث الشخصيات بمقال رائع عن إبراهيم المويلحي الذي كان إماماً في الأسلوب البياني لعصره، كما كان داهية في مسائل السياسية عادَى وعُودي، وتآمر وائتمر به، ورحل وأقام، وعلا نجمه حينا ثم هوى حيناً آخر، وأذكر من طرائفه الجميلة التي رواها الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف هذه النادرة(١)

"كان إبراهيم المويلحي يمر على دكان الشيخ حسن مدكور بالحمزاوي وهو من كبار التجار في عصره، فسلم عليه ولكن الشيخ رد عليه في عدم اكتراث، وكأنه لا يستحق الرد المرحب، فأسرها المويلحي في نفسه، ومضى في طريقه بعض الوقت، ثم رجع ونادى الشيخ ليريه ما عنده من فناجين القهوة كي يشتري منها. فأخذ التاجر يعرض عليه بعض النماذج في احتفال، وهو ينتقي ويرفض، حتى اهتدى إلى فنجان صغير فاشتراه وسأل عن ثمنه فقال له التاجر: إنه يباع بقرش واحد، فأعطاه القرش، ثم أخذ الفنجان ورمى به في الدكان على البلاط فتكسر وقال للتاجر: *إن الذي يقوم ويقعد من أجل أن يبيع فنجاناً بقرش واحد، لا يجوز له أن يتكبر على الناس*، ومضى تاركاً الرجل في حيرة".

ومع ما يذكره المؤلف من طرائف الأخبار عمن يتحدث عنه فإنه لا يغفل الحديث عن مكانته الأدبية ومؤلفاته إن وُجدت، إذ يَعدّ آثارَه من أدلة فضله، وهو لا يفيض في هذه الناحية إفاضة المؤرخ، ولكنه يوجز في غير إخلال!

وإذا كان حديث المؤلف عن إبراهيم المويلحي الكبير يتضمن ما يعجب ومالا يعجب، وما يجيد وما ينتقد، فإن حديثه عن ولده الأديب الكبير محمد المويلحي حديث المعجب المباهي، وحقاً كان محمد المويلحي جديراً بالإعجاب والتقدير، فقد كان ذا منزلة رفيعة أدباً وخلقاً، كان لا يسمح لنفسه أن يُرى في غير مواقف المجد والشرف، وقد بلغ الزعامة الأدبية فيما تعاطاه من كتابة القصة الأدبية في كتابه (حديث عيسى بن هشام) وقد تحدث المؤلف عن الوالد والولد حين قال.

"*إن الوالد إبراهيم كان قُلَّباً، لا يصبر على حال واحدة، ولا يلزم خطة معينة، فمرة إلى اليمن ومرة إلى اليسار، أما ولده فقد كان صاحب مبدأ في الحياة، وعقيدة في الرأي يلتزم*

صاحب الكتاب (فلاسفة وصعاليك) سبّاق في الحديث عن الندوات الأدبية والسياسية في مصر

★★★★★★

جادة واحدة في سلوكه، ويرتبط بقيم خلقية واجتماعية، وللكرامة عنده المقام الأول، وفي سبيل الحفاظ على هذه الكرامة كان يحتمل ما لا يطاق الصبر عليه، حتى ليُروى عنه أنه لزم بيته عاماً كاملاً لأن يده لا تطول، ولو شاء أن يكون الذهب بين يديه لتم له ذلك، ولكنه لم يقبل أن يحني قامته في سبيل عرض زائل، ولم يكن يتحمل أن يتطوّل عليه صديق "بوساطة أو عارفةٍ يسديها إليه".

وهذا قول تواطأ عليه كل من كتبوا عن الرجل الأبي، وأذكر أنه في محنته المالية عرض عليه حزب من الأحزاب السياسية أن يكتب مقالاً أسبوعياً في جريدة الحزب مناصراً لسياسته وله ما يشاء من الراتب الممتاز، فغضب المويلحي أشد الغضب وقال كلمته الشهيرة (قلمُ المويلحيّ لا يباع).

وللمويلحي كتاب لم يشتهر هو كتاب (علاج النفس) وقد تحدث عنه الأستاذ بإيجاز غير مخل، وهو مثل حي في التأليف الخلقي، لأن الكاتب خبر نفسه، ودرس نوازعها، وجعل يسجل ما يأخذه على نفسه، وما يراه حميدا من مسلكه ثم كتب حصيلة ذلك في كتابه، فجاء درساً نافعاً لمن يحاول أن يرتفع بمستواه الخلقي عما يهدده من انحدارات الغرائز وجموح الأهواء

وإذا كان حديث المؤلف عن حافظ إبراهيم وإمام العبد وعبدالعزيز البشري مما اشتهر عنه وعن غيره، فإنه فاض في هذه الأحاديث الجميلة سابقاً غير لاحق، ومن كتبوا عن فكاهات هؤلاء وردوا مقالات محمد فهمي ونقلوا عنه، لأن فهمي -كما قلت من قبل- نشر هذه الفصول في

الثلاثينيات وقد جمع كتابه بعد ربع قرن من تأليفه، وفي هذا المدى ظهرت بحوث مستقاة من المقالات السابقة، وأذكر أني كنت بعض من كتب عن حافظ وإمام مستعيناً بسابقته، وقد أشرت إليه معترفاً بفضله، ولكن غيري لم يشر!

ومن الفصول القيمة التي كتبها الأستاذ فهمي مقاله عن الأديب الشاعر الكاتب محمد إبراهيم هلال، فقد كان في طليعة الأدباء المرموقين في مطلع هذا القرن، وقد كتب مقدمة ديوان حافظ إبراهيم في طبعته الأولى، فأخذ حافظ يباهي بها ويفاخر، كما كان واسع الثراء فاحتضن كثيراً من الأدباء والعلماء مسعداً بماله ومدده الذي لا ينقطع، والجواد المتلاف لابد أن تدور عليه الدوائر، وقد أدركته الحاجة في مختتم حياته، فكان يستدين لا ليأكل ويلبس بل ليجري على عادته في إسعاد القاصدين بما يرتجون من حباء! وكان من توفيقه المبتكر في دنيا البيان أنه عارض الأستاذ عبدالعزيز البشري في تصوير الشخصيات المرموقة تصويراً قلميا تحت عنوان (في المرآة) فبلغ تلك المعارضة مبلغاً عظيماً، وقد قال الأستاذ فهمي بهذا الصدد (٢).

"وهذا الفن الساخر الذي برز فيه محمد إبراهيم هلال" هو تصوير الأشخاص تصويراً يبرز خصائصهم، ويكشف دخائلهم وينشر من طبائعهم ما يحاولون أن يستروه من الناس، وقد بدأ محمد هذه الصور تحت عنوان (في المرآة) بالمجلة التي كان يصدرها، فلما أغلقها استأنف كتابة هذه الصور في مجلة الكشكول، وليس من شك في أن الرجل قد استفاد من الأساليب الأجنبية في مجال هذا اللون من الكتابة، ولكنه وجد من طبعه الفني استجابة قوية ومن هنا برزت شخصيته، وبرز إبداعه".

أما أطرف ما في الكتاب الفصلان الخاصان بوحيد الأيوبي، ومحمد الشربتلي، لأن كلا منهما كان مثال الشذوذ في بابه، فوحيد الأيوبي ثري

جمع مؤلف الكتاب بين طرائف الأخبار والمكانة الأدبية والعلمية عن من يتحدث عنهم

******

نشأ في نعمة وجاه، وشارك في السياسة مشاركة دعته إلى تأليف حزب سياسي له مبادئه، ولكن أحداً لم ينضم إليه، فأعلن أنه هو الحزب واختار سكرتيراً بأجر شهري يصدر قرارات الحزب ويعلن عنها في الصحف، وأصدر جريدة تنطق بلسان الحزب، ولا يقرؤها إلا من يريد أن يتندر أو يتفكه، وجعل يرسل البرقيات باسم الحزب إلى المسؤولين في انجلترا ومصر، تعبيراً عن رأي الحزب الذي يتمثل فيه وحده! وأنفق في سبيل ذلك ما لا يقل عما أنفقه في دنيا المكارم النادرة! ومما ذكره الأستاذ فهمي من نوادره "أن أحد الأثرياء الكبار كان يحتجز له مكاناً مرموقاً في مطعم شهير، وكان يبدي التقزز والنفور إذا مر به سائل فقير يتكفف، أو ماسح أحذية يرتزق، وينادي صاحب المطعم ليطرد هذا الذُبَاب!.. رأى الأستاذ وحيد الأيوبي هذا المتعاظم المغرور يتشامخ بماله وثرائه فأراد أن يعطيه درساً، فانتظر حتى إذا حانت من هذا المتغطرس ثورة على فقير هم بالمرور بين يديه وكان هذا المار ماسح أحذية يرجو أن يخدم هذا الكبير فينضوا الغبار عن حذائه، ولكن هذا المغرور قام منفعلاً قبل أن يقرب منه، ونادى صاحب المطعم آمراً بطرد هذه الحشرات البشرية التي ترقى إلى مجالس الذوات من الكبراء! كان وحيد يشهد هذا المتغطرس وقد نادى صاحب المطعم فانتفض من مكانه وذهب إلى الشارع القريب فجمع عشرين متسولاً من الفقراء، وكلهم بادي المذلة لباساً ومشهداً وانحناءً وانكساراً، وأمر صاحب المطعم أن يُعد الأطعمة الفاخرة لهؤلاء حيث يجلسُ كل آكل في

مكان مـرمـوق لا يقل عن مكان هذا الثـرى، ويتناولون طعامهم مما يتناول دون نقص، وفوجئ المغرور بهذا المشهد، فقام غاضباً، ولكن على مَنْ يغضب؟ على صاحب المطعم وقد قال له: إنهم يشترون الطعام كما يشتري فعلام تمتعض؟ وأرى أن هؤلاء كانوا في حاجة إلى ثمن الطعام الفاخر دون أكله ليكفيهم عدة أيام، ولكن هكذا فعل وحيد!

وهذه طرفة من طرف مكارمه، أما اقتحامه المجال اللغوي للتحقيق فكان إحدى الغرائب، حيث أخذ يبحث عن معاني بعض الكلمات الغامضة، ويكتب في الصحف أنه سئل عن معنى كلمة كذا؟ وأن الجواب كذا؟ وبعض الصحف كانت تنال من رفده، فكانت تصف الكاتب بالعلامة اللغوي الدقيق، وأذكر أن الدكتور طه حسين كتب عنه مقالاً ساخراً بالجزء الثالث من كتاب حديث الأربعاء يرميه بالادعاء، ولكن القراء أُعجبوا باقتحامه ميدانا لا صلة له به، ومنهم من أثنى عليه ثناء كبيراً، وهو الأستاذ الكبير محمد كرد علي حيث خصه بحديث رائع في مذكراته إذ كان رئيساً لجماعة سماها (البعكوكة) تجتمع في بعض المقاهي الكبيرة، ويؤمها الأستاذ كرد علي حين يفدُ إلى القاهرة، فيجد الترحيب الكبير من رئيس البعكوكة وعلامة اللغة والتحقيق الأستاذ وحيد!

أما حديث الشيخ محمد الشربتلي فأعجب وأغرب، ولا يكاد يصدقه أحد، لولا أنه واقع مشهود لا تنفع الحيلة في رفضه، كان الشيخ الشربتلي يتعاطى صناعة القلم في وقت كثرت فيه الجرائد يُصدرها بعض الأعيان طلباً للمثالة والمباهاة، فكان يجلس ليتقدم له من يريد أن يكتب مقالا يمهر باسمه، ليدفع الثمن! وما مقالات هذه الجرائد الشخصية إلا قطع من المدح أو الهجاء ولا ثالث لهما مدح لمن يصادق صاحب الجريدة، وذم لمن ينافسه في ميدانه من الأثرياء يقول الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف عن صاحبه.

أطرف ما في الكتاب الفصلان الخاصان بوحيد الأيوبي، ومحمد الشربتلي

★★★★★★

"ومن نوادر الشيخ الطريفة في هذا الباب، أنه كان يحرر في جريدة الظاهر اليومية التي كان يصدرها المغفور له محمد أبو شادي، وفي يوم رأى صاحب الجريدة يدفع قيمة اشتراك الجريدة في برقيات (روتر) و(هافاس) فسأله عن المبلغ الكبير الذي يدفعه لمندوبي شركتي الأنباء الدولية، فقال أبو شادي: إنه قيمة اشتراك الجريدة في برقيات الأنباء الخارجية التي تنشر بها، فهز الشيخ رأسه أسفاً وحسرة على المال يبذل في غير طائل، وقال: ولماذا لا توفر هذا الاشتراك، وأنا أكتب للجريدة أنباء خارجية، وتلغرافات أوربية، أحسن من تلغرافات روتر وهافاس! وأخذ الشيخ من الغد يكتب من إنشائه عشرات البرقيات على زعم أنها واردة من شركات الأنباء دون تحديد كأن يقول: الاستانه: لمراسلنا الخاص، أرسل قيصر روسيا إلى جلالة مولانا الخليفة المعظم تلغرافا يطلب منه الصفح عن مسألة كذا! وأن يضع تحت أمره بلاد القرم والقوقاز: "وأمثال هذه البرقيات" حتى اشتهر أمرها فأسقطت الجريدة فعلا..

أليست هذه النادرة الطريفة جديرة بأن تكون خاتمة كتاب يتحدث عن الأدباء من فلاسفة وصعاليك؟!

---

(١) فلاسفة وصعاليك ص٤١.

(٢) فلاسفة وصعاليك ص٩٦.

أغنية لوجه الغريب

فيـصل أكـــرم
الرياض

لا تصفعوا وجه الغريب
إذا أتى..
إن الحياة غريبةٌ.. كانتْ
على هذا الفتى
فالدمع في عين الوحيد إلى متى؟

★★★★★

لا تصفعوا وجه الغريب
عن الديارْ
فلقد تمرَّغ أنفهُ في كلِّ دارْ
حتى أتى
يرنو لبارقة النهارْ
لم يدرِ أن الشمس حارقةٌ.. كنارْ
لم يدرِ أن الأرض مالحةٌ.. كأعماقِ
البحارْ

★★★★★

لا تصفعوا وجه الغريبِ
عن المكان!
قـد كـان يسكنُ - مـرغـمـاً - بيت
الهوانْ
حتى رأى صُور الزمانْ
خَرجَتْ عليه من الدُخَانْ
كي يطلع الإنسانُ للإنسانْ
كي يملأ الدنيا بألحان الحنانْ

أفيستحق من الحياة بأن يُهان؟!

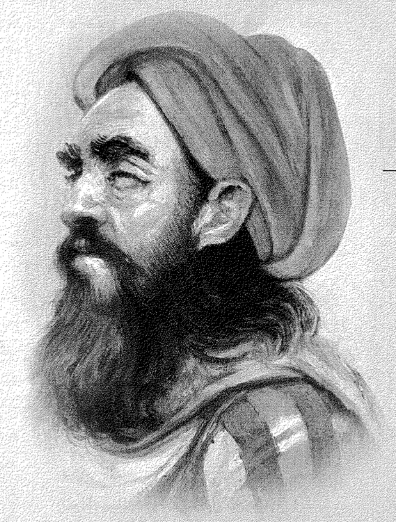
★★★★★

لا تصفعوا وجه الغريب
وما الغريبْ؟
إلاّ الأديب.. وما الأديبْ؟
إلا كبستانٍ به الثمرات
ناضجة المذاقْ
لم يُرمَ بين جذورها روث النفاقْ
طُرحَتْ على الآتين للأضواءِ
لكنَّ الأسى
أنَّ الغريبَ بلا رفاقْ!

★★★★★

لا تصفعوا وجه الغريب
لكي يغيبْ..
قد آن للمحزون أن يأتي إلى
المرآة يسألها (ولكن.. هل تجيب)؛
ماذا جنيتُ من البراءة للمشيبْ؟
هل نُلتُ شيئاً من ثمنْ؟
هل كنتُ شيئاً في الزمنْ؟
قد كان لي أهلٌ كباقي الناس في هذا الوطن..
لكن، وقد ماتوا جميعاً.. صرتُ
أنتظرُ الكفنْ

مقارنة وموازنة بين رسالتي "الغفران" و "التوابع والزوابع"



د. خليل أبو ذياب - الرياض

تتناول هذه الدراسة أهم رسالتين أدبيتين خياليتين في الأدب العربي.. أنشأ إحداهما وهي "رسالة التوابع والزوابع" أديب مغربي أندلسي هو أبو عامر أحمد بن عبدالملك بن شهيد (٣٨٢-٤٢٦هـ) حول سنة ٤٢٠، مصوراً فيها رحلة خيالية قام بها إلى وادي الجن/ عبقر، ليلتقي توابع نفر من مشاهير الشعراء العرب الجاهليين والعباسيين، ونفر من الكتاب الذين عارضهم في بعض إبداعاتهم ليعرض عليهم تلك المعارضات مستدراً شهاداتهم له بتفوقه وإجازته شاعراً وخطيباً لغاية في نفسه!

ابن شهيد لم يطلع على (رسالة الغفران) فضلاً عن أن يتأثر بها..

جمادى الآخرة / رجب ١٤٢٨هـ - يونيو/يوليو ٢٠٠٧م

وأبدع الأخرى وهي "رسالة الغفران" أديب مشرقي هو أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ) رداً على رسالة كتبها إليه الأديب الحلبي علي بن منصور بن القارح، حيث أرسله في رحلة خيالية إلى عالم الآخرة طوف به في المحشر وعرصات الجنة ودركات الجحيم ليلتقي طوائف من الأدباء والعلماء والشعراء القدماء، مديراً معهم حوارات متعددة حول قضايا الأدب واللغة والدين وغيرها، مستعرضاً فيها أطرافاً من ثقافاته المتنوعة التي وعتها حافظته العجيبة التي كانت تحفظ ما يمر بها، وإذا حفظت شيئاً لا تنساه!!

وستحاول هذه الدراسة المقارنة أو قل الموازنة- وفقاً لأصول المنهج المقارن الذي يرفض المقارنة بين نصوص تنتمي إلى أمة ولغة واحدة وأدب واحد آبياً إلا أن يجعلها موازنة(١)، ولا مشاحة في الاصطلاح، وهو ما جعلنا نضيفها في العنوان تقديراً للمنهج المقارن!

رسالة الغفران في الدرس المقارن:

تعد رسالة الغفران لأبي العلاء المعري من أبرز الآثار الأدبية في الدراسات المقارنة الحديثة وليس ذلك باعتبارها إحدى المصادر الإسلامية الأصلية التي تقرها، في نظر كثير من الباحثين، "دانتي" شاعر الطليان في ملحمته المشهورة "الكوميديا الإلهية"، وعلى نحو ما قرر ذلك القس الإسباني "ميجيل آسين بلاسيوس" الذي يرجع إليه الفضل في هذا الجانب لعنايته الفائقة بدراسة الأصول الإسلامية لملحمة دانتي، الذي تكمن أهميته كما يقول "دوق ألبا" في مقدمة الطبعة الإنجليزية لبحث بلاسيوس في أنه كرس "أكثر من خمس وعشرين سنة من حياته لبحث ودراسة الفكر الديني والفلسفي الإسلامي في القرون الوسطى سواء في الشرق أو في الأندلس في الغرب ثم إن خبرته بفقه اللغة العربية وتضلعه في الفلسفة الأوروبية في القرون الوسطى، قد مكناه من أن يقوم باكتشافات هامة منذ بضع سنين تتعلق بتأثير "ابن رشد" في لاهوتيات القديس "توما الإكويني"، و"ابن عربي" في "ريموندلال"، وإخوان الصفا في "أنسيلمو دي تورميدا". أما أهم اكتشافاته، وهو الاكتشاف الذي بنيت عليه شهرته، فاكتشافه تأثير النماذج الإسلامية في الكوميديا الإلهية(٢). وقد ترك هذا الكتاب الأخير أعظم الأثر في الدراسات المقارنة التي قامت حول الكوميديا الإلهية ومصادرها، كما كان له أبلغ الأثر في تنبيه الدارسين العرب للتعرف على الأصول الإسلامية التي تركت آثارها في كوميديا دانتي ومن بينها "رسالة الغفران"، وإن كان لنا رأي آخر مخالف في هذا الأمر، وقد عقد بلاسيوس فصلا طويلاً(٣) كرسه لإبراز الآثار المختلفة التي ظن أو وهم أن الغفران تركتها في الكوميديا؛ وهذه الآثار تتفاوت فتكون في بعض الأحيان مجرد ملامح عامة من مثل الطابع الأدبي الذي ساد الغفران وشكل طرفاً من ثقافات الكوميديا المتنوعة، وتكون أحيانا مشابه محددة لا ترقى إلى درجة التوافق التام أو شبه التام كما في موقف ابن القارح مع إبليس وبشار بن برد في النار، وموقف دانتي مع "أماتي وأفلياني" العملاق الناري، وفي أحيان أخرى مشابه خاصة من مثل لقاء ابن القارح بحوريتين كانت إحداهما تدعى في الدار العاجلة "حمدونة الحلبية"، والأخرى "توفيق السوداء"، ولقاء دانتي بامرأتين هما "بياسينيا" وبيكاردا دوناتي الفلورنسية، وما كن عليه في الدنيا من تعاسة بالغة وشقاء عظيم؛ وكذلك لقاء ابن القارح بآدم عليه السلام وحديثه معه عن لغته الأولى في الجنة وهي العربية، ولقاء دانتي أيضاً بآدم ونفس الحديث عن لغته، وغير ذلك من المشابه المتنوعة، وإن كانت في أحيان كثيرة لا تخلو من تمحل واعتساف كما في وحوش الجنة في الغفران ووحوش الكوميديا في مطلع الرحلة، إذ إن وحوش

رسالة الغفران: أوسع مجالاً، وأعمق موضوعاً، وأغنى فناً وإبداعاً..

★★★★★

الغفران كان لها ارتباط تاريخي معروف(٤)، ولم تكن مصدر خوف أو عقبات لابن القارح كما كانت لدانتي(٥)!

وقد اختلفت آراء الباحثين وتباينت في هذا الجانب، ونحن نعرض عن الخوض فيها لأنها خارجة عن موضع هذه الدراسة، ولأننا عرضنا لها في دراستنا الموسعة عن "الرحلة الخيالية بين أبي العلاء وابن شهيد ودانتي"!

وإذا كانت "الغفران" قد ارتبطت بالكوميديا الإلهية عند أولئك الدارسين، فإنها كذلك ارتبطت عند بعضهم برسالة (التوابع والزوابع) لابن شهيد الأندلسي الذي كان معاصراً لأبي العلاء؛ وقد أغرى ذلك نفرا من الباحثين حرصوا على تبين صلات التشابه الممكنة بين هاتين الرسالتين؛ ومعروف أن أبا العلاء أملى رسالة الغفران في سنة ٤٢٤هـ رداً على الرسالة التي أرسلها إليه ابن القارح وهو يمهد لإقامته في حلب غب الخصومة التي نشبت بينه وبين الوزير أبي القاسم المغربي في مصر الذي كان صديقا للمعري، أما ابن شهيد فقد كتب رسالته حول سنة ٤٢٠، بصرف النظر عن الخلاف الواسع الذي وقع بين الدارسين في تحديد هذه القضية الشائكة(٦)، قاصدا إلى رفع اتهامات خصومه ومنافسيه وطعنهم في شاعريته وإبداعه؛ وقد كانت هذه المعاصرة وما تمخض عنها من خلاف وراء هذه الدراسة التي بين أيدينا ودافعة إليها!

وإذا رجعنا إلى أولئك الباحثين فإننا نجد منهم من ذهب إلى وجود صلة بين رسالة الغفران ورسالة التوابع والزوابع، وحاولوا جاهدين تحسس أبعاد تلك الصلة وحرصوا على إبرازها مما جعل محاولاتهم تدور حول أي الرجلين/ الأديبين تأثر بالآخر أو حاكاه؛ وكان طبيعياً أن يدفعهم ذلك إلى تحديد الزمان الذي كتبت فيه الرسالتان خصوصاً أن الأديبين عاشا في زمن واحد وإن تباعدت ديارهم، فقد ولد ابن شهيد في قرطبة سنة ٣٨٢ وتوفي بها سنة ٤٢٦ (٧)، وكان أبو العلاء الذي انحصرت حياته ما بين ٣٦٣-٤٤٩، يملي رسالته في سنة ٤٢٤ بمعرة النعمان القريبة من حلب من بلاد الشام(٨)؛ ولعلنا نجد في هذا التحديد التاريخي الحاسم ما ينفي أن يكون ابن شهيد قد اطلع على الغفران فضلا عن ان يتأثر بها أو يستوحيها في رسالته، حيث كان يمر بمرحلة مرض مزمن أفضى به إلى الموت؛ وإذن تبقى وراء ذلك قضية تأثر أبي العلاء بابن شهيد، وهي قضية جديرة بالبحث والدرس نظرا لاختلاف الباحثين الواسع حولها؛ ذلك أن نفراً من الباحثين شغلتهم قضية التأثر والتأثير بين الغفران والتوابع والزوابع، وتباينت آراؤهم تباينا بعيداً، فقد رأى الدكتور أحمد ضيف أن ابن شهيد قلد أبا العلاء استناداً إلى شهرته الواسعة التي طبقت الآفاق وبلغت الأندلس بطبيعة الحال!(٩).

أما الدكتور زكي مبارك فقد رفض هذا الرأي واندفع يقرر بكل حماسة أن أبا العلاء هو الذي قلد ابن شهيد مستنداً إلى أنه كتب رسالته قبل الغفران بنحو عشرين سنة(١٠)؛ وهو بهذا يوافق بروكلمان على السبق الزمني للتوابع والزوابع وتقدمها على الغفران، ولكنه يختلف معه في تحديده، حيث حدده بروكلمان بزهاء ثلاث سنوات، إذ يرى أنها كتبت حول سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م(١١)؛ ونحن هنا نكتفي بهذه الآراء في تحديد زمن كتابة الرسالتين معرضين عن سائر الآراء التي انتهى إليها الباحثون لتعرضنا لهذه القضية ومناقشتها بالتفصيل في دراستنا الآنفة الذكر حيث انتهينا إلى أن التوابع كتبت حول سنة ٤٢٠، وأمليت الغفران سنة ٤٢٤؛

ومن الجدير بالذكر أن أغلب الباحثين الذين درسوا هذه القضية وعرضوا لها لم يعنوا بدراسة قضية التأثر والتأثير بين الرسالتين ليتبينوا مظاهر الاتفاق والاختلاف بينهما عسى أن يقعوا على ما يمكن أن يفيد في تحديد معالم هذا الجانب، مكتفين بإصدار هذه الأحكام الجاهزة أو العامة التي تقرر

تقليد أحد الأديبين للآخر مؤكدين تشابه الرسالتين في الموضوع والأسلوب ومسرح الأحداث(١٢)؛

ولعل من أغرب الآراء التي تلقانا في هذا الجانب ما انتهى إليه "غارسيا غومس" حين زعم أن ابن شهيد صور في التوابع والزوابع رحلة شاعر إلى الجنة سابقا المعري ودانتي(١٣).

بيد أن هناك من الباحثين من رفض هذه الدعوى وذهب يقرر استقلالية كل من الرسالتين عن الأخرى، نافيا كل صلة بينهما؛ فقد نفى الدكتور محمد غنيمي هلال مزاعم التشابه والاتفاق بين هاتين الرسالتين بالرغم من سبق التوابع والزوابع للغفران حيث يقول: "وحتى لو سلمنا أن رسالة أبي العلاء هذه متأخرة عن رسالة ابن شهيد السابقة، فإننا لا نعتقد أن أبا العلاء تأثر بابن شهيد في شيء، ذلك أن رسالة أبي العلاء أعمق وأوسع مجالاً وأغنى في نواحيها الفنية القصصية من رسالة ابن شهيد(١٤)؛ وواضح أن ما أشار إليه الباحث الفاضل هنا ليست حدوداً فاصلة بين التأثر والتأثير الذي سعى إلى نفيه عن الغفران والتوابع والزوابع؛

أما الدكتورة بنت الشاطئ - غفر الله لها ورحمها- فقد درست هذه القضية في رسالتها العلمية عن الغفران، وأفردت لها فصلا طويلاً ناقشت فيه آراء الباحثين "أحمد ضيف" و"زكي مبارك"، وفندت ما استندا إليه من أدلة وحجج، وانتهت إلى فكرة جوهرية هي صمت القدماء عن دعوى التأثر والتأثير بين الرسالتين على الرغم من ادعاءات المشارقة التي لا تنقطع بأن أهل الأندلس يترسمون خطاهم في الإبداع الأدبي وغيره، ثم ناقشت الفكرة التي تزعم تشابههما وانتهت إلى "أن القائلين بالتشابه والمحاكاة لمحوا ظواهر عابرة مما نجد مثله في الغفران والتوابع والزوابع، ولو احتكموا إلى النصين لرأوا فيهما أثرين متميزين لأديبين مختلفين من إقليمين متباعدين"(١٥) ونراها تؤكد أن مظاهر التشابه بين الرسالتين ليست خاصة بهما أو مقصورة عليهما وحدهما، لأنها من الظواهر الأدبية التي يمكن أن تلتمس عند غيرهما من أدباء العصر، أو في الآداب على وجه العموم، ومنها الأحكام الأدبية المصوغة في أسلوب حواري جذاب، وكذلك الرحلة الخيالية إلى العالم الآخر، وعرض الثقافات المتنوعة(١٦)؛ ولعل أقرب مثل لعالمية هذه الأوجه "مسرحية الضفادع لأرستوفانيس" و"محاورات الموتى للوسيان" وغيرهما(١٧)؛ ووراء هذه الأوجه ذهبت الباحثة الفاضلة تقرر أوجه الاختلاف بين الرسالتين ومنها "البطل، وأشواق أبي العلاء، وأحلام التفوق عند ابن شهيد"(١٨)!

ولعله اتضح من هذا العرض لمختلف الآراء التي انتهى إليها هؤلاء الباحثون مبلغ الاختلاف والتباين في هذه القضية، مما يوجد لدينا المبرر لمثل هذه الدراسة التي تسعى إلى تقديم تصور عسى أن يكون مناسبا أو مقبولا لهذا الموضوع؛

البيئة الاقليمية بين المشرق والمغرب ظاهرة الوضوح في الرسالتين..

★★★★★

وبادئ ذي بدء نقرر أن من يطلع على الرسالتين يتبين له بوضوح بُعدُ ما بينهما، وإن اتفقتا في موضوع الرحلة الخيالية إلى العالم الآخر المجهول، على اختلاف ذينك العالمين كما رأينا؛ ولعل من أول وأبرز مظاهر الاختلاف والتباين بينهما أن أبا العلاء لم يترك المعرة ليتخذ له دليلاً يقوده في مجاهيل ذلك العالم الذي اخترعه، كما فعل صنوه ابن شهيد في رحلته إلى عالم الجن عندما انتدب تابعته الجني زهير بن نمير ليقوم بهذه المهمة، وإنما أرسل مندوبا عنه أو سفيراً له يجوب مجاهيل ذلك العالم وهو "ابن القارح" الذي أخذ يطوّف بين أرجاء المحشر والجنة والنار، كما أن ابن القارح نفسه لم يحتج إلى دليل يقوده في ذلك العالم شأن دانتي الذي اتخذ من "فرجيل" شاعر الرومان دليلا له في بعض مراحل رحلته، و"بياتريتسي" حبيبته التي كتب لها الكوميديا في مراحل أخرى؛ وإذن

فابن شهيد اتخذ له رئياً من الجن هو زهير بن نمير دليلاً يطوف به بين أدغال وادي الجن وغماليله، وقد أوضح له سبيل الاتصال به عندما يحتاج إليه مرة أخرى، أو قل تأشيرة أو تعويذة الحضور قائلاً له: "متى شئت استحضاري فأنشد هذه الأبيات:

والى زهير الحب يا عز إنه
إذا ذكرته الذاكرات أتاها
إذا جرت الأفواه يوما بذكره
يخيل لي أني أقبل فاها
فأغشى ديار الذاكرين وإن نأت
أجارع من داري، هوى لهواها(١٩)

وقد حرصنا في هذا البحث على كشف بعض الجوانب التي تجسد الاختلاف والتباين بين هاتين الرسالتين، وتتمثل في الهدف والمنهج والأسلوب، فضلا عن المسرح الذي ألمحنا إليه آنفا؛ وسنحاول تفصيل القول في هذه الجوانب ما وسعتنا المحاولة!

أما الهدف، فقد كانت "التوابع والزوابع" تمثل زوبعة إعلامية صاخبة بما امتلأت به من صياح وضجيج في محاولة شبه يائسة من ابن شهيد لإثبات تفوقه وتجسيد عبقريته الأدبية لمواجهة خصومه ومنافسيه الذين أنكروا عبقريته وغمطوا حقه في الإبداع، وكانوا لا يملون من الطعن عليه والحط من قدره، والتقليل من شأنه وتحقير أمره واتهامه بالسطو على معاني غيره وسرقة أفكارهم؛ ومثل هذه الاتهامات قمينة أن تهز ابن شهيد وغيره هزا عنيفا وتنشطه ليدرأها بكل ما أوتي من حجج وبراهين صادقة أو مفتراة؛ ولعلنا لا نجانف الحقيقة إذا ما زعمنا أن حرص ابن شهيد على لقاء شياطين الشعراء والكتاب وعرض طوائف من نماذج إبداعاته عليهم، إنما كان تأكيداً مبطنا لفكرة السطو أو الاتهام بسرقة معاني الشعراء أو الأدباء من عدة وجوه: فمن وجه، حرصه على أن تكون نماذج معارضاته لمعاني الأدباء التي ذاعت شهرتها في مجال الإبداع حتى وصفت بالعقم(٢٠)، والتي حمت نفسها وجعلت الأدباء اللاحقين يتخوفون من معارضتها، حتى إذا تمت المعارضة جاءت ضعيفة المستوى قليلة الجدوى الفنية(٢١)!

ومن وجه ثان، حرصه على إثبات تفوقه واقتداره في هذه المعارضات عن طريق شهادات الاعتراف والتقدير والإجازة التي كان يحظى بها بطريقة أو بأخرى، حيث كان ينتزعها انتزاعا من أفواه شياطين الأدباء وتوابعهم في أحيان كثيرة؛ وهي شهادات أو إجازات لم تكن تقف عند حدود إبداعه هو، وإنما تتعداها إلى إثبات تفوقه على أولئك التوابع أنفسهم في صور الأدباء الذين كانوا يوحون إليهم بزخرف القول وبديع النظم، فضلا عن إثبات هذا التفوق على أدباء عصره المنافسين له والذين دفعوه دفعا إلى ممارسة هذه الرحلة العجيبة وتجشم وعثائها؛ ويمكننا أن نتبين أبعاد هذه الدعوى العريضة التي وجدنا ابن شهيد لا يني يلهج بها في رسالته، إذا استحضرنا حديث أبي العلاء عن شياطين الشعراء وتوابعهم ومبلغ طاقاتهم الإبداعية المعجزة، وغير المحدودة على لسان ابن القارح في حواره لأبي هدرش الخيتعور أحد بني الشيصبان حيث يقول: "وهل يعرف البشر من النظيم إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض؟ وإنما لهم خمسة عشر جنسا من الموزون قل ما يعدوها القائلون؛ وإن لنا لآلاف أوزان ما سمع بها الإنس؛ وإنما كانت تخطر بهم أطيفال منا عارمون فتنفث إليهم مقدار الضوازة من أراك نعمان؛ ولقد نظمت الرجز والقصيد قبل أن يخلق الله آدم بكور أو كورين؛ وقد بلغني أنكم معشر الإنس تلهجون بقصيدة امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وتحفظونها الحزاورة في الكتاب، وإن شئت أمليت ألف كلمة على هذا الوزن على مثل:

منزل، وحومل، وألفا على ذلك القري يجيء على منزل وحومل، وألفا على منزلا وحوملا، وألفا على منزله وحومله، وألفا على منزلة وحومله، وألفا على منزله وحومله، وكل ذلك لشاعر منا هلك وهو كافر

وهو الآن يشتعل في أطباق الجحيم"(٢٢)؛

ومن وجـه ثالث، وهو منهج التعامل مع تلك المعاني المبدعة إذا ما رغب الأديب الإفادة منها حتى لا يتردى في حمأة التقليد ويتهم بالسرقة، وحتى يحسب من المبدعين(٢٣)؛ ولعل كل ذلك كان وراء تحديد حجم رسالته، ولو أنه لم يسجن نفسه داخل هذه الأسوار المرهقة، ولم يضيق عليها بتلك القيود الصفيقة، وأطلق العنان لشاعريته وثقافته- حتى لو كانت محدودة كما أكد ذلك خصومه ومنافسوه- لأمكن أن يقدم أو ينتج عملا أدبيا جديراً بالتقدير، وقادرا على أن يرقى إلى مستوى "الغفران" ويزاحمها على قمة الإبداع والفن والتفوق، ولكنه آثر التحليق بأجنحته المتواضعة، أو قل على فرس تابعته "وهير بن نمير" في عالم الجن أو وادي عبقر مكتفياً برفقة شخوص محدودين تربطه بهم أصرات فنية أو اجتماعية محدودة كذلك، وتاركاً لأبي العلاء السياحة المفتوحة المطلقة بعيداً عن الواقع في عالم الآخرة الفسيح، متنقلاً بين عرصات الجنة وأطباق الجحيم وجنبات المحشر، وحاشداً أنماطاً هائلة من الشخوص برغم تحديد الطبقة التي ينتمون إليها وهي طبقة الأدباء، وحتى لو كانت سياحة أدبية ولم يحاول إثراءها بثقافاته الفلسفية والفكرية والاجتماعية المتنوعة التي تجلت في كثير من مصنفاته من مثل اللزوميات والفصول والغايات وغيرها؛ وهكذا جاءت "الغفران" بكل هذا العمق والثراء وتعدد أنماط الثقافات الأدبية التي تروع القارئ وتنتزع منه بالغ الإعجاب، في حين خلت "التوابع والزوابع" من كثير منه!!

وقد عرفنا منذ قليل أن ابن شهيد كان يهدف من رسالته، أو قل سياحته في وادي الجن إلى إثبات تفوقه وإبداعه وعبقريته الأدبية، وأنه كان مسكونا بهاجس الحرص على إظهار نبوغه وتميزه على أدباء عصره؛ وهذا ما يجعلنا نزعم أنه كتب رسالته مدفوعا بهدف نفسي عميق بالغ الأثر نجم عن معاناته الشديدة من حساده ومنافسيه الذين أقضوا مضجعه، وأسرفوا في مضايقته بالطعن

ابن شهيد في (الزوابع والتوابع) كان مدفوعاً باظهار واثبات تفوقه وتميزه عن حاسديه..

★★★★★★

عليه والزراية به واتهام عبقريته الأدبية بالضحالة، وهذا ما جعله يحرص مع كل مشهد من مشاهد الرسالة على إثبات تفوقه وتحقيق الظفر على أولئك الخصوم والمنافسين، وتكريس إبداعه ومهارته في النظم والترسل على حد سواء؛ وقد بلغ به ذلك إلى أن يثبت لنفسه التفوق والتميز حتى على مشاهير الأدباء وفحول الشعراء المتقدمين من أمثال امرئ القيس وطرفة وقيس بن الخطيم وأبي نواس والبحتري وأبي تمام وبديع الزمان الهمذاني وغيرهم؛ وقد كان ابن شهيد ينطلق في ذلك من خلال عقدة نفسية ضخمة نجمت عن عاهة خاصة، وضخمها منافسوه وخصومه على نحو ما سنرى فيما بعد؛ ومن هنا لم يعد ابن شهيد من تلك السياحة إلا بعد أن أجازه نفر من مشاهير شياطين الشعراء وتوابع الكتاب وأقروا له بالتفوق الأدبي وعبقرية الإبداع؛ وقد كان صاحبنا الأندلسي القرطبي جد حريص على هذه الغاية وكأنه كان يحس تأخراً أو تخلفا واضحا في مكانته الأدبية عن أدباء عصره إذا صح مزعم بعض مؤرخيه من أنه كان من أدباء الطبقة الثالثة أو الرابعة، وأنه كان يكتب فلا يعجب، وينظم فلا يحلق، كثر ناقدوه، وقل محبذوه، فتخيل ما تخيل لينقد خصومه، ويبين لمعاصريه مقامه الرفيع في النثر والنظم بين جماعة الجن أنفسهم(٢٤)؛ وإن كنا نشك في صحة هذا القول استناداً إلى آراء مؤرخيه القدامى الذين أثبتوا له التفوق والإبداع(٢٥)؛ ولا نظن أن مثل هذا الرأي هو الذي جعله دائماً يردد على ألسنة توابع الشعراء وشياطين الأدباء اعترافاتهم بتفوقه عليهم وعبقريته؛ وإن كنا لا ننكر أن الحسد كان يأكل قلب ابن شهيد، والحقد يوغر صدره على معاصريه في هذه الرسالة لموقفهم الرافض لإبداعه الأدبي وعدم

إنصافهم له وإنصافهم لغيره في زعمه!

أما أبو العلاء، فقد اختلف مع صاحبنا الأندلسي في الهدف الخاص لرسالته حيث لم يكن الرد على خصوم أو منافسين أو حساد، كما لم يكن من أجل تحقيق التفوق وإثبات التميز وحيازة الظفر على أحد من الأدباء إذ كان أمة وحده في هذا الأمر، سببا في إنشاء "الغفران"، وإنما كانت ردا مطولا على رسالة خاصة وردت إليه من أديب حلبي يعرف بابن القارح، واستعرض الشيخ فيها أطرافا من ثقافاته الأدبية الضخمة، موظفاً فيها خياله المجنح الفسيح، فجاءت على هذه الصورة الطريفة الرائعة؛ بل إنه كان على النقيض من ابن شهيد في هذا الجانب لا في رسالة الغفران وحدها، بل في كل مصنفاته التي وصلت إلينا، حيث نجد خصلة التواضع، أو قل شنشنة التواضع من اهم طوابعه الشخصية وأبرز خصائصه النفسية في أدبه أجمع، إذ أنه دائماً يعلن أنه صفر من العلم والأدب، وأنه مكذوب عليه فيهما، وتنتشر في جوانب أدبه عبارات أخرى كثيرة تكرس هذه الفكرة وتؤكد هذا الزعم، وهذا ما جعله يبتز اعتراف الأدباء جميعا بعبقريته وتفوقه ونبوغه، وتقديرهم لإبداعه الأدبي خاصة؛ ولم يكن مثل ابن شهيد يستجدي الاعتراف والتقدير من توابع الأدباء وشياطين الشعراء في محاولة بائسة لإثبات تفوقه أو تحقيق مكانته الأدبية في مجتمعه وبين معاصريه؛ وبون بعيد جداً بين رسالة أنشئت لتصور صياح صاحبها وجلبته وصخبه في وادي الجن معلنا تفوقه ومقرراً إبداعه ومتبجحا بهذا التفوق وذلك الإبداع، من خلال عبارات الإعجاب المتنوعة وشهادات التفوق التي كان يستصدرها من توابع الأدباء في إجازاتهم، وبين رسالة يذوب فيها منشئها تواضعاً وتضاؤلاً حتى إنه ليضع نفسه في مصاف الجهال، لا يكف عن الإعلان والتأكيد أنه إلى الجهل أقرب منه إلى العلم، بل إنه متهم بالعلم ومكذوب عليه في ذلك(٢٦)!!

ومن هذا نتبين أن الرسالتين تختلفان فيما بينهما اختلافاً واسعاً في الغاية والهدف، وكذلك في تأثير العاهة لدى كلا الأديبين؛ فبينما كانت "الغفران" رداً على رسالة ابن القارح، ولا تحمل في طياتها أثراً من آثار اللدد والخصومة الظاهرة فضلاً عن المنافسة، جاءت "التوابع والزوابع" برمتها من نتاج الخصومة واللدد والمنافسة الشديدة التي تفجرت بين ابن شهيد وبعض أدباء عصره، وكان يعاني منها أشد المعاناة، حتى اتهمه بعض النقاد بأنه كان من الطبقة الثالثة أو الرابعة كما مر بنا منذ قليل، وإن كنا نشك في هذا الرأي أو الحكم ولا نراه مقبولاً بالنظر إلى إبداعه الأدبي الذي وصل إلينا، ومنه النماذج الرفيعة التي تلقانا في رسالة "التوابع والزوابع" والتي تدحض هذا الحكم وتبطل ذلك الزعم، وتثبت له العبقرية والإبداع؛ والحق أن ابن شهيد كان من أبرع الشعراء والكتاب في عصره، وقد احتل مكانة مرموقة في قرطبة بشعره الجزل ورسائله الفكاهية(٢٧)؛ وحتى رسالة "التوابع والزوابع" التي يظن أنها لم تصل إلينا كاملة، وأن الذي وصل منها إنما هو جزء يسير، لا يعدو أن يكون مختارات من فصولها كما يشير إلى ذلك ابن شهيد في فاتحتها- وإن كنا نشك في هذا الزعم والإدعاء أو التوجيه - فإنها تحمل في أطوائها إبداعاً عجيباً، وتفوقاً ملحوظاً، وتقدم صورة واضحة بينة عن إبداعه وعبقريته الأدبية تنقطع دونها رقاب كثير من مبدعي أدباء الأندلس الذين كانوا يناصبونه العداء والخصومة خاصة؛ ونتيجة لتلك الخصومة العنيفة والمنافسة الشديدة التي لقيها من أدباء عصره، كان ذلك الإلحاح المفرط في طلب الاعتراف بالتفوق والإبداع والامتياز على معاصريه ممثلاً في تلك الإجازات أو الشهادات التي كان يستجديها، أو يمنحه إياها توابع الشعراء والكتاب القدماء، كما أن السخرية البالغة من معاصريه والحقد عليهم بفعل المنافسة كانا وراء عبارته العنيفة التي خاطب بها بغلة أبي عيسى في وادي الجن عندما سألته عن الأحبة من بعدها فقال: "من إخوانك من بلغ الإمارة وانتهى إلى الوزارة"!!(٢٨).

أما من حيث المنهج؛ فقد قسم أبو العلاء "غفرانه" إلى قسمين رئيسين هما: الرحلة الخيالية التي أرسل ابن القارح فيها إلى العالم الآخر، وهذا القسم يمكن تقسيمه كذلك إلى عدة أقسام بحسب المسارح التي تجول فيها وهي: المحشر والجنة والنار وجنة العفاريت. والقسم الآخر هو الرد التفصيلي على رسالة ابن القارح فقرة فقرة استجابة لرغبته.

أما ابن شهيد، فقد جعل لرسالته مسرحاً واحداً لا تتجاوزه هو وادي الجن الذي انتقل إليه برفقة تابعته "زهير بن نمير"؛ ولكنه قسم هذا المسرح بحسب طبقات شخوصه التي التقاها وموضوعات رسالته أربعة أقسام أو مناطق أو مشاهد هي: توابع الشعراء، وتوابع الكتاب، وتوابع النقاد أو مجلس نقاد الجن، ثم حيوان الجن؛

وأوضح أن أبا العلاء جعل العالم الآخر بكل أقسامه المعروفة مسرحاً "لغفرانه"، بينما جعل ابن شهيد وادي الجن مسرحاً "لتوابعه"؛ وهذا في حد ذاته مظهر من مظاهر الاختلاف الرئيسة بين الرسالتين، إضافة إلى مظهر آخر يعد من أبرز أو أبرز مظاهر الاختلاف بينهما وهو تنوع الثقافات واتساعها وتعدد الشخوص المشاركة في نسيج الرسالتين وأحداثهما، وتميز الغفران عن التوابع والزوابع في هذه المجالات بشكل ظاهر بين، حتى إن كل ما حشده ابن شهيد من تلك الثقافات، وحشره من هذه الشخوص على مسرح رسالته لا يعدو أن يكون قطرة تائهة في محيط "الغفران" الهائل الزاخر بتلك الثقافات المتنوعة، والغاص بهذه الشخوص والمناظر والمشاهد المبدعة؛ وهذا أمر قررته وفرضته نوعية وغزارة الثقافات التي وعاها كل من الأديبين؛

كذلك من الأمور الجديرة بالذكر والملاحظة بين الرسالتين أن أرض الجن في "التوابع والزوابع" شديدة الاختلاف والتباين لا عن عالم الآخرة عامة في "الغفران"، بل عن جنة العفاريت خاصة؛ وهذا أمر كان يمكن أن ينطوي على ملاحظ اشتراك أو

أبو العلاء: في رسالة الغفران كان دافعه الابداع في كل جوانبه..

★★★★★★

تأثر وتأثير بين الأديبين لو قدر لأحدهما أن يطلع على عمل الآخر، فأرض الجن في "التوابع" مورقة مخضوضرة ذات دوح تتكسر أشجاره وتترنم أطياره(٢٩)، وهي في أحيان أخرى "غيضة شجرها شجران: سام يفوح بهارا، وشجر يعبق هندياً وغاراً، فيها عيون تسيل، ويدور ماؤها فلكياً ولا يحول"(٣٠)؛ وتارة "قرارة غناء تفتر عن بركة ماء"(٣١)؛ وهكذا جاءت أرض الجن في "التوابع والزوابع" حدائق غناء ورياضا مخضرة وغياضا معشوشبة، تنفجر فيها العيون وتسيح الينابيع، وتمتلئ فيها البرك والجوابي، وتغرد فيها وفوق أدواحها الطيور من كل جنس ولون، ولقد كان مجال القول فسيحاً عند ابن شهيد وهو يرسم معالم هذا العالم الجني العجيب ليبدع مشاهد وأوصافا أخرى وفيرة يخلع عليها من عبقريته المبدعة وخياله الخصب ما يشيع فيها الحياة والحركة، وينشر فيها الجمال والبهاء، ولكنه لسبب لا نعلمه أعرض عن كل ذلك مكتفياً بهذه اللمحات الخاطفة والأوصاف المحدودة؛

وإذا كانت هذه هي صورة أرض الجن في "التوابع والزوابع"، فإننا نجدها في "الغفران" على النقيض من ذلك تماما حتى في "جنة الغفران" التي هي مظنة التصور البهيج؛ فهي موحشة مظلمة ذات سراديب معتمة، ومغارات موحشة مخيفة، وهي مدائن ليست كمدائن الجنة التي أعدها الله للمتقين من البشر، وليس عليها النور الشعشعاني الذي يغمر مدائن الجنة وقصورها، وهي ذات أدحال وغماليل"(٣٢).

وقريب من هذه الجنة الخاصة بالعفاريت تلك الجنة التي تصورها أبو العلاء للرجاز؛ فقد رأى أنها "أبيات ليس لها سموق أبيات الجنة"! وما ذلك إلا لأن الرجز من سفساف القريض، وإن الله يحب معالي

الأمور ويكره سفسافها(٣٣)؛ وأبو العلاء في هذا التصور ينطلق من موقفه من الرجز وتفضيل الشعر عليه؛ وأين أشطار الرجز من أبيات القصيد؟!

وقريب كذلك من هذا ما تخيله أبو العلاء من نصيب الحطيئة من نعيم الجنة السرمدي بمشيئة الله، حيث تصور أنه "بيت في أقصى الجنة كأنه حفش أمة راعية، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة، وعنده شجرة قميئة ثمرها ليس بزاك"!!(٣٤).

ومن كل هذا يتبين لنا التمايز والاختلاف في المنهج بين "توابع وزوابع" ابن شهيد و"غفران" أبي العلاء، ولا نستطيع أن نتبين فيهما شيئاً من الملامح أو المشاهد أو الأحداث أو غير ذلك، يمكن أن تشعر، فضلا عن أن تؤكد أن أبا العلاء قد اطلع على رسالة ابن شهيد وتأثر بشيء منها وأفاد منها على فرض أن تكون الرسالة قد وصلت إلى المشرق في فترة إنشاء "الغفران"، فضلاً عن أن يكون ابن شهيد قد احتذى حذو المعري وتقرى قريه فيها، أو تأثر بها بعض تأثر كما وهم بعض الباحثين!

وبهذا يتأكد لنا ما ذهب إليه ابن بسام وأبو حيان من أن رسالة "التوابع والزوابع" رسالة مبدعة تشتمل على بدائع وروائع، وأن ابن شهيد لم يعرف التقليد(٣٥)؛ كما يتأكد لنا من وجه آخر أن أبا العلاء لم يتأثر بها في "غفرانه"؛ وإن كلتا الرسالتين لم تنح نحو الأخرى، وربما لم تسمع بها.

وأما الأسلوب الذي صاغ فيه كلا الأديبين رسالتيهما، فهو كذلك مختلف أشد ما يكون الاختلاف، متباين أبعد ما يكون التباين؛ والبحث في الأسلوب يتناول جانبين أساسيين هما اللغة والخصائص الفنية التي توافرت فيهما.

أما اللغة التى سبك فيها كلٌّ من الأديبين رسالته فقد كانت سليمة منتقاة خالية من اللحن والخطأ ولكنها كانت أعمق وأدق وألصق بالمعجمية اللغوية عند أبي العلاء في "الغفران" منها عند ابن شهيد في "توابعه وزوابعه"؛ ويعود ذلك بطبيعة الحال إلى التكوين اللغوي لكل منهما، وبحسبنا أن نذكر أن ابن شهيد لم يكن طُلَعَة يألف الكتب ويأنس بها ويفرط في قراءتها ويدمن النظر فيها على نحو ما كان أبو العلاء، ولا على نحو قريب منه، حتى وجدنا أبا القاسم الإفليلي يأخذ عليه عدم التلقي عن الأساتيذ(٣٦)؛ وهو في ذلك يختلف كل الاختلاف عن أبي العلاء الذي اشتهر بالاطلاع على كل ثقافات العرب وآدابهم ولغتهم ووعاها وعيا دقيقا، وأحسن استخدامها وتوظيفها وتمثلها تمثلاً عجيباً فيما صنف من مؤلفات؛ وقد كانت اللغة أو الثروة اللغوية من أبرز وأظهر الخصائص التي تميزت بها "الغفران"، كما تميزت بها سائر مصنفات الشيخ، ومن هذا فإن قارئ "الغفران" أيما قلب نظره ويمم وجهه يقع على ثروة لغوية هائلة تسودها مسحة ظاهرة من الغرابة والإبهام والغموض، ويحتاج ليزيل تلك الغرابة قدراً كبيراً من الجهد، ويتجشم كثيراً من العناء في مراجعة المعجمات ليتمكن من تحليلها ومعرفة معانيها واختيار المناسب منها؛ وخذ أية صحيفة من صحف "الغفران" وابدأ في قراءتها لتجد نفسك أمام كثير من المفردات التي تستوقفك لا محالة لما يكتنفها من غموض أو غرابة، مما يؤكد هذه الظاهرة اللغوية المتميزة لا في رسالة الغفران وحدها، وإنما في سائر مصنفات أبي العلاء؛ وربما يكون من السرف اجتلاب الشواهد الكثيرة والنماذج الوفيرة لتأكيد هذا المظهر اللغوي في "الغفران"، وبحسبنا أن نلتقط بعض الشواهد التي تجسد هذا المظهر اللغوي الغريب أو قل الوحشي في الرسالة ولعل من أبرزها قصيدته السينية التي نظمها على لسان "أبي هدرش الخيتعور" والتي امتلأت امتلاءً بالغريب حتى ليُخيل لمن يقرؤها أنها فعلا من شعر الجن ولغتهم وألفاظهم وليست من لغة الإنس وشعرهم وأن أبا العلاء انتزعها انتزاعاً من وادي الجن والعفاريت المتوهم(٣٧)؛ ونود أن نذكر قطعة صغيرة من القصيدة تكشف طرفا من جانبها اللغوي المتميز وهي قوله منها(٣٨):

مكة أقـــوت من بني الدرييس
فـمـا لجِنِّيٍ بهـا من حـسـيس
وكُـسِّـرت أصنامـهــا عنوة
فكل جِــبْت بنصــيل رديس
ونام في الصــفــوة من هاشم
أزهـر لا يغـــفـل حق الجليس
يســمـع مـــا أنزل من ربه الـ
قدوس وحيا مثل قرع الطسيس
يجلد في الخـمـر، ويشـتـد في الـ
أمـر، ولا يطلق شـرب الكسـيس
ويرجم الزاني ذا العـــرس لا
يقـبل فـيـه سـؤلة من رئيس..

ثم تأمل هذه العبارة التي وجهها الخيتعور إلى ابن القارح عند لقائه في جنة العفاريت "ما جاء بك يا إنسي؟ إنك بخـيـر لَعَـسيٍّ، مـالك من القـوم سِيٌّ!"(٣٩) وواضح أن هذه العبارة تذكرنا بسجع الكهان المعروف بخصائصه اللغوية؛

ولعلنا نذكر من أهم مظاهر الثقافة اللغوية في "الغفران" تخريجه العجيب لبيتي النمر بن تولب على جميع حروف المعجم في القافية؛ والبيتان هما:

ألمَّ بصـــحــبــتي وهم هجــوع
خــيــال طارق من أم حـــصن
لها ما تشتهي: عسلاً مصفى
إذا شــاءت، وحــوارى بســمن

أخرجهما تخريجا يدل على امتلاكه لناصية اللغة واقتداره الفذ على التعبير وإحاطته بجميع ألفاظ الأطعمة الثلاثية في المعجم العربي، واستعراضها في هذا الجانب(٤٠)!

ومن ذلك أيضاً موقـفـه النقـدي اللغـوي من مصنفات ابن الراوندي الزنديق الملحد الذي يقوم على التجنيس باستخدام أسمائها(٤١)؛

وهذا الجانب اللغوي المتميز في رسالة الغفران هو الذي دفع بعض الباحثين إلى أن يقـول: "إذا قرأت رسالة الغفران عرفت مقدار حذقه في

الثروة اللغوية الضخمة من أبرز وأظهر خصائص رسالته..

★★★★★★

استظهار الغريب وتحقيقه وحفظ ما كان بين القدماء"(٤٢)؛ ودفع باحثا آخر إلى القول بأن "الثقافة اللغوية هي أظهر خصائص فن أبي العلاء"(٤٣).

وإذا كانت هذه الخاصية اللغوية من أهم وأظهر خصائص أدب أبي العلاء في مصنفاته ومنها "رسالة الغفران"، فإننا لا نكاد نجد لهذه الخاصية أثرا يذكر في رسالة "التوابع والزوابع"؛ وهذا أمر فرضته طبيعة الثقافة اللغوية لكل من الأديبين؛ وبون بعيد جداً بين أديب أحاط بلغة العرب إحاطة دقيقة شاملة، حتى إن العرب لم تنطق بكلمة لم يعرفها، وبين أديب لم يكن يطيق القراءة ولم يكن له صـبـر على الدرس والإطلاع؛ ومن هنا فـقـارئ "الغفران" لا يستطيع أن يواصل قراءة سطر واحد أو سطرين دون أن يقف وقفة تطول أو تقصر ليتبين معـاني بعض الألفـاظ التي تعـرض له، في حين يمضي قارئ "التوابع والزوابع" دون أن يعترضه شيء من ذلك يذكر!

كذلك حرص أبو العلاء على أن يسيطر على أسلوب "الغفران" السجع وغيره من ألوان البديع ومحسناته حرصاً بالغاً لم يتوافر لابن شهيد في "توابعه" برغم اتهام تابعتي "الجاحظ وعبدالحميد الكاتب" له بأنه مغرم بالسجع حتى صار نثره نظماً(٤٤)؛ والحق أن ابن شهيد لم يستخدم السجع إلا في جوانب محدودة من الرسالة، وفي جوانب أخرى منها كان لا يسجع (٤٥)؛ وهذا ما جعل "الغفران" تتفوق عليها في هذا الجانب تفوقا ظاهراً!!

ومن تلك الخصائص "النقد الأدبي"؛ فقد امتازت "الغفران" بثروة نقدية هائلة انتشرت في مواطن كثيرة متعددة منها، حيث وجدنا ابن القارح، أو قل أبا العلاء يعترض أحياناً على الشعراء ناقدا

أقوالهم مناقشا استخداماتهم اللغوية والنحوية والفنية، وأحياناً نجده يؤيد ما ذهبوا إليه حتى لو كان مخالفاً ما ذهب إليه سيبويه أو الخليل فضلاً عن غيرهم من مشاهير علماء اللغة والنحو؛ وتارات أخرى نجده يلوذ بالصمت، فلا يبدي رأيا، ولا يعلن اعتراضاً، ولا يفصح عن مواقفه، وهو في كل ذلك يقدم الرأي المدعم بالحجة المقنعة، والدليل القاطع القائم على التعليل والتحليل الدقيق؛ وفي كل هذه الجوانب يبرز أبو العلاء عالما فذا حذق مختلف علوم اللغة ووعى أنماط الثقافات، دون أن تكون "الغفران" بدعاً من مصنفاته أجمع، حيث نجد علوم اللغة كلها من نحو وصرف ولغة وعروض ونقد في جميع مصنفاته، وتبرز كخاصية تميز الأدب العلائي كله؛ وأهم ما يميز هذه الثقافات اللغوية أن أبا العلاء كان يخرجها إخراجاً أدبياً وفنياً طريفاً ينأى بها عما تتسم به من غرابة وخشونة وجفاف؛ وبحسبنا في هذا الجانب أن نذكر أن قضية اللغة والنقد قامت عليها دراسة الدكتور أمجد الطرابلسي، كما أنها تتسع لدراسات أخرى كثيرة جديدة وجادة وفاحصة! ولعله من السرف والتزيد الإشارة إلى نماذج من نقد أبي العلاء في هذه الرسالة؛ وفرق كبير جداً بين هذه الثقافات اللغوية وما يتصل بها من نقد علمي دقيق وحصيف في "رسالة الغفران"، وبين ما نجده من خطرات نقدية عابرة في "رسالة التوابع والزوابع" أودعها الفصل الذي أفرده لنقاد الجن في أحد مجالسها النقدية، والذي أقامه على موضوع أو قضية السرقات الشعرية ورحلة المعاني بين الشعراء من خلال معنى "الأفوه الأودي" في متابعة جوارح الطير لقومه عند الغزو لتيقنها من الميرة من جثث الأعداء حيث يقول:

وترى الطير على أعقابنا
رأي عين ثقة أن ستمار

ونراه فيه يناقش أقوال الشعراء الذين عرضوا لهذا المعنى وعارضوه من أمثال النابغة الذبياني ومسلم بن الوليد وأبي تمام والمتنبي مؤكداً ما فيها من قصور ونقص وضعف، ثم يعقب عليها بمعارضته إياه وما حقق له من إبداع؛ ونراه يستطرد إلى بعض المعاني الأخرى التي أبدعها غيره من الشعراء وتمكن هو من تحقيق التفوق عليهم فيها (٤٦)؛ والحق أن كل النقدات التي تلقانا في "التوابع والزوابع" لا تعدو أن تكون نقدات ساذجة وسطحية ومحدودة وتخلو من العمق والتنوع بالقياس إلى النقد الذي نجده عند أبي العلاء لا في "رسالة الغفران" وحدها، بل في سائر مصنفاته على السواء من مثل "الفصول والغايات" و"رسالة الملائكة" وغيرهما.

الهوامش:

(١) محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن ٩-١٤، ط/٥، دار الثقافة، دار العودة بيروت.
(٢) بلاسيوس: أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ترجمة: جلال مظهر، ص٧، ط/الخانجي ١٩٨٠م.
(٣) السابق ٦٦-٨٧.
(٤) أبو العلاء المعري: رسالة الغفران ص ص ٣٠٤-٣٠٦، تحقيق بنت الشاطئ، ط/٤، دار المعارف.
(٥) دانتي: الكوميديا الإلهية: الجحيم: الأناشيد ١-٤، ترجمة حسن عثمان ط/ دار المعارف ١٩٥٥م.
(٦) انظر: زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع ١/٢٦٠، ط/٢، المكتبة التجارية. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٥/١٢٢ ط/دار المعارف، وقد نسب محقق الرسالة "بطرس البستاني إلى بروكلمان قوله إنها كتبت قبل "الغفران" بعشرين سنة (رسالة التوابع والزوابع ٦٧)، وهو التاريخ الذي قرره زكي مبارك آنفا. أحمد هيكل: الأدب الأندلسي ٣٨٢ وما بعدها، دار المعارف ١٩٨٢م.
(٧) ياقوت: معجم الأدباء ٣/٢٢، بعناية مرجليوث، ط/ فريد رفاعي، القاهرة.
(٨) رسالة الغفران ٢٥٦.
(٩) أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس ص٤٨.
(١٠) النثر الفني في القرن الرابع ١/٢٦٠.
(١١) تاريخ الأدب العربي (بروكلمان): ٥/١٢٢.

(١٢) بلاغة العرب في الأندلس ٤٤، النثر الفني في القرن الرابع ١/٢٦٠، الأدب الأندلسي ٣٨٣.
(١٣) غارسيا غومس: الشعر الأندلسي ٣٩، ترجمة: حسن مؤنس، ط/٣، النهضة المصرية ١٩٦٩م.
(١٤) الأدب المقارن (هلال) ٢٢٩-٢٣٠.
(١٥) بنت الشاطئ: الغفران ٣١٠، ط/ دار العارف ١٩٦١م.
(١٦) السابق ٣٠٦.
(١٧) لويس عوض: على هامش الغفران ١٢٠، ط/١، دار الهلال.
(١٨) الغفران ٣٠٧ وما بعدها.
(١٩) ابن شهيد: رسالة التوابع والزوابع ٤٠، تحقيق بطرس البستاني، دار صادر وبيروت ١٩٦٧م.
(٢٠) رسالة التوابع والزوابع ١٢٨ "وصف البديع الهمذاني للماء"، ويلاحظ حرص ابن شهيد وصف الماء هنا تعقيباً على وصف البديع رغبة في إثبات التفوق عليه.
(٢١) السابق ١٣٥ "معارضة عمر بن أبي ربيعة لقول امرئ القيس:
سموت إليها بعد ما نام أهلها
سمو حباب الماء حالا على حال
وكذلك وصف الماء للبديع الذي أشرنا إليه آنفا ١٢٨، ومعارضاته للمتنبي وأبي نواس، وحرصه على تأكيد تفوقه على كل من عارض قول الأفوه الأودي:
وترى الطير على أعقابنا
رأي عين ثقة أن ستمار
(ص١٣٤ وغيرها).
(٢٢) رسالة الغفران ٢٩١-٢٩٢.
(٢٣) رسالة التوابع والزوابع ١٣٥ "فكرة تعليم الشعر وتجنب السرقة وتحقيق التميز الذاتي" حيث يقول: "إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تركيبه وأرق حاشيته، فاضرب عنه جملة، وإن لم يكن بد، ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن لتنشيط طبيعتك وتقوى منتك".
(٢٤) جبور عبدالنور: رسالة الغفران ومنابعها: مجلة الأديب ص٥٠ عدد حزيران ١٩٤٤م؛ وإن كان هذا الرأي مخالفا لما ذكره كثير من مؤرخيه في تقرير مكانته الأدبية.
(٢٥) انظر للمؤلف: الرحلة الخيالية بين أبي العلاء وابن شهيد ودانتي: فصل ابن شهيد (مخطوط).
(٢٦) رسالة الغفران ٣٨٧، رسالة الملائكة (للمعري) ٤٩.
(٢٧) تاريخ الأدب العربي (بروكلمان): ٥/١٢١.
(٢٨) رسالة التوابع والزوابع ١٤٩.
(٢٩) السابق ٩١.
(٣٠) السابق ٩٣.
(٣١) السابق ١٤٧، ٩٨.
(٣٢) رسالة الغفران ٢٩٠؛ أدحال: جمع دحل وهو النقب الضيق من أعلى، الواسع من أسفل وهو شبيه بالسرب يخزن فيه ماء المطر. الغماليل: جمع غملول وهو الوادي ذو الشجر، وكل مجتمع أظلم وتراكم من شجر أو غمام أو ظلمة.
(٣٣) السابق ٣٧٤.
(٣٤) السابق ٣٠٧.
(٣٥) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١/١/٢١٠ ط/ جامعة القاهرة، لجنة التأليف والترجمة.
(٣٦) رسالة التوابع والزوابع ١٢٤.
(٣٧) بنت الشاطئ: الغفران ١٩٧، رسالة الغفران ٢٠٢، ٢٠٧.
(٣٨) رسالة الغفران.
(٣٩) السابق ٢٩٨.
(٤٠) السابق ١٥٤ وما بعدها.
(٤١) السابق ٤٦٩ وما بعدها.
(٤٢) طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء ٢٢٧، ط/ دار المعارف ١٩٥٧م.
(٤٣) شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي ٢٦٩-٢٧٢، ط/٣، دار المعارف.
(٤٤) رسالة التوابع والزوابع ١١٦.
(٤٥) الفن ومذاهبه في النثر العربي ٣٢٣.
(٤٦) رسالة التوابع والزوابع١٣٢ وما بعدها.



بشارة الخوري
(الأخطل الصغير)



التجسيم الاستعاري للنص الشعري الحديث

شعر الأخطل الصغير نموذجاً

د. وجدان عبدالإله الصائغ - العراق

التجسيم هو قسيم التشخيص وشريكه في تحقيق فاعلية الاستعارة في ذلك النقل الفني للأفكار والمفاهيم والمعلومات من عالمها المتسم بالتجريد إلى عالم المحسوسات فتتجلى في كيان حسي يقربها إلى الأذهان ويضيف إليها ما يوضحها، بل لا يمكن الحديث عن المعنويات والأفكار بدقة ما لم تقترن بالمحسوسات.. ان مثل هذا الاقتران يغني المعنويات ويبرزها ويوسع مدلولاتها.

وإذا كان التشخيص قد لقي عناية أكبر من الباحثين فاوضحوا دلالته وأوردوا نماذج تطبيقية عنه (١) فإن مصطلح التجسيم لم يلق العناية ذاتها وربما عبر بعضهم عن هذا المصطلح بمصطلح آخر وهو التجسيد(٢). والتجسيم هو اضفاء الطابع الحسي على المعنويات بدرجة أساس، وهو ما ألمح إليه عبدالقاهر الجرجاني في حديثه عن فاعلية الاستعارة ووظيفتها بقوله عنها: "إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون"(٣). ونلمح هذا المعنى لدى الزمخشري إذ يسعى التجسيم لديه إلى جعل المعنوي حسياً(٤). وتركز معظم الدراسات التي تعرضت للتجسيم على قدرته وفاعليته في استيعاب المعنويات والمجردات، فالتجسيم هو تجسيم المعنويات وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم (٥)، إن التجسيم من شأنه أن يخلق الاستجابة بين المادة والروح، فتهب المادة الروح أجساماً "تظهر بها وتتطور من واقع الخفاء المعنوي إلى مثالية الظهور المادي"(٦).

إن الصورة الاستعارية- وينطبق هذا على الصورة الأدبية عامة- ما هي إلا "تجسيم للأفكار التجريدية والخواطر النفسية والمشاهد الطبيعية حسية كانت أم خيالية"(٧)، بل إن من البلاغة "أن يجسم الكاتب الاحساس لا أن يخبرنا به" (٨). إن التجسيم يعبر عن "شوق الإنسان إلى ما هو غائب والقبض... على عوالم ورؤى تعذب خياله فيحاول أن يقتنصها ويودعها اقفاص المادة المحسوسة"(٩)، فنجد (الحب) وريفا (١٠)، و(الأدب) ينبت (١١)، و(الروح) تسكب (١٢)، و(الزمان) يلجم (١٣)، والدهر (يحدد) نابا (١٤)، و(الأيام) كالحة النيوب (١٥)، (الداء) ينهش (١٦)، ويستحيل (الابتسام) و(الغرام) (١٧) و(الهوى)(١٨) و(الرغد) و(الحين) (١٩) و(الهناء) و(الشقاء) (٢٠) خمورا. و(الهوى) (٢١) و(القوافي) (٢٢) و(القرون) (٢٣) حُلياً وجواهر، وتكون (الصبابة) (٢٤) و(الهوى) و(الأحلام) و(الأماني) (٢٥) و(النفس) (٢٦) طيوراً.

ويظل للخيال دوره في تشكيل الاستعارة الحية، لذلك قيل عن الاستعارة بأنها "الوسيلة العظمى التي يجمع الذهن بوساطتها في الشعر أشياء مختلفة لم توجد بينها علاقة من قبل، وذلك لأجل التأثير في المواقف والدوافع وينجم هذا التأثير عن جمع هذه الأشياء وعن العلاقات التي ينشؤها الذهن بينها.. إن الاستعارة وسيلة شبه خفية يدخل بوساطتها في نسيج التجربة عدد كبير من العناصر المتنوعة"(٢٧). ويأتي دور الخيال أو تلك القدرة التركيبية - كما يعبر ريتشاردز- التي تجمع أو تخترع الصلة بين عناصر لا توجد بينها رابطة عادة (٢٨)، ويكون التجسيم عامة من وسائل الخيال في ابتكار الصورة الاستعارية الجديدة لذلك قيل إن التجسيم يشكل ركيزة مهمة من ركائز الصورة(٢٩).

التجسيم هو إضفاء الطابع الحسي على المعنويات

ويبرز دور الشاعر في انتقاء المستعار منه المحسوس بما يعزز سمات أراد أن يبرزها في المستعار له المعنوي ولكنه لم يستطع أن يعبر عنها بمعزل عن عطاء هذا المحسوس الذي يجئ به قسيما استعاريا هدفه مفاجأة القارئ بما لايتوقعه من هذا الاقتران غير المألوف بين المعنويات من جانب، وعالم المحسوسات الرحيب بما ينطوي عليه من أحياء غير عاقلة وجمادات من جانب آخر.

ويشيد أنور المعداوي بدور التجسيم في إبراز اللوحة الشعرية لدى الأخطل الصغير(٣٠)، ويلمح د. أحمد مطلوب قدرة الأخطل الصغير على التجسيم من خلال تحليله بعض صوره الاستعارية المحلقة في رحاب الطريف من الصور(٣١). وسيتضح هذا من خلال تلمس هذه السطور فعالية الصورة الاستعارية وقدرتها على تجسيم المعنويات.

يحـدد الأخطل الصـغـيـر للأفكار المجـردة والمعنويات أجساماً شتى مستمدة من عالم المحسوسات ولا سيما الطبيعة بما فيها من نبات وحيوان وماء ومظاهر أخرى.

وتستحضر مخيلة الشاعر (الأفكار) فإذا هي (براعم) تتفتق على أرض الاستعارة المكنية في قوله:

ولا تفـــتــقت الأفكار عن أدب
إلا وأنبت روضـــاً من بواكــره(٣٢)

وينتقي بشارة الخوري من عالم (البراعم) المستعار منه ما يعبر به عن (الأفكار) المستعار له بالفعل المستعار (تفتقت) الذي أضفى حركية على الصورة الاستعارية، ويأتي اختياره البراعم قسيما استعارياً للأفكار احساسه بأن عالم البراعم هو عالم واعد إذ يعد بحياة واحتمالات متنوعة، ففي البرعم وعد بزهرة يانعة أو ورقة خضراء أو ثمرة دانيه أو غصن نضير.. وربما كانت البراعم كل هذه الأشياء مجتمعة. إن (البراعم) (المستعار منه) ومثلها (الأفكار) (المستعار له) تعني الولادة الجديدة والأفكار والعطاء والأثمار، وهو ما عناه الشاعر وقصده حين اختار البراعم معبرة عن الأفكار، وهذه الصفات المشتركة بين (المستعار له) و(المستعار منه)- التي تعرف عند البلاغيين بالجامع (٣٣)- هي التي سوغت بناء الاستعارة وأفادت تجسيم المعنى وتوكيده.

ومثلما اختار الشاعر البراعم كي تعبر عن الأفكار فإنه يلتقي (الروض) في ظل استعارة تصريحية كي يكون دالاً على الإبداع الحي المبتكر- الذي تنبته مصر وهي التي خاطبها الشاعر في هذا البيت - فكما أن الروض ينبت الجديد والمتنوع والملون الزاهي فإن الإبداع يعطى كل هذا ولا سيما إذا كان ابداعاً مؤثراً حيا يسهم في انبات الروض الحضاري المعنوي للشعوب المتحضرة والأمم المتقدمة وهذا ما قصده الشاعر على وجه الدقة من الصورة الاستعارية التصريحية حين انتقى (الروض) مستعاراً منه حاضراً (للابداع) الحسي المتجدد.

الاستعاره وسيلة ذهنية تجمع بين المتناقضات والمتباعدات..

★★★★★

وربما استثمر الشاعر (البرعم) في نسيج صورة استعارية أخرى في قوله مخاطباً أحد المبدعين: "أفكرة لم تكن فتقت برعمها"(٣٤) جسمت (الفكرة) زهرة بدلالة (فتقت) برعمها تعبيراً عن جدة أفكار ذلك المبدع وغضارتها وقد منح البرعم (المستعار منه) الفكرة (المستعار له) ايحاءات التجدد والتألق والنضارة، كما أسبغ الفعل المستعار (فتقت) حيوية على الصورة الاستعارية المكنية.

وتحضر (الثمار) في ذهن بشارة بوصفها أداة فنية تُجسم من خلالها الأقلام (الأدب) والرزايا في سياق صورتين استعاريتين مكنيتين جعلت الأولى الأقلام (المستعار له) أشجاراً بدلالة (الثمار) وصيرت الثانية الرزايا ثماراً بدلالة الفعل المستعار (يجنى) في قوله مشيراً إلى إحباطات مبدع جرّ عليه إبداعه الويلات من حاسديه وكائديه:

جنى لها ثمر الأقلام يانعة
وراح يجني الرزايا من مجانيها(٣٥)

يقرن الأخطل الصغير بين الإبداع الفكري والثمرة اليانعة وهو انتقاء ينطوي على وعي بعظمة ذلك الإبداع ودوره الفاعل في بناء الصرح الحضاري للأمم والإرهاص بحياة جديدة واعدة، وتكمن الثمار عادة مرحلة لاحقة لجهد متصل وهو ما ينطبق على جهد الشاعر الدؤوب من أجل إبداع مكتمل ناضج كما الثمار اليانعة، بيد أن الثمار اليانعة لا تقترن بالعطاء المبدع الإيجابي للشاعر فحسب وإنما قد ترتبط في ذهن بشارة بالثمار السامة المفضية إلى الموت، وتأتي المفارقة في هذا البيت من أن الشاعر المبدع الذي أراد أن تكون أفكاره وقصائده ثمارا ناضجة شهية ولكن نتيجته كانت أنه راح يجني الرزايا وبذلك تكون الرزايا

قسيما استعارياً للثمار المسمومة التي تشي بالألم والموت ولا توحي مجانيها بجني الثمار فحسب وإنما توحي بالجناية على المبدع جراء ابداعه وهو ما لا يتوقعه المبدع والقارئ على حد سواء.

وتستحضر مخيلة الشاعر لذائذ الدنيا في قوله: "نجني اللذائذ الأبكارا " (٣٦) إذ تتجسم (اللذائذ) في ميدان الاستعارة المكنية (ثمارا) شهية (يجنيها) مريدوها وعشاقها، ولا يخفى ما في لذائذ الدنيا (المستعار له المعنوي) والثمار (المستعار منه المحسوس) من جامع فهو الذوق الشهي والرائحة الذاكية والمنظر الجميل والملمس الناعم وهي جميعاً ذات علاقة بالصورة الاستعارية التي جعلت اللذائذ ثماراً لكن الثمار لم تذكر في البيت وقد غابت وخلفت شيئاً من لوازمها وهو الفعل المستعار (نجني) وفي ذلك إثارة لخيال القارئ ودعوة لمشاركة المبدع في أفكاره ومشاعره.

ويصوغ الشاعر صورة استعارية ليجسم فيها الحب (روضاً) معطاراً في قوله:

حبنا الذي نشروا
من شذاه ما نشروا
صوحت أزاهره
قبل يعقد الثمرا (٣٧)

يستثمر الأخطل الصغير ايحاءات الروض (المستعار منه) في الشذا الفواح والنضارة والجمال والألوان والتجدد مجسماً الحب (المستعار له) الذي رعاه الشاعر وكان يطمح إلى أن يجني ثماره يانعة، بيد أن السياق الذي جاء به هذا الروض مجسماً للحب عبر عن حالة احباط وانكسار، ولذلك فإن الروض قد (صوحت أزاهره) وجف نسغ الحياة فيه وغاب جماله.

وتتجلى فاعلية التجسيم في شبكة من العلاقات الجديدة التي تخلقها الصورة الاستعارية في قول الأخطل الصغير مخاطباً حافظ إبراهيم:

أنت والنيل ضفتان لمصر
تنبتان الأذواق والأرزاقا(٣٨)

تطالعنا (مصر) في نسيج استعارة مكنية أولى

من البلاغة أن يُجَسِّم الكاتب الاحساس لا أن يُخبرنا به..

★★★★★★

مجسمة (نهرا)، وتكون ضفتاه الشاعر حافظ إبراهيم والنيل في إطار لوحة تشي بالحياة والخلود المستمدين من أرض مصر (المستعار له) والنهر (المستعار منه) على حد سواء، ويقف بشارة أمام عطاء المبدع ورصانة دوره في إعلاء صرح الأمة وتلاحم هذا العطاء وهذا الدور مع عطاء النيل وعظمته فيرسم صورتين استعاريتين مكنيتين يجسم الأذواق والأرزاق (نبتا) فالأذواق (المستعار له الأول) ذات صلة بالشاعر المبدع إذ إنه يهذبها وينميها بما منحه الله من موهبة القول القادر على التأثير والتغيير من جانب وهي ذات صلة بالنهر من جانب آخر إذ إنه (النيل) قرين الحياة والحضارة والعمران، وأما الأرزاق (المستعار له الثاني) فإنه يتصل بالنهر وعطائه وهو الدال على الحياة والخير العميم، واستعارة الشاعر فعل (الإنبات) للأرزاق دلالة مجسمة محسوسة على النمو والخصب لقد أضفى المستعار منه (النبات) الذي استعمله بشارة بصيغة الفعل (تنبتان) صفتي الحركية والتجدد على المستعار له (الأذواق والأرزاق).

وينعطف التجسيم صوب منعطف آخر حين يلمح حياة الشاعر الحزينة التي لا تتناسب مع جهده وعنائه ومكابداته إذ يقول:

شاعر يحصد الهموم وينمى
في الندامى بشاشة وانطلاقا(٣٩)

تكمن المفارقة في حصاد المبدع البائس ولكن لسنابل ميتة (مستعار منه) إذ يستعير منها الحصاد بصيغة المضارعة (يحصد) للهموم (المستعار له) على سبيل الاستعارة المكنية المتسمة بالتسويق، في حين تأتي الاستعارة الأخرى لتجسم (البشاشة) والانطلاق (سنابل)، مترعة

بالعنفوان، ويكون للفعلين المستعارين يحصد وينمي دوراً في خلق الحيوية والحركية وإضفائهما على الصورتين الاستعاريتين، وبذلك فقد جسم الشاعر الهموم (المستعار له) سنابل ميتة من جانب، وجسم البشاشة والانطلاق (المستعار لهما) سنابل (المستعار منه) حية ويافعة ونامية من جانب آخر ليعكس احساسه بالمرارة إزاء جهد المبدع ومكابداته والمصير الذي انتهى إليه بعد ذلك فضلاً من الإيحاء بقدرة ذلك الشاعر المبدع على خلق الفرح والغبطة من خلال نتاجه الحي والتذكير بضرورة الالتفات إلى المبدعين والاهتمام بهم في حياتهم وقبل فوات الأوان.

ومثلما يجسم الشاعر الهموم والبشاشة والانطلاق سنابل فإنه يتلبث عند الأدب المبدع فيجسمه (نباتاً) ريانا على سبيل الاستعارة المكنية في قوله:



في فتية تطعم الأوطان مهجتها
وتنبت الأدب الريان انباتا(٤٠)

تواجهنا في هذا البيت حالتان أولاهما: حالة الحرب من خلال الصورة الاستعارية المكنية التي جسمت مهجة الفتية (أبناء وطن الشاعر) طعاما (مستعاراً منه) تقتات عليه أوطانهم، إذ تكون تلك المهج سببا في بقاء تلك الأوطان حصينة ايحاء باندفاع أولئك الفتية صوب الشهادة للذود عن حياض الوطن عدد حلول الوغي، وأما الحالة الأخرى فهي حالة السلم التي أبرزتها الصورة الاستعارية مجسمة الأدب (المستعار له) نباتاً ريانا إشارة إلى الذائقة الأدبية التي تمتع بها أولئك الفتية، وقد شكل الفعلان المستعاران (تطعم) و(تنبت) محوراً حركياً نظم الصورتين كلتيهما معبراً عن الاستمرارية المستمدة من الفعل المضارع والحركية المقترنة بالفعلية، فضلاً عن المفعول المطلق (انباتا) الذي أكد الفعل المستعار (تنبت) فاضفى على الصورة الاستعارية القائمة عليه توكيداً منسجما مع غرض الشاعر في اسناد الشجاعة والأدب لأولئك الفتية.

وينطبق ما ذكرناه في تجسيم المعنويات نباتا على صورة استعارية أخرى اشتمل عليها قول بشارة مخاطباً قلبه المرهف:

عذرتك يا قلب مَنْ للهوى
نتركه بعدنا ينبل(٤١)

فها هي الصورة الاستعارية المكنية تجسم الهوى (المستعار له) نباتا (مستعاراً منه) يخشى الشاعر عليه من أن يذبل إشارة إلى تلك الوشيجة القوية التي تربط بشارة بالهوى إذ يجد في ذاته رافداً يرفد الهوى بنسغ الحياة واستمراريتها، لذا نجده يختار للهوى (المستعار له المعنوي) النبات كيانا يحل به لتتأكد حاجة الهوى للشاعر إذ بحضوره يستعيد الهوى نضارته وتألقه وزهوه.

ويرسم بشارة صورة استعارية مكنية أخرى انطوى عليها قوله:

وحب سلمى وريق مثل أوله
سقته من ذكريات الحب أنداها(٤٢)

إذ جسمت الحب (شجرة) باسقة خضراء بدلالة اللفظ المستعار (وريق) تعبيراً عن رسوخ ذلك الحب وكثرة عطائه.

وقد ينقل الأخطل الصغير (الزرع) من دائرة الخير والنماء إلى دائرة أخرى غير مألوفة فيكون الزرع (مستعاراً) للبهتان والكذب في قوله مخاطباً المتنبي ومستحضراً معاناته جراء موهبته الفذة عاكسا عليه ما يكابده من منافسيه وكائديه:

عفوا نبي القوافي أي نابغة
لم يزرعوا حوله البهتان والكذبا(٤٣)

توحي الصورة الاستعارية التي أحالت البهتان والكذب (المستعار له) زرعاً (المستعار منه) بجامع النماء والتكاثر بالحقد الكامن الذي يغذيه صاحبه فيغدو زرعاً شائكاً يخز الموهبة الحقة ويقف حائلاً دون انطلاقها في سماء الإبداع والعبقرية، مما ينطبق على أبي الطيب المتنبي والأخطل الصغير

التجسيم يشكل ركيزة مهمة من ركائز الصورة

★★★★★★

على حد سواء في هذه الصورة المعبرة عن كيد الحساد والمنافسين للموهبة الحقة.

وتظل الطبيعة معيناً متدفقا يرفد الشاعر بصوره الاستعارية إذ يجسم في ميدان الاستعارة المكنية المرح (نهرا) والوجد (فيضا) يغمر الجوانح في قوله مخاطباً حبيبته التي جعلها مستعاراً محذوفاً لـ (ريحانة الرياحين) على سبيل الاستعارة التصريحية متلبثا عند قدرتها على اضفاء لمسات الاشراق والبهجة على حياته:

إيه ريحـانة الرياحين فـيـضي
مـرحـا وامـلأى الجوانح وجـدا(٤٤)

تبرز فاعلية الصورة الاستعارية في التجسيم من خلال الفعلين المستعارين (فيض) و(املأى) اللذين جسما المرح (المستعار له) نهراً (يفيض) والوجد (المستعار له الآخر) فيضاً، وقد أسبغت دلالات النهر وفيضه على المستعار له وما يشي به من ايحاءات الحياة والخصوبة والبهجة، ويفصح الفعلان المستعاران عن الوشيجة الحميمة التي تربط الشاعر بمن يحب.

ويلمح الأخطل الصغير الصلة بين الإنسان وأرض الوطن فيصوغ صورتين استعاريتين جسمتا كلاً من روح ذلك الإنسان وهواه (ذوبا وماء) في قوله:

كم مـحب على ثرى مـصـر منا
ذوب الروح في الهـوى وأراقـا (٤٥)

ايحاءً بالامتزاج حد التوحد، ويشير الفعل (أراقا) إلى انسكاب الروح والهوى معا على أرض الوطن إشارة إلى توغلهما في أعماق الأرض، ذلك التوغل المستمد من طبيعة المستعار منه (الماء) الموحى بالامتزاج بين ثرى الأرض والروح والهوى حد التوحد.

ويظل بشارة في إطار الطبيعة متنقلا من عالم الماء إلى عالم الطير ينتقي منه ما يجسم المعنويات التي تكون (مستعاراً له) ويكون الطائر (مستعاراً منه)، وتتنوع الألفاظ المستعارة كي تضفي على الصورة الاستعارية قوة تأثير، فضلا عن وظيفتها

الأخطل الصغير صنع بالاستعارة مـجـسـمـات تلمـسـهـا وتراها..

★★★★★★

الأساس في تأكيد انتماء تلك المعنويات لعالم الطير ومن ذلك استثماره الفعل المستعار (تحلق) المستمد من اجواء الطير وعالمه الزاخر بالحركة في قوله:

نفس الكريم على الخصاصة والأذى
هي في الفضاء مع النسور تحلق (٤٦)

يختار الشاعر من عالم الطير (النسر) ليكون قرينا لنفسه السامية الشامخة المترفعة عن الحضيض والطامحة للذرى، فيصوغ صورة استعارية مكنية تجمع بين (نفسه) و(النسور) المحلقة إذ تتجسم تلك النفس السامية (المستعار له) نسراً محلقاً متحدياً الخصاصة والأذى اللذين تأنف منهما نفس الشاعر فتنطلق إلى الفضاء موطنا لها ومستقرا، ويشيع الفعل المستعار (تحلق) حركية على اللوحة الاستعارية المكنية فضلا عن منحها سعة في الزمان مستمدة من الفعل المضارع والمعبرة عن استمرارية ذلك التحليق في الحاضر والمستقبل(٤٧).

ويرسم الشاعر لوحة تجمع بين ثلاثة طيور أولها: طائر الهوى، وثانيها: طائر الأحلام والثالث: هو طائر الأماني في نسيج ثلاث صور استعارية مكنية متوحدة من خلال لازمة من لوازم الطير (الريش) في قوله عن ميل عروة لعفراء في مرحلة الطفولة:

لم يلبسـا ريش الهـوى لكنه
هـو ريش أحـلام وريش أمـان(٤٨)

ينقل الشاعر الهوى والأحلام والأماني من عالمها المجرد إلى عالم المحسوس مستثمراً سمو الطير وتحليقه وانطلاقه ناسجا في مخيلته (طيورا) امتلكت سمات كل من تلك المجردات (المستعار لها) والمحسوس (المستعار منه) استثمرها للتعبير عن تجربة انسانية تمخضت عن حب عارم بدأ

بأمنيات وأحلام تنسجم مع عالم الطفولة البريء(٤٩). ويمكث د. أحمد مطلوب عند تجسيم الهوى طيرا فيقول إن "إضافة الريش إلى الهوى كإضافة الماء إلى الملام في قول أبي تمام"(٥٠)، ولا يخفى القصد من هذه الموازنة التي هدفها الإشادة بالقدرة التجسيمية للأخطل الصغير في صورته الاستعارية الطريفة.

ويستثمر بشارة (جناح) الطائر لازمة لصوره الاستعارية التي جسمت الصبابة والهوى والأحلام والأماني (طيوراً) في مواضع مختلفة من الديوان وبسياقات شعرية متباينة(٥١)، وقد أوحت جميعاً بالانطلاق والتحليق والرفعة.

وإذا كان الطير قد احتل حيزاً في شعر بشارة حين نسج من خلاله صوره الاستعارية، فإن الحيوان عامة مما وظفه إذ جعل منه (مستعاراً منه) جسم من خلاله معنويات مختلفة، ومن ذلك أنه جسم الأيام (وحوشاً) كالحات النيوب في قوله مخاطباً الزهاوي:

يا فيلسوف العرب
والأيام كالحة النيوب(٥٢)

يرسم بشارة صورة استعارة مكنية يجسم من خلالها (الأيام) (حيوانات) ضارية مركزة على نيوبها الكالحة أراد من خلالها أن يبرز بشاعة هذا الوحش (المستعار منه) وقوة فتكه، وتضيف لازمة المستعار منه (كالحة النيوب) تداعيات تنتقل بين الأفعى مرة والذئب مرة أخرى وبذلك فقد أضفت تلك اللازمة (كالحة النيوب) دلالات تجمع بين الخطر والحياة والموت الزؤام، وتأتي هذه الصورة لتعكس أسى الشاعر وإحساسه بالمرارة إزاء ما فعله الزمن به.

ويجمع الأخطل الصغير بين (الفرس) و(الأسد) كي يقرنهما ببعد معنوي واحد هو الوطن في قوله:

إيه لبنان أين غرتك البيضاء
أين العرين كيف اضمحلا (٥٣)

يستثمر الشاعر الفرس ذات الغرة البيضاء كي يرسم صورته الاستعارية الأولى لوطنه، وقد جعلت الوطن (فرساً) بلازمة (غرتك البيضاء) ايحاء بأصالة وطنه وجماله واشراقه المستمد من تلك الغرة وبياضها الناصع الذي زين جبينه، ويضفي الأسد وعرينه على وطن الشاعر جوا من المهابة والإقدام والمنعة في نسيج صورة استعارية مكنية أخرى صيرت الوطن (أسداً) بدلالة اللفظ المستعار (عرين) بيد أن هاتين الصورتين وردتا في سياق يوحي بالمرارة والألم اللذين يكرسهما استفهام الشاعر (...أين...أين...كيف) وقد دل على الاستهجان والاستغراب ازاء هذا التحول الذي آل إليه وطن كان يزهو به الشاعر ويفتخر. إن التجسيم هذا يعين الشاعر على أن يعبر بدقة عن حزنه العميق وأسفه وهذا هو ما يدعى بالإطار العاطفي وهو ما يحققه التجسيم الثبت كما جرده مصطفى ناصف(٥٤).

وبعد، فقد اتخذ الشاعر من لوحة الطبيعة بأزاهيرها وبراعمها وثمارها وأنهارها وحيوانها أجساماً حلت في اهابها المعنويات والأفكار المجردة فبدت وهي منصهرة في بوتقة الصورة الاستعارية وكأنها خلق جديد يجمع بين سمات الطبيعة (المستعار منه) ودلالات الأفكار المجردة (المستعار له) وهذا هو جوهر التجسيم الاستعاري ووظيفته الأساسية في إثراء النص الشعري.

الحواشي:

(١) ينظر: العقاد، عباس محمود، ابن الرومي حياته من شعره "بيروت" مؤسسة منظورة للطباعة (د.ت)، ص٣٠٥، كما ينظر: اسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٣، بيروت، دار العودة ودار الثقافة، ١٩٨١، ص١٠، وينظر كذلك: الجيار، مدحت سعد محمد، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي طرابلس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م، ص١٥٧.

(٢) ينظر: الرباعي، عبدالقادر، الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سُلمى، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، ص١٧٧.

(٣) الجرجاني، عبدالقاهر، كتاب أسرار البلاغة، تحقيق: هـ. ريتر، استانبول، مطبعة وزارة المعارف ١٩٤٥م، ص٤١.

(٤) الزمخشري، جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، بيروت، دار صادر ١٩٧٦م، ص٥٤.
(٥) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص٦٣، كما ينظر: مرعشلي نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم، بيروت، دار الحضارة العربية، ١٩٧٤ مادة (ج س م) كما ينظر: الصائغ، عبدالإله، الصورة الفنية معيارا نقدياً، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٧م، ص٤١٧.
(٦) علي، د.أسعد، مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة، ط٢، دمشق، دار السؤال للطباعة والنشر ١٩٧٩م، ص٤٦.
(٧) عفيفي، محمد الصادق، النقد التطبيقي والموازنات، القاهرة، مطبعة الرجوى، ١٩٧٨م، ص١٤٢.
(٨) رشدي، د. رشاد، النقد والنقد الأدبي، بيروت، دار العودة، (د.ت)، ص١١.
(٩) سعيد، د. خالدة، حركية الإبداع، ط٢، بيروت، دار العودة، ١٩٨٢م، ص٥٣.
(١٠) الخوري، بشارة عبدالله، شعر الأخطل الصغير، ط٢، بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢م، ص٥٧.
(١١) نفسه، ص٣٣٧.
(١٢) نفسه، ص٤٥.
(١٣) نفسه، ص١٣٢.
(١٤) نفسه، ص٣١٧.
(١٥) نفسه، ص١٦٧.
(١٦) نفسه، ص٢٥٩.
(١٧) نفسه، ص٢٦٢.
(١٨) نفسه، ص٢٦٤.
(١٩) نفسه، ص٢٠٢.
(٢٠) نفسه، ص٢٠٢.
(٢١) نفسه، ص٢٢١.
(٢٢) نفسه، ص٣١٧.
(٢٣) نفسه، ص١٦٢.
(٢٤) نفسه، ص٣٣.
(٢٥) نفسه، ص٢٨٨.
(٢٦) نفسه، ص٢٣٢.
(٢٧) ريتشاردز، أ.أ.مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: د. مصطفى بدوي، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦١م، ص.٣١٠.
(٢٨) نفسه، ص٣١١.
(٢٩) ينظر: السيد، د. شافيع، التعبير البياني، القاهرة، دار غريب للطباعة، ١٩٧٧م، ص١٥٣.
(٣٠) ينظر: المعداوي أنور، الأخطل الصغير، دراسة فنية لشعره، مجلة الأدب، العدد السادس السنة التاسعة، ١٩٦١م، ص٢.
(٣١) ينظر: مطلوب، د. احمد، الصورة في شعر الأخطل الصغير، عمان، دار الفكر للنشر ١٩٨٥م، ص٣٥.
(٣٢) الخوري، بشارة عبدالله، ص.١١٠.
(٣٣) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م، ص.٢٩٠-٢٩٢.
(٣٤) الخوري، بشارة عبدالله، ص١٢٥.
(٣٥) نفسه، ص٧٨.
(٣٦) الخوري، بشارة، الهوى والشباب، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣م، ص١٧٥.
(٣٧) الخوري، بشارة عبدالله، شعر الأخطل الصغير، ص٣٤.
(٣٨) نفسه، ص٢١٤.
(٣٩) نفسه، ص٢١٤.
(٤٠) نفسه، ص٣٣٧.
(٤١) نفسه، ص٢٧٦.
(٤٢) نفسه، ص ٧٥ .
(٤٣) نفسه، ص١٢٥.
(٤٤) نفسه، ص١٣٥.
(٤٥) نفسه، ص٢١٥.
(٤٦) نفسه، ص٢٣٢.
(٤٧) توقف مارون عبود عند هذا البيت وأشار بطريقته الساخرة إلى أن الخطل الصغير قاله طمعاً بالمزيد من الأملاك مع أنه يمتلك بيتاً وبستانا ينظر: عبود، مارون، على المحك ط٤، بيروت، دار الثقافة ودار مارون عبود، ١٩٧٠م، ص٤٧. ولا يخفى ما في هذا الكلام من تجن على الشاعر.

(٤٨) الخوري، بشارة، الهوى، والشباب، ص٦٨.

(٤٩) إذا كان الشاعر قد نفى الحب عن عروة وعفراء فلأنهما طفلان بريئان، وقد أكده في أبيات لاحقة، ينظر: الخوري، بشارة، الهوى، والشباب، ص٦٨-٦٩.

(٥٠) لا تسقني ماء الملام فإنني
صب قد استعذبت ماء بكائي

أبو تمام، ديوان أبي تمام، تحقيق: شاهين عطية اللبناني، بيروت، المطبعة الأدبية، ١٨٨٩م، ص١١ وينظر: مطلوب، د. أحمد، ص٥٣-٥٤.

(٥١) الخوري بشارة عبدالله، ص٣٣، ص٢٥٠، ص٣١٨.

(٥٢) نفسه، ص١٦٧.

(٥٣) نفسه، ص٢٨٣.

(٥٤) ناصف، د. مصطفى، الصورة الأدبية، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٩٥٨م، ص١٣٦.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتاب المطبوع

- أبو تمام، ديوان أبي تمام، تحقيق: شاهين عطية اللبناني "بيروت" المطبعة الأدبية، ١٨٨٩.
- إسماعيل، د. عز الدين، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٣، بيروت، دار العودة ودار الثقافة، ١٩٨١م.
- الجرجاني، عبدالقاهر، كتاب أسرار البلاغة، تحقيق: هـ.ريتر استانبول، مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤م.
- الجيار، مدحت سعد محمد، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، طرابلس، الدار العربية للكتاب ١٩٨٤م.
- الخوري، بشارة عبدالله:
شعر الأخطل الصغير، ط٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢م.
الهوى والشباب، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣م.
- الرباعي، د. عبدالقادر، الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى، الرياض، دار العلوم للطباعة ١٩٨٤م.
- ريتشاردز، أ.أ. مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: د. مصطفى بدوى، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦١م.
- رشدي، د. رشاد، النقد والنقد الأدبي، بيروت، دار العودة (د.ت).
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، بيروت، دار صادر ١٩٧٩م.
- سعيد، د. خالدة، حركية الإبداع، ط٢، بيروت، دار العودة ١٩٨٢م.
- السيد، شفيع التعبير البياني، القاهرة، دار غريب للطباعة ١٩٧٧م.
- الصائغ، د. عبدالإله، الصورة الفنية معياراً نقدياً، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م.
- عبود، مارون، على المحك، ط٤، بيروت، دار الثقافة ودار مارون عبود ١٩٧٠م.
- عفيفي، محمد الصادق، النقد التطبيقي والموازنات، القاهرة، مطبعة الرجوى، ١٩٧٨م.
- العقاد، عباس محمود، ابن الرومي حياته من شعره، بيروت، مؤسسة منظورة للطباعة (د.ت).
- علي، د. أسعد، مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة، ط٢، دمشق، دار السؤال للطباعة والنشر ١٩٧٩م.
- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٨٠م.
- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعارف، دار المعارف (د.ت).
- مرعشلي، نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم، بيروت، دار الحضارة العربية ١٩٧٤م.
- مطلوب، د. أحمد، الصورة في شعر الأخطل الصغير، عمان، دار الفكر للنشر ١٩٨٥م.
- ناصف، د. مصطفى، الصورة الأدبية، القاهرة، دار مصر للطباعة ١٩٥٨م.

ثانياً: المقالة:

- المعداوي، أنور، الأخطل الصغير، دراسة فنية لشعره، مجلد الآداب، العدد السادس، السنة التاسعة ١٩٦١م.


البِرّ
مايغلى علينا
معاً لإعطاء
حياة أفضل
المنهل
مجلة للآداب والعلوم والثقافة

أضغاثُ أحلام في عالم الأقزام!!



د. أحمد عطية السعوديّ
- الأردن -

* حدثنا ابنُ الأثير(١) قال:

إن أنسَ فلن أنسى تلك الليلة التي فرغ فيها أستاذي الخطيبُ البغدادي(٢) من تأليف كتابه "تاريخ بغداد" بعد أن لبث في تصنيفه بضع سنين، فقد كانت حالكة الدجى، غائرة النجوم، شديدة الوحشة، ولقد بلغ به الإعياء حدَّ السَّآمة، ورَهَقَتْهُ فَتْرَة وكآبة، وزادَهُ ما روى وما رأى ومن حال الأمّة حَسرةً وغُمّة حينَ صارت أضيعَ منْ خُنْفُساء في فلاة، تُسقى الذُّل والهوان بأيدي التتار وذوي الدولار، وتركلُ بأقدام بني قينقاع، وتسامُ الخَسْف ليلَ نهار.

قال ابن الأثير: ثم آوى الخطيبُ إلى فراشه راجياً أن يطلع فجرٌ بهيجٌ كبدر التمام، فتداخلت في نفسه رؤى وأحلام، وأشواق منام، فإذا الزمانُ غيرُ الزمان، والناس غير الناس، قد انقلب الدهر، وتحول البشر، وإذا الضعفاء سادة أعزاء، وإذا الجبابرة الطغاة أذلة وضعاء!

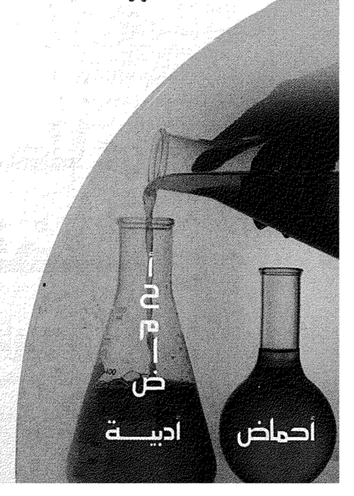
وبينا هو يسير وسط موج متلاطم من البشر، إذ سمع منادياً على قمة "إفرست" ينذر ويحذّر: يا بَني يعرب وقحطان، هذا يوم العظمة والملحمة، فهلمّوا هلموا:

وقلّدوا أمْركم لله دَرُّكُمُ

رَحْبَ الذّراع بأمرِ الحرب مُضْطَلِعا(٣)!

فلما سمعوا النداء تداعت قبائل عبس وغطفان وبنو بكر وعجلان وسائر العربان، واجتمعوا في الربع الخالي، وتعاهدوا على الوحدة والقوة كما تعاهد الجن الأزرق على الشيطنة والنزق في وادي عبقر، فتوحدت ثنتان وعشرون قبيلة باسم الاتحاد العروبي تأسياً بالاتحاد الأوروبي.

قال ابن الأثير: فطرتُ فجاءة إلى شيخي الجليل، وتمثلت بين يديه بتشكل مثير، فسماني ابن الأثير، وغدوت إذ ذاك أنقلُ الترددات والذبذبات، وأبثها إلى أرجاء المعمورة، والتحمت



روحي بروحه، واستافتْ أرجَها(٤)، فتآلفتا في كُوّة من نور تتهادى في ملكوت مستور.. فحاورته، وقلت: أيها المؤرخ الكبير، فما فعل هذا الاتحاد العروبي، وقد غدا السيد الأوحد على الكوكب الأجرد.. الأجرد من الماء العذب، وماء الفضيلة، وماء الأمن والسكينة؟!

قال: ماذا فعلوا؟! لقد أتوا بما لم تستطعه الأوائل، فغدا لهم علم مرفوع، وصوت مسموع، وورد الفرات زئيرهم والنيل، وجاسوا خلال الكوكب، فأسلس لهم القياد، ودانت لهم البلاد.. وتكاثرت جلائل أعمالهم حتى استعصت على العدّ والإحصاء.. وها أنا أعد منها ولا أعددها:

أولاً- فككوا الاتحاد السوفيتي، وقسموه إلى دويلات؛ ومرَّغوا أنفَ الدُّب الأحمر في ثلوج سيبيريا؛ لأنه حاول أن يمزق المعلقات السبع، ويقصف جبل الرَّيان بالصواريخ، ويروّعَ ساكنيه، وهو جبل المحبين:

يا حبذا جبلُ الرَّيان من جبل

وحبذا ساكنُ الريَّان مَنْ كانا(٥)!

ثانياً- أدّبوا اليابان بالقنابل النووية؛ ودمروا سفنها الحربية، وحرَّموا التصنيع على هيتاشي وزوزوكي؛ لأن إمبراطورها لا يعرف أن للكلب خمسين اسماً في لغة العرب، ولا يعرفُ منظومة الرجال عند بني هلال، ولا يعرفُ أنهم أربعة:

رجلٌ يدري ويدري أنّه يدري، ورجلٌ لا يدري ولايدري أنَّه لا يدري، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، ورجلٌ يدري ولا يدري أنه يدري!

ثالثاً- هدموا جدار برلين بين ألمانيا الشرقية والغربية نكايةً بمجنون ليلى الذي كان يُقبّلُ هذا الجدار، ويمرُّ بديار الخواجات، ويواليهم، وينشدُ الأشعار في جواريهم:

أمرُّ على الديار ديار ليلى

أقبّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا!

ولأجل ذلك نكَّلوا بأهل أوروبا، وأجبروهم على الخضوع والركوع، وابتدعوا لهم فكرة "جامعة الدول الغربية" ليظلوا مختلفين إلى يوم الدين، وفرضوا عليهم مفهوم "الغرب" الأوسط الكبير!

رابعاً- فرضوا حصاراً تجارياً وحظراً دولياً على البرازيل، وحرموا على العالم شُرب قهوتها السادة؛ لأن فريقها الرياضيّ بقيادة "بيليه" قد غلب فريق العرجان اليعربي، وهزم أبناء الأكرمين!

خامساً- جدعوا أنوفَ الصينيين، وحرموا عليهم أن يأكلوا الأرز بالعيدان؛ لأن هؤلاء أحاطوا أنفسهم بالسور العظيم، فامتنعوا بهذا الفعل الشنيع عن الانفتاح على العالم، وقبول العولة، واعتدوا على قبيلة أنف الناقة في تايوان.. ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا؟!

سادساً- فرقوا بين الكوريتين الأختين الشمالية والجنوبية، واحتجوا بأن الشمالية امتلكت أسلحة نووية ذات ضجيج وعجيج يؤرق الحالمين بالرومانسية على شواطئ المحيط الهادئ، ويخالفُ العُرفَ اليعربيّ القائل: لا صوتَ يعلو فوق صوت الربابة!

سابعاً- بطشوا بفيتنام، وقتلوا ثلاثة ملايين من أهلها الأيتام، لأن هؤلاء الفيتناميين، رفضوا السروال اليعربيّ المسمى بالجينز، وأبوا أن يحلقوا حلاقة الراعي المارينز، وحرقوا العلم ذا النجوم الخمسين في شوارع هانالولو!

ثامناً- خلعوا ولاةَ الشعوب الذين لا يحسنون الخطابة في سوق عكاظ، ولا يحسنون تكرارَ عبارة: "وليس قُرْبَ قَبرْ حَرْبٍ قَبْرُ"! وحربُ هذا هو جورج واشنطن، وإنما بدَّل اسمه؛ لأنه خاض حربَ البسوس، وأبادَ فيها الهنودَ الحمر، وهم بطنٌ مِنْ تَغلب!

قلت: وما فعلَ الاتحاد العروبي بذوي العيون الزرق والشعر الأشقر من أكلة الهامبورغر الذين أذاقوا العالم بيتزا الويلات وكنتاكي النكبات؟

قال: لقد شنّ عليهم العُربان حرباً شعواء، وأمطروهم بالصواريخ الباليستية، والقنابل المحرمة دولياً، لنزع أسلحتهم وما معهم من خناجر، وما في مطابخهم من سكاكين.. فاستولوا على حاضرتهم "واشنطنداد"، واعتقلوا "بوشام" في حفرة الجرذان، وقسموا تلك البلاد إلى إحدى وخمسين ولاية، وجعلوا حاكمها عميل بن دولار، وتحكموا في ثرواتها، وباعوا برميل النفط بربع فلس، وحولوا البنتاغون إلى مسرح للفنون!

وأما بنو النضير ففتك بهم العربان، وأطعموا لحومهم الحيتان، كما وعدوها من قبل، وحاكموا "شارون" في دار الندوة، وفرضوا عليه الحصار، وأذنوا له بتقليم أظافره مرة كل سنة، ومنحوه حريةَ البول لا حرية القول، لأنه حمامة سلام، وجبلٌ لا يهزه ريح!

قلت: وهل كان نصيب الفاتيكان كهؤلاء المغضوب عليهم؟!

قال: أما الفاتيكان فغيروا اسمه، وجعلوه الفاتكين على جمع المذكر، وليس على المثنى "بوش وبلير"، ثم خلعوا البابا، ونصبوا مكانه "ماما" مراعاة لحقوق المرأة العالمية، وتقديراً لجهودها في إفساد الأجيال، وإفشال خطة مارشال! وجعلوا الطرق كلها تؤدي إلى روما!

وصار العالم كله بإمرة الاتحاد العُروبيّ، فلا يستطيع أحدٌ أن يتكلم، أو يذهب إلى الحمام، أو يأكلَ شطيرة، أو يحلق ذقنه، أو يلبس حذاءه إلا إذا رفع إصبعه مستأذناً بأدب وخَفَر! واتخذ العربان من قول ابن كلثوم شعارهم ودثارهم:

إذا بلغ الفطام لنا رضيعٌ تخرُّ لهُ الجبابرُ ساجدينا!

قلت: بخٍ بخٍ! الحفاةُ العراة دوخوا العالم بذئابه وثعالبه من أدناه إلى أقصاه، وتقاذفوه كالكرة الطائرة، وركلوه بمضاربهم كالتنس الأرضي.. إن هذا لشيء عُجاب، ما سمعنا بهذا إلا في عهد ذي القرنين، أم تراهم صاروا ذوي قرون بعد أن نطحتهم ذوات الخدور: غولدا مائير وتاتشر وأولبرايت، ومرَّغنَ أنوفهم في التراب المُخَصَّب باليورانيوم المُنضب!

وها قد حدثتني يا شيخي الجليل، عن سياسة العربان الخارجية، فماذا عن سياستهم الداخلية؟

قال: أما مواطنو العربان فنعموا بالخيرات والحرية والديموقراطية، فالنساء نلن حقوقهن كاملة حتى غدت إحداهن لا تقوى على الحركة من كثرة ما تحمل من الذهب والعسجد، وما تلبس من الحرير والفساتين، وصارت بين أيديهن خادمات فرنجيات من غنائم الحرب العالمية الأولى التي انتصروا فيها، حين ركلوا قبر "غورو" وقالوا: ها قد عدنا يا غورو، اليوم انتهت الحروب الهلالية! وأما الأطفال فقد خصصوا لكل واحد منهم ألبسة وألعاباً بسعة ملعب كُرويّ كبير!

وأما الرجال فقد ألبسوهم الديباج والتيجان، وزينوا صدورهم بالأوسمة والنياشين، وحققوا لهم ما يطلبون، وأكرموا كل واحد منهم بثلاثة عيون: عمارة، وعربية (سيارة)، وعروسة!

قلت: هنيئاً للمواطنين بطيب العيش، والتنعم بحقوق الإنسان، والسباحة في بحر المدنية!

قال: هنيئاً حقاً، فلقد اهتموا بالمواطنين أعظم اهتمام، فالانتخابات حرة نزيهة، لا تزوير فيها، ولا رشا، ولا "مناسف" ولا حلوى. وللمواطن اليعربي أن يتجول في كل مكان بغير تأشيرة ولا جواز، فلا حدود ولا سدود، وأما السجون فقد هدموها وحرقوها، وحولوها إلى مفاعلات نووية، ومصانع عملاقة، ومحطات فضاء.

وصارت الفضائيات تبثُّ قيمَ بني يعرب، وشمائل العرب العاربة، وتحرض على الإبداع والاختراع، وقد خلت من العُري والسُّخف والخلاعة، فلا تجدُ فيها عارية أو راقصة أو حلقة سخيفة أو فيلماً

خليعاً كان الحال في عصر البلاستيك لعربسات!
وإذا أصابت المواطن اليعربي شوكة تداعت له سائر الأجهزة والمؤسسات بالسهر والحمى، وتحركت الأقمار الصناعية لكشف المتآمرين، وجلبهم للعدالة، وهبطت عليه المشافي الطائرة، ولو كان في الصحراء الكبرى، فالتأمين الصحي مجان للمواطنين ولدوابهم وكلابهم، والتعليم مكفول، ونسبةُ الأمية صفر، ولكل عجوز جهاز حاسوب، وفي كل بيت شبكة "إنطر نط"!

قلت: فما يجري لو أن أحد الخواجات حدثته نفسه بالاعتداء على مواطن يعربي؟

قال: الويل له كل الويل.. يؤتى بالخواجا المعتدي عن طريق "الإنطربول اليعربي"، ولو كان في قاع المحيط الأطلسي، ثم يصعد به إلى المريخ، ويلقى كجلمود صخرٍ حطه السيل من عل، ثم تجمع أشلاؤه، وتلقى في الأدغال للضباع والسباع، ثم يؤمر أهل بلده بجمع الورود والأزهار، ويعصر منها "شامبو" تجفف به دموع المواطن اليعربي المعتدى عليه بالنية المبيتة!

قال ابن الأثير: ثم إني تلفت ذات اليمين وذات الشمال فلم أر للشيخ أثراً أو طيفاً، فارتبت واضطربت، وما هي إلا لحظات حتى دوى صوت في أذني، فإذا هو أذان الفجر، فصحوت حزيناً مغموماً، وقلت: يا للخسارة، ليت ما رأيته في المنام كان حقيقة، وليس أضغاث أحلام(٦).. ثم انطلقت للصلاة، ولقيت شيخي البغدادي، فحدثته عما رأيت ليلة البارحة، وكيف حكم بنو قحطان العالم.. فقال: يا بني، صح النوم! والله لن تقوم لهم قائمة، ولن تخفق لهم راية إلا بالدين القويم، وإذا ابتغوا العزة بغيره أذلهم الله. واعلم بُنَيَّ، أن بني قحطان قد صاروا أقزاماً لما استوى عليهم أبو جهل وأبو دجل، وأبو لهب وأبو ذهب، فقادوهم إلى الهزائم، والتسبيح بحمد الخواجات ابتغاء ما عندهم من مكاسب ومناصب: {بَشِّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً* الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً}(٧).

قال ابن الأثير: فلما سمعت مقالة شيخي الجليل أيقنت أن الأقزام لن يسودوا، ولن يلحقوا بركب التقدم، ولن يغني عنهم طول شواربهم، ولا كثرة أرصدتهم، وستظل أحلامهم هُراء في هُراء، وضرباً من السخف والغباء.. ثم صح عزمي على تدوين وقائع تلك الليلة الليلاء في كتابي "الكامل"، فاجتهدت حتى بلغتُ فيه سنة خمسٍ وعشرين وأربعمائة وألف، وجعلت عنوان بابه: أضغاث أحلام في عالم الأقزام!!

الهوامش

(١) ابن الأثير: هو علي بن محمد، أبو الحسن المؤرخ الإمام، كان منزله مجمع الفضلاء والأدباء. من تصانيفه "الكامل" في ١٢ مجلداً، بلغ فيه عام ٦٢٩هـ. وأكثر من جاء من المؤرخين بعده عيال على كتابه هذا. ت ٦٣٠هـ.

(٢) الخطيب البغدادي: أحمد بن علي، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، كان فصيحاً، عارفاً بالأدب، شاعراً، ولوعاً بالمطالعة والتأليف، ألف أكثر من خمسين كتاباً أشهرها تاريخ بغداد في ١٤ مجلداً. ت ٤٦٣هـ.

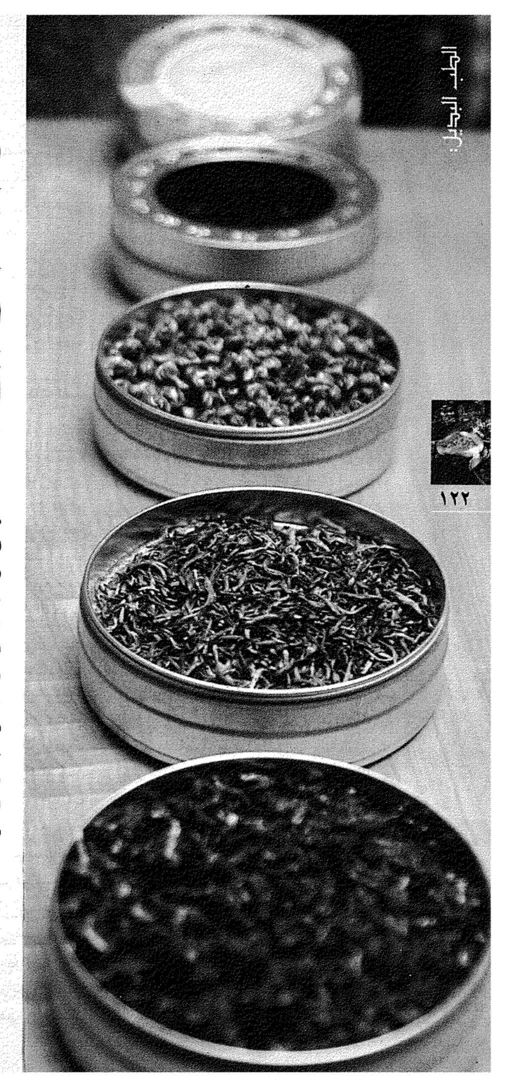
(٣) البيت للشاعر الجاهلي لقيط بن يعمر الإيادي، وقد قتله كسرى بسبب قصيدته التي بعثها إلى قومه. ت ٣٨٠م.

(٤) استاف: شم. الأرج: الرائحة الطيبة.

(٥) البيت للشاعر الأموي جرير بن عطية.

(٦) أضغاث الأحلام: أخلاط الأحلام، وما كان منها ملتبساً مضطرباً يصعب تأويله.

(٧) سورة النساء: الآيتان ١٣٨، ١٣٩.



هل ينجح "الطب البديل" في القضاء على أمراض العصر؟

تحقيق: محمد عبد الشافي القوصي - مصر

هل أصبحنا على أبواب عصر جديد من الطب؟ وهل هو عصر الطب البديل؟ وهل ينجح الطب البديل في القضاء على الأوبئة العصرية؟ خاصة بعد الانتكاسات المتعددة التي تعرض لها الطب الحديث وفشل العلاج الكيماوي في كثير من الحالات، وخاصة بعد أن تحولت مهنة الطب الإنسانية إلى تجارة ومهنة للربح والتكسب على حساب صحة المرضى الذين لا حول لهم ولا قوة، هذا فضلا عن الآثار السلبية القاتلة التي تخلفها الأدوية الكيماوية وراءها، فما من يوم يمر إلا ونسمع عن فشل أدوية كذا وكذا أو نسمع تحذيراً طبياً من تعاطي دواء معين أو من خطورة الإفراط في تناوله، أو غير ذلك من الأخبار العلمية التحذيرية... هذا التحقيق الذي التقينا فيه مع بعض المتخصصين من الأطباء والباحثين يجيب عن هذه الأسئلة وغيرها..

مشاكل الفيتامينات!

بادئ ذي بدء، فقد حذرت دراسة طبية بريطانية في الأيام الماضية من تناول كثير من الفيتامينات لما تسببه من مشكلات صحية خطيرة مثل تدمير الكبد وتشنج المعدة وهشاشة العظام، وضرب الباحثون مثلا على ذلك بقولهم إن تناول ٢٠٠ ملجم من فيتامين "ب٦" يومياً وهو ما يعادل عشرين ضعف النسبة المقررة، يتسبب في ظهور أمراض مثل: تنميل الأطراف وفقدان الإحساس بها، وقد قامت شركات بحملات دعائية ضد ما يثار عن أضرار الفيتامينات مؤكدة أن هناك حالات مرضية تعاني من نقص حاد في عناصر غذائية محددة تستدعي تناول الفيتامينات.

الفيتامينات تدمر الكبد والمعدة وتسبب هشاشة العظام

حياة المرضى في خطر دائم!

كما كشفت دراسة حديثة أن الجيل الجديد من العقاقير المضادة للذهان لها آثار جانبية خطيرة لمرضى البول السكري وزيادة السكر في الدم وقد تصل خطورة هذه الآثار إلى درجة تهدد حياة المرضى خصوصاً إذا كانوا أطفالاً، والمعروف أن هذه العقاقير مثل زيبركسا وريسرال وكلوزاريل هي الأكثر فعالية في علاج الشيزوفرينيا أو الفصام إلا أنها تتسبب في اضطرابات خطيرة في الدم كادت تودي بحياة المرضى، وكان الأطباء يستخدمون هذه العقاقير لعلاج أمراض أخرى مثل الزهايمر واضطرابات الشخصية والاكتئاب غير الذهاني واضطرابات السلوك والسلوك العدواني لدى الأطفال.

تحذيرات عالمية!

هذا وقد أبدت إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية تخوفها من أن تدفع الأدوية المضادة للاكتئاب الأطفال والمراهقين إلى التفكير في الانتحار وفقاً للعديد من التجارب التي أجريت في هذا الشأن، وشدد الباحثون على ضرورة مراقبة المرضى الأكثر عرضة للخطر في مراحل العلاج الأولى للاكتئاب، وأوضحوا أن عبوت الأدوية المضادة للاكتئاب مدون عليها بالفعل تحذير من احتمالات محاولة الانتحار في حالات الاكتئاب الحادة وقد تستمر هذه الاحتمالات ما لم يحدث تحسن كبير في علاج المريض، وقد أعلن الخبراء أن ما يقرب



من ٧٥٠ ألف مراهق أمريكي يعانون الاكتئاب، وأن ٥٠٠ ألف منهم يحاولون الانتحار سنوياً، وحوالي ١٧٠٠ ينجحون في محاولاتهم.

الخضروات الداكنة!

واكتشف العلماء في جامعة "أوبساك" السويدية أن للجرعات الكبيرة من فيتامين "ش" آثاراً سلبية، فهي تزيد من خطر الإصابة بهشاشة العظام لا سيما بعد أن لوحظ وجود علاقة بين مستويات مادة "الريتينول" المشتقة من ذلك الفيتامين وزيادة خطر الكسور عند الرجال.

وأوصى الباحثون بأن هذا الفيتامين هام جداً للجسم لسلامة العمليات الحيوية وحماية الجهاز المناعي وتكوين الخلايا والأنسجة والوقاية من مرض العشى الليلي، لكن من الأفضل الحصول عليه في الخضروات الداكنة اللون، وصفار البيض، المهم أن يكون بعيداً عن المستحضرات الكيماوية المعلبة لخطورتها على أنسجة الجسد الآدمي.

هذا هو العلاج البديل

هذا، وقد أكدت الأبحاث التي طرحت في مؤتمر التغذية الدولي الذي عقد مؤخراً في النمسا ـ كما يقول د. مصطفي ساري ـ خطورة العلاج الكيماوي الذي تنتجه شركات الأدوية العالمية، وطالب المؤتمرون بالابتعاد عنه أو التقليل منه قدر المستطاع، لأنه وراء الإصابة بكثير من السرطانات الجلدية، كذلك من آثار الأدوية الكيماوية الإصابة بالسمنة والسكر وغيرها من الأمراض. معتبرين أن البديل الغذائي الجيد متوافر في الأغذية المحتوية على الألياف كحبوب القمح والخضروات والفاكهة، وأوضحوا أنه لا حرج من الإكثار من الفاكهة والخضروات لأنها تقلل الإصابة بالسرطانات خاصة سرطان المعدة.

هؤلاء المرضى علاجهم في البصل!

وينصح الدكتور/ محمد حبيب ـ المرضى والأصحاء على السواء بضرورة تناول البصل لما فيه من المضادات الحيوية والفوئد الصحية، كما أن بالبصل مضادات حيوية أقوى من البنسلين والسلفات والأورمايويسين، ولذا فهو يشفي من السل والزهري والسيلان، ويقتل كثيرا من الجراثيم الخطيرة.

أما عن أهم الأمراض التي يعالجها البصل فهي: السعال الديكي، الربو، البروستاتا، عسر التبول، الروماتيزم، الصداع، الدوالي، حب الشباب، البول السكري، الطحال، الدفتريا، الأنفلونزا، تساقط

أطباء يحذرون مرضاهم من مؤامرة العلاج الكيماوي!

★★★★★★

الشعر، السعال، أمراض الكلى والحصى، سرطان الجلد، القروح السرطانية ... وغير ذلك من الأمراض.

سر الحياة الطويلة!

ويقول د. رشاد فؤاد السيد ـ الجراح المصري ـ أن هناك دراسة علمية حديثة كشفت أن سر الحياة الطويلة التي يتمتع بها المعمرون تكمن في الغذاء البسيط وأن الإنسان القادر على خفض السعرات الحرارية التي يتناولها يومياً إلى أقل من ١٨٠٠ سعر يضمن شباباً دائماً وصحة جيدة بعيدة عن الأمراض.

وأوضحت الدراسة أن خفض السعرات الحرارية التي يتناولها الإنسان يومياً يؤدي إلى تراجع معدل الميتابوليزم المتحكم في نشاط الخلايا البشرية التي إذا قل نشاطها طالت أعمارها وأخرت الشيخوخة، وإذا زاد نشاطها بفعل الغذاء الدسم عجلت بالشيخوخة للخلايا وللأفراد أنفسهم.

وأظهرت الدراسة التي استغرق إعدادها أكثر من ثلاثين عاماً على الحيوانات القريبة تشريحياً من الإنسان أن الغذاء الدسم يحدث صدمات عصبية تعادل الصدمات الكهربية الضئيلة على الجهازالعصبي، ومع تراكم تلك الصدمات تتهدل الخلايا البشرية وتفقد رونقها حتى مع الأعمار السنية الصغيرة.

وأشارت الدراسة إلى أن الغذاء الصحي البسيط القائم على الخضروات والفاكهة والبقوليات واللحوم البيضاء تمنح البشرة نضارة وحيوية بصرف النظر عن الأعمار السنية، وتحفظ للجسم رشاقة لا توفرها الرياضة أو حتى جراحة التجميل التي



الدواء كله في الألياف والخضروات والفاكهة

★★★★★

يتسابق على إجرائها في أوربا الأغنياء من الرجال والنساء، بينما هي في متناول الفقراء القادرين على الاحتفاظ بعادتهم الغذائية السليمة القائمة على الخضروات والبقوليات والحبوب.

وقالت الدراسة: إنه يمكن اعتبار وجبة فول مدمس مصحوب بخضروات طازجة مثل البصل أو الجرجير مع قليل من الجبن الخالي من الدسم وجبة صحية، لا تقارنها وجبة غذائية كاملة أخرى، سواء على المستوى الصحي أو الرياضي أو العلاجي، فضلا عن المذاق الذي ينفرد به هذا الكوكتيل.

عصير التوت أهم علاج لأمراض القلب!

ويؤكد الدكتور/ محمد عبدالفتاح مدرس الجراحة العامة بجامعة الأزهر- أن احدث نتائج تقرير طبي أن عصير التوت يغذي الدم بالعديد من مضادات الأكسدة التي تساعد الجسم على مقاومة الأمراض، كما انه يزيد على مستوى الكولسترول الجيد في الدم ويخفض الكولسترول السيء.

وأشار التقرير إلى أن عصير التوت يساعد على تقليل احتمالات الإصابة بأمراض القلب علاوة على أنه ينقي الجهاز البولي من التلوث ويحمي الجسم من السرطان وقرحات المعدة، ويأتي شراب التوت بعد البلح في قيمته الغذائية المرتفعة كفاكهة ولكنه يتفوق على العنب والبرقوق، وقد تبين أن تناول كوبين من عصير التوت يومياً يقلل من احتمال الإصابة بأمراض القلب.

نصيحة للوقاية من الأمراض!

أكدت دراسة جديدة أن تناول كوب من الكاكاو يومياً يمكن أن يقي من الأمراض، وقال الباحثون إن الكاكاو غني بالمواد المضادة للأكسدة أكثر من

أي شراب معروف مثل الشاي وغيره.
وأوضحت الدراسة أن كوباً من الكاكاو يحتوي على ضعف المواد المضادة للأكسدة المتواجدة في الشاي، كما أنها تزيد ثلاث مرات عنها في الشاي الأخضر وخمس مرات في الشاي الأسود.
وعلى الرغم من وجود الكاكاو في العديد من المنتجات مثل الشيكولاته فإن الباحثين يقولون: إن احتساءه هو أفضل الطرق للاستفادة من فوائده الصحية.

علاج الأمراض الجلدية!

ومن جانبه حذر الدكتور/ محمد عبدالمنعم عبدالعال- رئيس الجمعية المصرية للأمراض الجلدية- من مستحضرات التجميل الكيماوية التي تباع في الصيدليات معتبراً إياها وراء الإصابة بسرطانات الجلد، ونصح بتناول الخس لأنه يحتوي على مواد دهنية وبروتين، هذا إلى جانب احتوائه على الحديد والفسفور، فضلا عن غناه بمجموعة من الفيتامينات.. ويحتوي الخس على مادة مهمة تسمى "لاكتوكاريوم" تساعد على تهدئة الأعصاب، ولذا يعد الخس مهدئاً، ويساعد على التخلص من الأرق.
ويضيف د. عبدالعال، بأن الخس يفيد في علاج مرضى السكر، بجانب كونه مدراً للبول، ولذا يستخدم لعلاج حالات الاحتباس البولي، كذلك يفيد في حالة الإصابة بالصداع، ويعد مسكناً للآلام، ولا سيما إذا كان طازجا ومضافاً إليه الخل.
هذا، ويستعمل عصير الخس في تجميل البشرة، حيث ينقي لون الوجه، ويجعله يبدو أكثر صفاءً ونضارة.

علاج حالات الإمساك!

وفي بحث أعده الدكتور/ سعد خفاجي- أستاذ العقاقير والنباتات الطبية بكلية الصيدلة جامعة الإسكندرية- أوضح أن الملوخية تحتوي على مادة كربوهيدراتية معقدة بنسبة ٣٠٪، وهذه المادة لها تأثير معالج لقرحة المعدة والاثنى عشر، كما أنها تعالج إلتهاب القولون، بشرط عدم إضافة مواد حارة إليها مثل: الثوم والفلفل- بكميات كبيرة أثناء الطهي.
هذا، وتساعد الألياف الموجودة بالملوخية في علاج حالات الإمساك، فضلا عن تسهيلها لعملية الهضم، ومن الثابت علميا أن الملوخية تحتوي أيضاً على نسبة مرتفعة من فيتامين "أ" و"ب" و"ج".

الانتظام في تناول الطعام!

هذا، وقد أشارت أبحاث علمية أن هناك أطعمة تساعد على مقاومة أمراض المفاصل، مثل: التفاح والشمام والكمثرى والعنب والموز. ومن الخضروات: الجزر والبصل واللفت والخرشوف والزيتون. ومن الحبوب: الأرز الأسمر، وفول الصويا، وبراعم الفول. كما أشارت الأبحاث إلى أهمية الانتظام في تناول الثوم والبقدونس والزعتر والجوز.

غذاء هام جداً!

أثبتت البحوث العلمية الأخيرة أن الكرنب يحتوي على العديد من المواد المعدنية، كما أنه مقو عام لحالات الضعف والشيخوخة المبكرة، ويقول د. محمد غنيم- مدير مركز الكلى بالمنصورة- أن الكرنب يزيد من دفاع الجسم ضد العدوى، فضلاً عن علاج الأنيميا الناجمة عن نقص الحديد، ولاحتوائه على نسبة عالية من الفسفور، فإنه يستخدم في علاج حالات الإجهاد والإرهاق الذهني، ويساعد في عملية التمثيل الغذائي للمخ والجهاز العصبي... كما ثبت أن للكرنب تأثير فعال في علاج أمراض تليف الكبد، والقروح المعدية، ويوصف لعلاج المصابين بقصور في كفاءة الكليتين.

"النباتات الطبية" غذاء مفيد ودواء ناجع

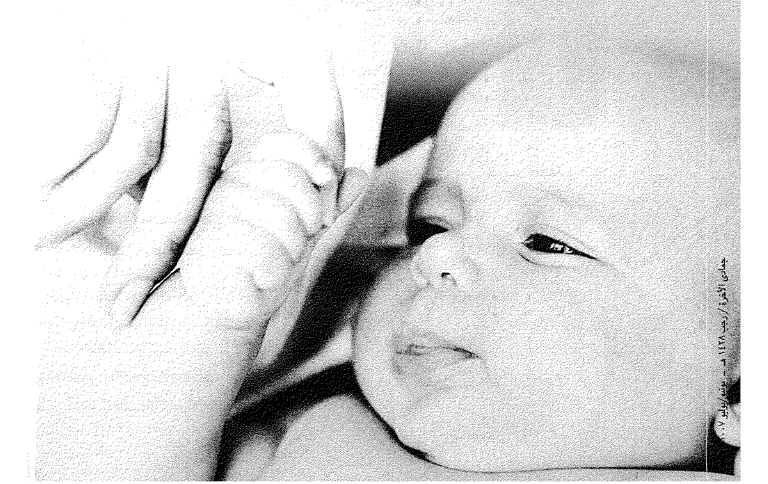
★★★★★

الأسرة المسلمة: النظام البديل

عبدالحق منصوري -الجزائر

عملية إعداد الإنسان الاجتماعي المسئول وتأهيله للقيام بأعباء الحياة وخلافة الله سبحانه في أرضه هي في الحقيقة عملية شاقة، تتطلب تضحيات جسيمة ومتابعة دقيقة وتفرغا تاما لمدة طويلة نسبيا. فالكائن البشري يقضي أطول مرحلة طفولة يستطيع المجتمع خلالها وبواسطة عدد من مؤسساته أن يضمن له إعدادا جيدا وتربية مؤهلة. وقد أكد البحث العلمي أن عملية إعداد هذا الكائن والارتقاء به من مستوى التبعية والاعتماد الكلي على الآخرين إلى مستوى النضج والاستقلال والاعتماد على النفس لا تقوى عليها سوى الأسرة المتماسكة. وجاءت نتائج الدراسات تؤكد أن حاجة الوليد البشري إلى ملازمة أبويه هي أشد من حاجة أي وليد حيواني آخر، وأن الأسرة المستقرة هي ألزم له وألصق بفطرته لا بديل له عنها.

الأطفال الذين تربوا خارج أسرهم هم الأكثر عنفاً وحدة وشذوذاً من الآخرين



من هنا يصبح إنشاء الأسرة المسلمة أمرا ومطلبا ضروريا تستوجبه فطرة الإنسان وتفرضه طبيعة الرسالة التي ينتظر منه أن يؤديها في هذه الحياة. وهذا ما سوف نحاول توضيحه في هذه المقالة معتمدين في ذلك على نتائج الدراسات العلمية والاستقراءات الميدانية حول نظام الأسرة وواقعه ومتطلباته.

لا يمكن الاستغناء عن الأسرة

حاول كثير من أنصاف العلماء وبعض المذاهب المتعسفة إقناع البشرية بأن النظام الأسري يفرض على الإنسان قيودا كثيرة هو في غنى عنها، واقترحوا بذلك إلغاءه وتحويل مهامه إلى مؤسسات اجتماعية أخرى. وكان القصد من وراء هذه المحاولة اليائسة رفع القيود والضوابط الأخلاقية التي لازمت الكيان الأسري للقضاء على مظاهر العفة والفضيلة ولكي تفقد الحياة كل معاني الإنسانية وخصائصها. ذلك أن النظام الأسري قد أثبتت الدراسات العلمية - على عكس ما ادعاه هؤلاء - أنه ليس بإمكان البشرية الاستغناء عنه، فالأسرة هي المحضن الطبيعي (الذي يتولى حماية المواليد الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظلها يتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، وعلى هديها تتفتح للحياة وتفسر الحياة وتتعامل مع الحياة) (١) أما المحاضن الجماعية فإن نظامها يصطدم بفطرة الإنسان وتكوينه النفسي، فيحرمه من حنان أمه ورعايتها ويملأ نفسه بالعقد والاضطرابات، ولقد أثبتت تجربة المحاضن الجماعية أنه خلال السنتين الأولى والثانية يحتاج الطفل - حاجة نفسية فطرية - إلى أن يستقل ويستأثر بوالديه وبالخصوص الأم التي لا ينبغي أن يشاركه فيها غيره بحيث عندما يحتاج إليها لابد أن يجدها قريبة منه.. كما أنه لابد أن يشعر فيما بعد أن له أبا وأما متميزين يمكنه الانتساب إليهما. (٢) وإذا كان يستحيل تحقيق الأمر الأول في هذه المحاضن فإن تحديد الهوية والنسب لا يتم إلا في إطار أسرة شرعية ولا يأخذ معناه إلا في ظلها.

وللبرهنة على ذلك نعرض فيما يلي لبعض نتائج الدراسات التي تعلقت بعينات من الأطفال الذين لسبب أو آخر، حرموا من الحياة الأسرية خصوصا في المرحلة المبكرة من العمر.

حضانة الوليد وتربيته، حتى انتقاله لتحمّل مسؤوليته الشخصية لا تقدر عليه إلا الأسرة المتماسكة..

★★★★★★

لقد تراكمت الأدلة العلمية التي تشير بوضوح إلى حدوث أنواع من التشوهات والانحرافات في نمو عدد كبير من الأطفال الذين عاشوا في المراكز الجماعية وحرموا من الحياة الأسرية. هذا الانحراف في النمو، كما أشارت الدراسات، قد شمل النواحي الجسمية والعقلية والنفسية - العاطفية والاجتماعية.

وبالنسبة لكثير من الأطفال ظلت هذه الآثار السلبية تلازمهم طوال حياتهم.. وحسب تقرير كثير من الباحثين لم تكن هذه الآثار وهذه الأعراض لتظهر لو أتيح لهؤلاء الأطفال أن يعيشوا في كنف الأسرة.

فهذا (بيتلحم) بعد أن أجرى الفحوصات على عينة من الأطفال تربوا في محاضن جماعية ولم يحصلوا على رعاية أسرية - خلص إلى القول (إن شخصية غير مرغوب فيها ترتبت عن هذه النشأة) (٣).

وفي دراسة أخرى أجراها (براون) استطاع أن يكشف بالبراهين القوية والإشارات الواضحة على وجود أعراض لأمراض عصبية مع هذا النوع من الأطفال، الشيء الذي لم يلاحظه في المجموعة المنضبطة التي كانت تتكون من أطفال عاشوا مع ذويهم في محيط أسري (٤) كذلك وبعد عرض نتائج لعدد من الدراسات التي تتبعت أحوال وأوضاع عينات من الأطفال قضوا الجزء الأكبر من حياتهم في أحضان مؤسسات بعيدين عن الأجواء الأسرية، فإن كلا الباحثين (بولبي ووولف) وبتركيز خاص على دور الأم توصلا تقريباً إلى نفس الخلاصة. فأما (بولبي) فإنه يرى أن الدليل في درجة من القوة بحيث لم يعد هناك شك في أن الحرمان الطويل من حماية الأم ورعايتها يترك حتماً آثاراً سلبية قوية وعنيفة تؤثر في حاضر ومستقبل الفرد (٥) وأما (وولف) فقد قال: يعتمد الوليد البشري بين الشهر السادس والسنة الثانية فيما يتعلق بنموه العقلي والنفسي على الإثارة القوية وعلى الرعاية العاطفية من قبل أفراد هو على درجة كبيرة من التعلق العاطفي بهم، يعرفهم معرفة جيدة

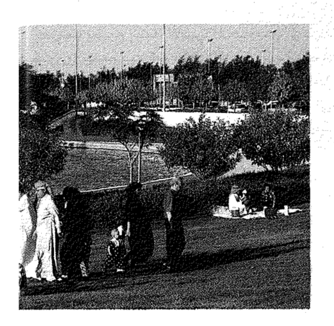
ويعرفونه كفرد متميز عن سائر الأفراد.. وإن فقدان الأم في هذه المرحلة، وخاصة إذا انتقل الطفل بعد ذلك إلى مؤسسة اجتماعية، لا بد أن يترك آثاره السلبية على شخصيته ربما لازمته مدى حياته. (٦)

وهذا لا يقلل من أهمية دور الأب في هذه المرحلة.. فمثلما ركز (بولبي) و (وولف) وعلماء آخرون على دور الأم وضرورة تواجدها قريبة من طفلها فقد اعتبر باحثون، أمثال (ناش) غياب الأب في المرحلة المبكرة من حياة الطفل عاملا مؤثراً قد يخلف آثارا خطيرة وذات شأن في حياته المستقبلية. (٧)

وظل الأطفال الذين عاشوا خارج الأسرة أسوأ حالا حتى عند مقارنتهم بالأطفال الذين عاشوا في أسر مع أبوين سيئين. ففي دراسة نقلها (بولبي) تناولت بالبحث أوضاع مجموعة من الأطفال تراوحت أعمارهم بين سنة وأربع سنوات، قضوا حياتهم في مؤسسات اجتماعية عند مقارنتهم بعينة أخرى من الأطفال نشأوا في أسر وكانوا مع ذلك يقضون ساعات النهار في دور الحضانة نظراً لأن أمهاتهم كن يشتغلن خارج البيت، وناتج الدراسة إن الذين عاشوا مع ذويهم كانوا أحسن حالا من الذين تلقوا تربيتهم الأولى داخل مراكز اجتماعية . (٨) وفي دراسة تتبعية لمجموعتين من الراشدين سبق لأفراد إحداهما قضاء الخمس سنوات الأولى من حياتهم في مراكز الطفولة، في حين لم يحرم أفراد المجموعة الأخرى هذه الفترة من الحياة الأسرية. والنتيجة جاءت مرة أخرى في صالح الأفراد الذين نشأوا في أحضان الأسرة، وهذا بالرغم من أن ٨٠٪ منهم ترعرعوا في أسر كانت تفتقر إلى الحد الأدنى الذي يتطلبه نمو الأطفال الطبيعي. (٩)

وتجدر الإشارة إلى أن هذه النتائج تأكدت حتى بعد تحسين ظروف الأطفال داخل المؤسسات والمراكز وتجهيز هذه الأخيرة بالوسائل والأدوات الحديثة وتوظيف طرق مؤثرة وتقنيات فعالة من قبل مربيها. كان حظ الأطفال الذين يعيشون مع أسرهم أوفر في أن يحيوا حياة سليمة وأن يتمتعوا بحياة استقرار وسعادة (١٠)

خلاصة القول، تأكد لدينا من خلال نتائج الدراسات العلمية أنه إذا كان بإمكان نسبة قليلة من الناس رغم حرمانهم من الحياة العائلية تحقيق قدر كبير من



النجاح في حياتهم فإنه بالنسبة للأغلبية الساحقة من أفراد المجتمع البشري لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بعد أن تقدم الأسرة مساهمتها.

فشل الأسرة المعاصرة في أداء مهمتها :

كانت الأسرة إلى عهد قريب تعتبر المعقل الأول الذي ينشأ فيه العنصر البشري. تقوم بإشباع حاجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية.. فتزوده بالمهارات الضرورية كما تيسر له عملية امتصاص قيم المجتمع وعاداته ومعتقداته، إضافة إلى ما تقدمه من نماذج سلوكية تساعده على الاندماج في المجتمع ويخرج الفرد من أسرته وقد أعد للدخول في النشاط الاجتماعي من أبوابه الواسعة.

إلا أنه، نتيجة لما حصل من تطورات اجتماعية شاملة وتغيرات جذرية على كل الأصعدة، فإن الأسرة المعاصرة ونظراً لظروفها لم تعد تفي بكل هذه الحاجيات. فهذا (براين ولسن) بعد أن تعرض لبعض ما يحدث للأسرة من تقلص في الوظائف وتدهور في الأوضاع، انتهى إلى القول: (إن الأسرة قد ذهب رونقها وفقدت استقرارها وكل معنى سام ظل يلازمها. كما أنها لم تعد مجالا مناسباً وإطاراً صالحاً يحدد فيه الإنسان هويته. (١١) كذلك فإن القانون الذي وضع أصلا لحماية مصالح الأفراد والجماعات والهيئات أصبح في الوقت الراهن، كما يرى (برتراند روسال) يتدخل باستمرار بين الآباء والأبناء.. وبالتدرج



تحول إلى واحد من أعنف معاول هدم النظام الأسري . (١٢) في نفس هذا الاتجاه وبعد دراسة متأنية وواعية لنوعية الحياة في ظل الأسرة المعاصرة، يكتب (زمرمان) موضحا وفي نفس الوقت محذرا: إذا لم تنبثق نهضة مجددة تغير مجرى الحياة، فإن النظام الأسري المعاصر سوف يستمر في التدهور وبالتالي الاقتراب أكثر من نقطة النهاية. (١٣) نفس هذه الملاحظات حول مشاكل الأسرة المعاصرة ومستقبلها يسجلها يومياً الباحثون والأخصائيون والمرشدون وأصحاب الحكمة، وقد قام بجمع بعضها (فلتشر) في كتابه (الأسرة والزواج في بريطانيا) وهي في جملتها تبعث على القلق والحيرة وتنبئ بالخطر الداهم وإمكانية حدوث الكارثة. (١٤)

وما دمنا بصدد عرض نموذج الأسرة الذي اشترك في التأكيد عليه والدعوة إلى توفيره الشرع والعلم، لا بأس أن نذكر ولو بإيجاز العوامل التي ساهمت في تدهور الأسرة المعاصرة، لنتبين فيما بعد كيف أسس الإسلام نظاماً محكماً مترابطاً للأسرة..

١- حرية ممارسة الجنس خارج العلاقة الزوجية الشرعية.. مما جعل الكثير من الناس لا يفكرون في الزواج. فقد وجدوا طريقة ميسورة وسهلة لإشباع حاجاتهم الجنسية بدون أن يتحملوا معها مسؤولية تجاه الكيان الأسري وما يدور في فلكه. ان جميع لقيود الدينية والأخلاقية والاجتماعية المتعلقة بإشباع لغرائز تلاشت وانطلق السعار الجنسي المحموم بلا

لا يزال بعض المتمردين على نظام الأسرة واستقرارها يحاولون تعطيل هذا النظام.

★★★★★★

حاجز حتى تحول الآدميون إلى قطعان من البهائم، كما يقول سيد قطب، (ينزو فيها الذكران على الإناث بلا ضابط إلا ضابط القوة أو الحيلة أو مطلق الوسيلة) (١٥) وبإطلاق الشهوات من كل قيد وتحري اللذة في كل تصرف فقد تم إقصاء الواجب الإنساني والاجتماعي. وساهمت الأقلام المسخرة والإعلام الدنس في التوهين من روابط الأسرة والتصغير من شأن الرباط الزوجي وتشويهه واحتقاره.. أما الارتباطات القائمة على مجرد الهوى المتقلب والعاطفة الهائجة والنزوات الجامحة فقد عظم شأنها وارتفعت قيمتها.. ولا عجب إذا وجدت من يسمي العلاقة غير الشرعية بالرباط المقدس في حين يعتبر العلاقة الزوجية الشرعية بمثابة عقد لبيع الجسد. إن سهولة تلبية الميل الجنسي والفوضى التي تتميز بها العلاقات الجنسية وسهولة التخلص من الأجنة وحتى المواليد، كلها عوامل لا تدع مجالا لتكوين الأسرة ولا تساعد على ضمان استقرارها في حالة إنشائها، لهذا يقل الزواج ويقل التناسل. ففي فرنسا مثلا سبعة أو ثمانية في الألف فقط هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون اليوم. والقليل من هؤلاء ينوون بالزواج التحصن والتزام المعيشة البرة الصالحة وكثيرا ما يدفعهم إلى هذا الزواج الرغبة في تحليل الولد الذي ولدته أمه قبل النكاح وإعطائه الشرعية الاجتماعية. فهذه امرأة تأتي إلى محكمة الحقوق بسيان الفرنسية لتصرح وبكل شجاعة وجرأة: أنني قد كنت وافقت زوجي على عقد النكاح ولا أقصد به إلا استحلال الأولاد الذين ولدتهم نتيجة اتصالي به قبل النكاح. وأما أن أعاشره وأعيش معه كزوجة فما كان في نيتي عند ذلك ولا هو في نيتي الآن. ولذلك اعتزلت زوجي في أصيل اليوم الذي تم فيه زواجنا ولم ألتق به إلى هذا اليوم لأنني كنت لا أنوي قط أن أعاشره معاشرة زوجية. (١٦)

٢- ظهور أنواع مختلفة من الزواج.. كالزواج المؤقت أو الزواج التجريبي. وهذا أيضا أسلوب لا يشجع على التفكير في الاستقرار من خلال بناء حياة أسرية ثابتة.

٣- مزاحمة الطفل غير الشرعي للطفل الشرعي.. حتى بلغ عدد الأطفال غير الشرعيين في بعض المجتمعات نسبة ٨٠٪ من مجمل مواليد بعض السنوات.(١٧) فالمرأة التي ترغب في طفل تستطيع أن تطلبه بدون أن تسلك طريق الزواج الشرعي ما دام قد رفعت جميع القيود على موضوع الجنس والممارسات الجنسية. وظهر في هذا العصر ما يسمى بالأم غير المتزوجة.. التي وجدت من يدافع عنها ويطالب لها بالحقوق، مما جعل الأم الشرعية تحتار في أمرها وتتساءل حول معنى وجودها والهدف من بقائها.. خاصة وأن حملات عنيفة توجه ضدها وتطالبها بالحد من نسلها في الوقت الذي تجد فيه الأم غير المتزوجة كل الترحاب وكل التشجيع وكل المساعدة وفتح المجال واسعا للتكفل بها واحتضان طفلها الذي تلده من جراء العلاقة الجنسية الآثمة.

٤- التركيز عند تأسيس الأسرة على الاعتبارات المادية.. حتى وجدنا في أوروبا وأمريكا من يرغب في الزواج من الأوروبية والأمريكية بهدف الحصول على شهادة الإقامة في هذه البلدان لتستفيد هي في مقابل هذه الخدمة بعض الدولارات. فالزوج والزوجة على غير استعداد لإنعاش هذه العلاقة وتوثيق الصلة بينهما نتيجة غياب الأهداف النبيلة والسامية التي كان يمكن أن تشدهما إلى الإطار الزوجي الأسري.. وتحول بذلك إلى زواج تقف فيه المصلحة الشخصية فوق كل اعتبار آخر.

٥- وجود ممارسات قانونية تعسفية لا تعزز الزواج الناجح ولا تحميه.. كما أنها في الوقت ذاته لا تسمح بحل عقد الزواج الفاشل وفك رباطه. كما إن تحديد الحقوق والواجبات داخل الإطار الأسري قلما جاء مراعيا لمتطلبات الحياة الأسرية الكريمة.. وأكثر ما حصل فيه الإجحاف والجور. وأما النصوص القانونية ففيها الكثير من الغموض ما فتح المجال للتأويلات المختلفة وأحيانا المتعارضة وساعد في ضياع الحقوق والواجبات إفراطا أو تفريطا.

كانت هذه بعض العوامل التي ساهمت بشكل مباشر في إضعاف الكيان الأسري المعاصر حتى لم يعد قادرا على تحمل مسؤولية تكوين الأجيال.. ولقد حان الأوان للبدء في التفكير الجاد لمراجعته أو استبداله بغيره قصد تدارك الموقف. والبديل الذي

الدارسون الغربيون أنفسهم حذروا كثيراً من تدهور نظام الأسرة عندهم..

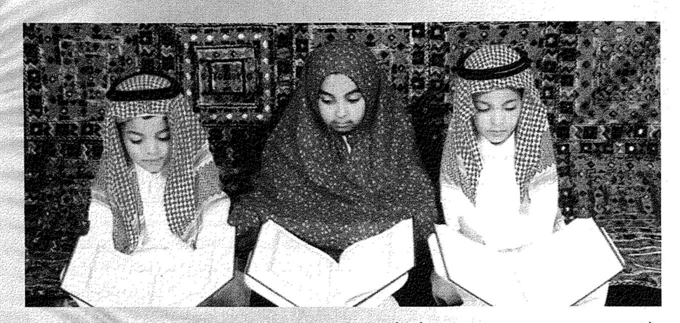
★★★★★★

سبق أن جربته البشرية وقطفت من ثماره حينا من الدهر هو نظام الأسرة الذي دعا إليه الإسلام.

في الأسرة المسلمة يكمن الحل :

يعالج الدين الإسلامي الأسرة قبل نشأتها وأثناء تأسيسها وخلال توسعها وتزايد أفرادها، ويحيطها بكل الضمانات التي تكفل استمرارها واستقرارها. ففي ظل هذه الأسرة الربانية تصان الحقوق وتؤدى الواجبات في الرخاء وفي وقت الشدة. ذلك أن الهدف الذي من أجله شرع تكوين هذه الخلية يتمثل في إقامة حدود الله سبحانه وورد في القرآن الكريم تعليل إباحة الطلاق وفك رباط الزوجية حين تلتمسه المرأة بعدم قدرة الزوجين على إقامة حدود الله. قال الله تعالى (فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به). (١٨) كذلك علل المولى عز وجل إباحة رجوع المرأة المطلقة إلى زوجها بعد أن تتزوج أحدا غيره بقدرتهما من جديد على إقامة حدود الله. قال تعالى (فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله) (١٩) وهكذا كما يقول النحلاوي (ينشأ الطفل في بيت أقيم على تقوى من الله ورغبة في إقامة حدود الله وتحكيم شريعته فيتعلم بل ويقتدي بذلك من غير كبير جهد أو عناء إذ يمتص عادات أبويه بالتقليد ويقتنع بعقيدتهما الإسلامية حين يصبح واعيا (٢٠)

إن هذا المحضن الطبيعي عني به الإسلام عناية تامة وأحاطه بكل أنواع الرعاية، ومن ثمرات ذلك كله تَمَتُّع الزوجان في إطاره بالسكون النفسي. ونقرأ في هذا الصدد قوله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) (٢١) وقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (٢٢) واجتماع الزوجين على أساس الرحمة والمودة من شأنه أن يمنح الأطفال فرصة العيش في جو سعيد يهبهم الثقة والاطمئنان ويمدهم بالمودة والعطف، خاصة وأن الإسلام قد ألقى على عاتق الأبوين مسؤولية رحمة



الأطفال ومحبتهم باعتبار هذا العنصر من أهم أسس نشأتهم ومن أبرز مقومات نموهم النفسي والاجتماعي. وكان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام مثلاً أعلى في معاملة الأطفال والرفق بهم والصبر على مداعبتهم. فقد روي عن قتادة قال: خرج علينا النبي (صلى الله عليه وسلم) وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها . (٢٣) وروي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (من لا يَرحم لا يُرحم).(٢٤) ورُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك (٢٥) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ أسامة بن زيد فيقعد على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول (اللهم ارحمهما فإني أرحمهم) (٢٦)

وهذه المحبة التي يطالب بها الإسلام لا تتقيد بالمقدمات والشروط حيث أن الطفل يكون داخل الأسرة المسلمة محبوبا لذاته. مما يساعده على التحرك بحرية خلال بيئته فيستكشفها ويتعرف عليها دون أي تخوف أو تردد. إنه يشعر بأن أبا محباً وأما حنونا يوجدان خلفه وعلى أتم استعداد للتدخل لحمايته في حال ما يواجهه من خطر. لذلك فهو يجرب نفسه ويختبر إمكاناته على

المحاضن الجماعية جناية كبرى على النمو العاطفي والنفسي للطفل..

★★★★★★

أعين الأبوين الرحيمين.. فيتسنى له بالتالي أن يتعلم ويستوعب الكثير لأن حركاته تلقائية ولا يوجد في محيط أسرته ما يثبطها أو يجعلها تتعثر. ويستطيع هذا الطفل فيما بعد أن ينقل المحبة خارج الأسرة إلى المجتمع الإسلامي الواسع وبذلك يلتقي مع بقية المسلمين على هذا التحاب والتواد والتآخي والتراحم ليصبحوا كما وصفهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) كالجسد الواحد (إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٢٧) أما حين لا تتحقق هذه المحبة بالنسبة الكافية فإنه في الغالب ما ينشأ الأطفال منحرفين لا يحسنون التآلف مع الآخرين ولا يفهمون جيداً معاني التعاون والتآزر والتضحية. ولا غرابة إذا وجدنا بين ٨٠ و ٩٠٪ من الأحداث الجانحين والمجرمين يأتون من أسر تفتقر إلى عناصر المحبة والحنان والعطف، كما جاء في تقرير منظمة اليونسكو بعد دراسة أجرتها على عينات من الأطفال من مختلف بلدان العالم. (٢٨)

أسباب نجاح نظام الأسرة في الإسلام:

١- لا يبيح الإسلام الممارسة الجنسية خارج العلاقة الزوجية. فإشباع الحاجة الجنسية لابد أن يتم في إطار العلاقة الشرعية. إذ يعتبر الإسلام الزنا من الكبائر.. ولهذا شرع ضد مرتكبيها عقوبة قاسية ترعب

من تسول لهم نفوسهم بالإقبال عليها. وبهذه الكيفية يتحول إشباع الغريزة الجنسية إلى استثمار في صالح استقرار الأسرة المسلمة.

٢- تعظيم الرابطة الزوجية ومواجهة النزاع ومعالجته. فقد عظم الإسلام من شأن هذه الرابطة. قال الله تعالى مخاطباً الزوج (وأخذن منكم ميثاقاً غليظا). (٢٩) وحثه على حسن معاشرة زوجته وعدم الاستجابة لعاطفة ونزوات النفس. فقال جل شأنه (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا). (٣٠) كما دعا الإسلام إلى بذل الجهد في إحداث الصلح والتوفيق بين الزوجين كلما دعت الحاجة إلى ذلك. ففيما يتعلق بنشوز النساء دعا القرآن الكريم الأزواج إلى الأخذ بأيدي زوجاتهم وإصلاح حالهن بالحكمة. قال الله عز وجل (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) (٣١) أما في حال توقع الشقاق وحتى لا تتسرب أخبار الأسرة إلى خارجها مما قد يزيد الوضع تأزما فقد نصح القرآن الكريم بأن يختار من الأسرة حكما من أهل الزوجة وحكما من أهل الزوج للقيام بمهمة الإصلاح. قال الله تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيراً) (٣٢) ومن حرص الإسلام على الإبقاء على الرابطة الزوجية أنه أباح مراجعة الزوج لزوجته إذا طلقها وظهرت رغبة استئناف الحياة الزوجية من جديد، قال الله تعالى (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا) (٣٣)

٣- تشريع مبدأ الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان يقول الله تعالى (وأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف). (٣٤) فالإسلام لا يؤكد إلا على الزواج الناجح الذي يؤتي ثماره ويضمن الحقوق والسعادة للجميع أما الزواج الذي يتعارض وهذه المصالح ولا يحقق الهدف الذي شرع من أجله فإن الإسلام قد شرع الطلاق عندما يصبح هذا الأخير حلاً حاسما. وأثبتت الدراسات العلمية أن الأطفال الذين ينتمون إلى أسر حصل فيها الطلاق يكونون أحسن حالاً من الأطفال الذين يعيشون في أسر لم يحدث فيها الطلاق، ولكنها تعاني من مشاكل الشجار المفتوح والمستمر بين الزوجين بحيث صار الأفراد فيها يحيون حياة تعسة وصعبة . (٣٥) كذلك فإن الأسر الشقية التي تتخبط في مثل هذه الصراعات العقيمة تميل في الغالب إلى إهمال مصالح الأطفال وحاجاتهم . (٣٦) والمهم أن طبيعة الآثار التي تترتب على عملية الطلاق بالنسبة للطفل تتوقف على طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين الأبناء وأبويهم. ومع ذلك فإن الإسلام ينصح بأن تكون المفارقة (إذا تعذرت الحياة في نطاق الإمساك بمعروف، كما يقول دروزة، من غير مضارة ولا إرهاق ولا ابتزاز ولا تشاتم ولا مكايدة) (٣٧)

٤- حقوق وواجبات الزوجين والأطفال جاءت واضحة ومفصلة.. فلا مجال للالتباس حول تحديد مهام كل طرف ولا مجال للاختلاف حول هذه الحقوق والواجبات. ونظراً لأهمية الأسرة في المجتمع الإسلامي فقد تولى القرآن الكريم مهمة تحديد الكثير من هذه الأحكام حتى إن ثلث الأحكام التي تضمنها هذا الكتاب المقدس جاءت تعالج موضوع الأسرة.

٥- يعالج الإسلام الأسرة في علاقتها بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى ويحدد دورها ومكانتها من خلال نظرته إلى الإنسان وتقديره لدوره المنوط به في هذه الحياة. لذلك فإن الحياة الأسرية هي خاصة ولأفرادها الحق في تحديد طبيعتها.. والأصل في الوضع الطبيعي الصحيح لهذه الخلية عدم التدخل في شؤونها.. وهذا في الحقيقة عنصر قوة يزيد أفراد الأسرة تماسكا وعالم الأسرة برمته جمالا وورونقا.. لكن إذا تأكد للسلطة المشرفة أن حدود الله فيها منتهكة وأن حقوق، خاصة الأطفال، مهملة فإنه يصبح من الواجبات الدينية على من ولي أمر المسلمين أن يتدخل لإحقاق الحق وحماية الأبرياء والمحافظة على مصداقية شرع الله في الواقع المعيش.

بهذا يكون الزواج في الإسلام زواجا إنسانيا في أهدافه ووسائله.. تتعزز به معاني الاجتماع كما تتأكد فيه كرامة الفرد. فمن طريقه تتم المحافظة على النوع الإنساني ويتحقق للفرد السكون النفسي.. وهو سبيل تبادل المودة والرحمة بين الرجل والمرأة علما بأن حاجة كل منهما إلى الآخر كحاجة الإنسان إلى الملبس (لستر معايب الجسم، كما يقول طبارة ولحفظه من عاديات *الأذى وللتجمل والزينة*) (٣٨)، *وهكذا يسعى الزوجان* - كل منهما نحو الآخر - لحفظ شرفه وصيانة عرضه وتوفير راحته وصحته (٣٩)، وقد عبرت *الآية القرآنية*

عن هذا التكامل الحلولي أبلغ تعبير فقال الله تعالى واصفا علاقة الزوجة بزوجها والزوج بزوجته (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن). (٤٠)

الخاتمة

إن الإنسانية تتخبط في أزمات خانقة وما قُدِّم من حلول إلى حد الساعة زاد من تعاستها وخاصة عندما اعتمدت هذه الحلول المقترحة على تهميش دور الأسرة. هذه الأخيرة مع مرور الوقت فقدت مصداقيتها وأصبحت عاجزة عن حماية نفسها والحفاظ على كيانها فضلاً عن تقديم مساهمتها لإسعاف البشرية. وبذلك تعطل دور هذه الخلية في حياة المجتمعات وأصبحت تعيش في تبعية الواقع بعد أن تغير كل شيء.. وإذا كانت الدعوة إلى الاستغناء عن خدمات الأسرة لا تزيد الإنسان إلا شقاوة فإن الاعتماد على الأسرة في وضعها الحالي لا يساعد على احتواء ما يعاني منه هذا الإنسان. ومن المؤكد حسب نتائج الدراسات أن النظام الأسري في خضم الصراعات القائمة لا يستطيع أن يسترجع مكانته ببعض الإصلاحات البسيطة التي يمكن أن تجرى عليه.. فالأزمة التي يعرفها أعمق من ذلك.

فانطلاقاً من الفلسفة التي تأسس عليها وطبيعة الدور المحدد له والأهداف التي يعمل لها، أصبح وجوده كعدم وجوده.. من هنا ضرورة التعجيل بالتفكير في البديل. والأسرة التي بنيت على أساس الشريعة الإسلامية واستطاع نظامها أن يثبت خلال قرون طويلة في وجه الأزمات والأعاصير ويتجاوز كل أنواع العقبات والتحديات في أوقات الشدة وفي أوقات الرخاء هي البديل الأنسب..

الهوامش

١- سيد قطب (في ظلال القرآن) المجلد ١ ص ٢٣٥
٢- سيد قطب (في ظلال القرآن) المجلد ١ ص ٢٣٦
٣- Bettelheim .. B (1950) love is not enough
٤- Brown, f (1937) neupotism of institution
٥- Bowl by . j (1953) child care and the growth of love p.53
٦- Wolff's (1969) children under stress p.53
٧- Nash'j (1965)
٨- Bowl by . j (1953) p. 79-78
٩- المربع السابق ص ٧٨ _ ٧٩
١٠- Wolff . s (1965)

الإباحية الجنسية التي يتبعها الغرب، داء عضال ينخر في عظم مجتمعاتهم..

★★★★★

١١- Bryan Wilson (1962) the teacher's role p.26 _ 27
١٢- Bertrand Russell (1932) marriage and morals p 162
١٣- Zimmerman , c.c (1974) family and civilization pp.805 _808
١٤- Ronald Fletcher (1973) the family and marriage in Britain pp.60 _65
١٥- سيد قطب (في ظلال القرآن) في المجلد ٢ ص ٦٣٢
١٦- سيد قطب (في ظلال القرآن) في المجلد ٢ ص ٦٣٤
١٧- U.N.E.S.C.O (1976) the book of the year ٧٦٥- pp.757 _
١٨- سورة البقرة الآية "٢٢٩"
١٩- سورة البقرة الآية "٢٣٠"
٢٠- عبدالرحمن النحلاوي أصول التربية الإسلامية ص ١٢٣
٢١- سورة الأعراف الآية "١٨٩"
٢٢- سورة الروم الآية "٢١"
٢٣- حديث رواه البخاري ذكره النحلاوي في المرجع المذكور ص ١٢٥
٢٤- حديث رواه البخاري ذكره النحلاوي في المرجع المذكور ص١٢٥
٢٥- حديث رواه البخاري ذكره النحلاوي في المرجع المذكور ص ١٢٥
٢٦- حديث رواه البخاري ذكره النحلاوي في المرجع المذكور ص ١٢٥
٢٧- حديث رواه البخاري
٢٨- Maynard . J.N. (1970) child study p. 157
٢٩- سورة النساء الآية "٢١"
٣٠- سورة النساء الآية "١٩"
٣١- سورة النساء الآية "٣٤"
٣٢- سورة النساء الآية "٣٥"
٣٣- سورة البقرة الآية "٢٢٦"
٣٤- سورة البقرة الآية "٢٢٩"
٣٥- Nye.f.i (1957) child adjustment in broken and unhappy unbroken homes pp.356- 361 _
٣٦- Porter. B.M. (1955) the relationship between marital adjustment and parental acceptance of children pp. 157 _ 164
٣٧- محمد عزة دروزة، المرأة في القرآن والسنة
٣٨- عفيف طبارة (روح الدين الإسلامي)
٣٩- عفيف طبارة (روح الدين الإسلامي)
٤٠- سورة البقرة الآية "١٨٧"

النقص قوة دافعة إلى النجاح

مالك ناصر درار
- المدينة المنورة -

من أشيع التعبيرات السيكلوجية على ألسنة عامة الناس في هذا العصر تعبير "مركب النقص" يطلقونه لوصف نماذج من السلوك يبدو لهم أن أوجه النقص أو العجز أو القصور هي التي تحدوها.. ولعل أكثر من تجري ألسنتهم بهذا التعبير هم الشباب، الذين تَفَتَّح وعيهم لتوه على ما يجري فوق مسرح الحياة من أحداث، ونشطت عقولهم تنشد تعليلا لهذه الأحداث، وتفسيراً للدوافع التي تكمن وراءها، وأسعفهم تعبير (مركب نقص) في وصف حاضر لبعض ما يرونه من أنماط السلوك.



عجز الطفل عن مواجهة الحياة يكسبه النقص والدونية

على أن هذا التعبير الشائع صاحبه خطأ شائع أيضاً نشأ عن الخلط بين (مركب النقص) و(الاحساس بالنقص) وثمة فرق كبير بينهما من الناحية السيكلوجية.

وقد كان "ألفرد اولر" أول من ابتكر تعبير "مركب النقص" وكان هذا العالم النفسي النمساوي من تلاميذ (فرويد) الأولين، وأصدقائه المقربين، غير أنه اختلف معه حول بعض الأسباب المؤدية إلى العصاب (المرض النفسي) فانشق عليه ووضع نظريته الخاصة التي أفرد فيها مكاناً كبيراً للنقص الذي رأى أنه يكمن وراء مظاهر عديدة من سلوك الفرد.. ورجع بهذا النقص إلى طفولة الفرد، وقال: إن عجز الطفل عن مواجهة الحياة بغير اعتماد على الآخرين حتى وإن كان يضمر الكراهية لهؤلاء الآخرين، يترك في نفسه أثراً باقياً يتدخل في تشكيل أنماط سلوكه مستقبلاً.

ولما كان (اولر) يؤمن بما تضمنته نظرية (فرويد) عن اللاشعور والكبت، وهما محور العقد أو المركبات، فقد أرسى نظريته في النقص على هذه الأسس، وأطلق تعبير (مركب النقص) على ذلك النقص، الذي إما أن يكون نقصاً حقيقاً أو نقصاً توهمه الفرد، وسبب له ألماً نفسياً من العنف والشدة، بحيث لم يحتمله شعوره، فكبته بعملية لا شعورية، وكبت معه الشحنة الانفعالية المصاحبة له، التي ازدادت تعقيداً على مر الأيام، حتى أصبحت عقدة أو مركباً.

وفي هذه الحالة فإن المرء لا يعود يتبين النقص المكبوت ولا يشعر بالاحساس المصاحب له، وإنما يعاني أعراضاً ترمز

إلى هذا النقص المكبوت، ويحس بمشاعر تشير تلميحاً لا تصريحاً إلى الشحنة الانفعالية المكبوتة.

ومن أمثلة أعراض (مركب النقص) الخجل، وضعف الثقة بالنفس والمخاوف المرضية المختلفة.

وفي مثل هذه الحالة لا يتسنى التوصل ثانية إلى النقص الأساسي الدفين إلا بأساليب العلاج النفسي.

وليس النقص بهذا المعنى هو ما قصدنا إليه في هذا المقال، وإنما كان لابد من هذا الشرح تصحيحاً للَّبس الشائع بين (مركب النقص) و(الاحساس بالنقص)، من الوجهة السيكولجية.. والذي نقصده هنا هو الاحساس الواضح الصريح بنقص قائم فعلاً أو نقص يتوهم المرء أنه يعانيه بالقياس إلى غيره من الناس.

وهذا النقص إما أن يكون نقصاً بدنياً أو معنوياً..

ومن أمثلة النقص البدني: فَقْد عضو من أعضاء الجسم، أو حاسة من الحواس أو وجود عيب من العيوب الجسمية كالقصر أو الطول المفرطين، والسمنة، أو النحافة، الشديدتين، أو ما إلى ذلك.

الاحساس بالنقص والعمل على تحديه بداية التفوق..

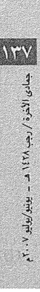
وهذا النوع من النقص يسهل حصره وتحديده على عكس النقص المعنوي الذي يحسه المرء بالقياس إلى غيره من الناس.

النقص المعنوي:

ولقد وسعت تعقيدات المدنية الحديثة من نطاق هذا النقص المعنوي حتى لم يعد يحصره حصر، وأصبح هذا الاحساس بالنقص المعنوي مشكلة من أبرز المشكلات بين شباب هذا العصر.

فإذا ذهب الفرد إلى المدرسة، فهو خليق بأن يستشعر النقص لأنه متخلف في تحصيل العلم عن هذا وذاك من زملائه..

أو لأنه أقل مهارة في الألعاب الرياضية.. من غيره من الطلاب.



أو لأنه أقل ثراء من بعض زملائه الذين يتجلى ثراؤهم فيما ينفقونه من مال أو ما يرتدونه من ثياب.

وإذا خرج إلى الحياة العامة، فهو خليق بأن يستشعر النقص لأنه لم يصل من حيث التعليم إلى المستوى الذي بلغه هذا أو ذاك، أو لم يحصل على المركز الذي حصل عليه غيره، أو أخفق في تحقيق هدف كان ينشد تحقيقه، أيا كان هذا الهدف، في حين تحقق الهدف لشخص آخر.

وهكذا، كلما دنت المرتبة وقل المستوى، بالقياس إلى ما هو قائم من المراتب والمستويات، فثمة احتمال للاحساس بالنقص، وكلما كان هناك فشل أو اخفاق أو قصور فهناك المجال للاحساس بالنقص.

ولو أن المسألة اقتصرت على الاحساس وحده لهان الخطب، برغم ما يبعثه هذا الاحساس من ألم للنفس، ولكن المشكلة أن مجرد وجود هذا الاحساس بالنقص أو

عدد كبير من العلماء والمخترعين والأدباء نجحوا وتميزوا لأنهم لم يستسلموا..

★★★★★★

بالعجز والقصور خليق بأن يثبط العزائم، ويضعف الهمم، فيتقاعس المرء عن النشاط الايجابي البناء، ويركن إلى موقف سلبي، أو إلى النشاط الهدمي، قد لا يقتصر ضرره عليه، بل يتجاوزه إلى غيره.

على أن هذا الاحساس بالنقص – لو درى صاحبه – يحمل في ثناياه قوة دافعة إذا أحكم المرء توجيهها وجهة الانشاء ولبلغت به هذه القوة من النجاح ما لم يكن يحلم ببلوغها.

والشخص الخليق بأن يستشعر النقص يتصف بلا شك بإحساس مرهف، وخيال خصب، وطاقة كبيرة من النشاط، فلو أنه كان بليد الاحساس ضيق الأفق خاملاً، لما أثاره نقصه عن الآخرين، ولما حرك فيه ساكناً.. وهذه الصفات: رهافة الحس، وخصوبة الخيال، ووفرة الطاقة، إما أن تكون نعمة إذا اتجهت وجهة الأمل، وإما أن تكون نقمة إذا اتجهت وجهة اليأس والهدم.

فكل الأعمال الجليلة في سجل البشرية كانت نتيجة احساس مرهف، وخيال خصب، وطاقة متأججة وجهت في طريق الخير والبناء.

وإذن، فالشخص الذي يمضه (الاحساس بالنقص) يملك من البداية أسلحة النجاح ووسائله، وكل ما يحتاج إليه بعد ذلك هو أن يحدد الهدف ويتمثل الغاية، ثم يمضي إليها متسلحاً، فوق أسلحته تلك، بالعزم والإرادة.

فإذا كان النقص مما لا يتسنى تقويمه، كأن يكون نقصاً بدنياً، ففي مجالات التعويض متسع كبير وليتأمل المرء كيف يعوض الله سبحانه وتعالى عن النقص والعاهات الجسمانية، فالذي افتقد حاسة البصر تزداد لديه الرهافة في حاسة أخرى كحاسة السمع، والذي فقد عضواً من اعضائه تزداد لديه قوة عضو أو أعضاء أخرى لتسد وجه النقص أو تكاد.

فمثل هذا التعويض المباشر الذي يستعيض به المرء عن ضعف ما، بقوة من جنسه، يستطيعه الفرد أيضاً إذا تسلح بالعزم والإرادة، والأمثلة على ذلك كثيرة.

فهذه (هيلين كيلر) العمياء الصماء البكماء، استعاضت عن العمى والصمم باللمس فأصبحت ترى وتسمع بأناملها وتغلبت على البكم حتى استطاعت أن تلقي المحاضرات في المنتديات.

وهذا (ديمو ستيني)، خطيب اليونان المفوه، كان في صباه يشكو العي والحصر، فراح يتدرب على الخطابة واضعاً الحصى في فمه حتى صار اخطب خطباء أثينا في عصره.

وهذا (تشارلز اطلس)، الرياضي الذي كان في صباه ضعيفاً نحيل الجسم لا يزن أكثر من ٩٧ رطلاً، فأخذ جسمه بالرياضة حتى أصبح مثلاً في القوة وجمال الجسم.

أما مجال التعويض غير المباشر، أي التعويض عن الضعف بقوة ليست من جنسه، فهو أفسح وأوسع.

وسجل التاريخ حافل بأولئك الرجال الذين طغت شهراتهم في ميادين الأدب والعلم والفن، على عاهاتهم ونقائصهم حتى طمستها ولم يعد لها ذكر.

ومن أمثلة هؤلاء (سقراط): أبو الفلاسفة، الذي كان قبيح الخلقة، أصلع الرأس، مفلطح الأنف، غائر العينين، حتى لقد وصفه الفيلسوف (ول ديور انت) بأنه كان أقرب شبهاً بالحمالين منه بالفلاسفة.

ولكنه استعاض عن قبح المظهر بجمال النفس، وطيبة القلب، وإعمال الفكر حتى كان أحب الاساتذة إلى قلوب شباب اثينا في عصره..

وهذا جون ملتون الشاعر الانجليزي، ثبت اسمه في سجل التاريخ بملحمتيه الرائعتين (الفردوس المفقود، والفردوس المستعاد) ولم يعد يذكر الناس إنه كان اعمى.

و(بتهوفن) الموسيقي الألماني يستمتع الملايين اليوم بمقطوعاته الموسيقية وينسون أنه كان أصماً.

(وفرانكلين روزفلت) بلغ رئاسة الجمهورية الأمريكية وهو مصاب بشلل في ساقيه لا يمكنه من الوقوف.

(ولورد بايرون) الشاعر العاطفي الرقيق.. (وتيمورلنك) العسكري الذي أوشك أن يغزو العالم، كلاهما كان أعرجاً.

(ونابليون) مفرط في القصر.

وكان (ابراهام لنكولن) مفرطاً في الطول.

وهكذا إلى آخر القائمة الطويلة من هؤلاء المشاهير الذين أصبحوا اليوم مثلاً يحتذى، وكان كل منهم يعاني نقصاً حقيقياً استطاع أن يهزمه وأن يبلغ برغمه أرقى مدارج الشهرة عن طريق التعويض غير المباشر، أي البروز في ميدان معين.. والتفوق فيه إلى درجة ترد له اعتباره بين الناس وتكسبه احترامهم.

وإذا كان التعويض عن نقص حقيقي ميسوراً هكذا، كما رأيت، سواء بالطريق المباشر أو بالطريق غير المباشر، فأيسر منه ولا شك التعويض عن النقص المعنوي الذي لا ينطوي على فقدان عضو ولا افتقاد حاسة، وكل ما يتطلبه هذا التعويض هو رسم الهدف أولاً، بحيث يكون متفقاً مع ميول الفرد، وقدراته، واستعداداته، ثم التسلح بالعزم والإرادة لتحقيق الهدف.

والأمثلة في هذا الباب كثيرة أيضاً، كان (شوبنهور) الفيلسوف الألماني المشهور مكروهاً من أسرته وهو طفل، وأورثه هذا الاحساس بالنقص عن سائر الأطفال حب الاختلاء بنفسه والانطواء عليه، ولكنه وجه ذهنه في هذه الخطوات إلى التفكير في الكون وأحواله، حتى ذاع اسمه وأصبح من مشاهير الفلاسفة.

وكان (أديسون) الذي تعد مخترعاته بالعشرات، تلميذاً خائباً في المدرسة، توقع له أبوه وأساتذته مستقبلاً مظلماً ولكنه صمم على النجاح فنجح وذاعت شهرته.

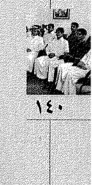
ومن الأمثلة على دأبه وتصميمه أنه قبل أن يتوصل إلى اختراع الحاكي جرب عشرات الطرق دون أن يتوصل إلى شيء، ولكن اليأس لم يتطرق إلى قلبه حتى أن صديقاً له سأله يوماً: لماذا لا تكف عن التجربة وقد جربت ألف طريقة دون جدوى؟؟

فأجاب اديسون: إن هذه التجارب لم تضع عبثاً فقد عرفت أن هناك ألف طريقة لا يتم بها اختراع الحاكي.

هوية الشباب وقضايا العصر

الشباب طاقة جبارة ينبغي رعايتها والافادة منها..

د. خالد محمد الزواوي - مصر



إن حرص الشباب على تخطي مرحلة الطفولة، وبلوغ مرحلة الرشد، ليس مجرد نزوة شخصية، وإنما هو مطلب من مطالب النمو والارتقاء. وعملية الارتقاء النفسي الاجتماعي ليست نتيجة تحقق آلي لاستعدادات فطرية موروثة، وإنما هي عملية تتوقف سرعتها وخط سيرها ومحتواها على علاقة الفرد بالآخرين.

وما يتعلق بفهم الشباب لما يجري في كيانه من تحولات والتكيف معه وقبوله مشكلة تنعكس على حالتهم المزاجية، وتعطل سير حياتهم العادية، فيبدو غير قادر على التركيز الكافي في قاعات الدرس، أو الاستذكار، أو التعامل مع الآخرين، قلقاً على نفسه في تحمل مسؤوليات الحاضر.. وبالنسبة للمستقبل، يكون مهموماً تبدو في نظره المشكلات البسيطة معوقات خطيرة.

ويأتي النضج الجنسي في المراهقة وبداية الشباب بعديد من الحاجات والإشكالات، يتعلق بعضها بفهم الشاب لما يجري في كيانه، ويتصل بعضها بقبول ما يحدث، ويرتبط بعض ثالث بضرورة العثور على متنفس للطاقة الجياشة الجديدة، وهنا يستلزم التكيف مع هذا التغير، والتوصل إلى مدخل سليم وصحي لحلها. وما نراه من سلوكيات مرفوضة في الأماكن العامة والخاصة، حيث الشعور بتحقيق الذات ولو بطريق غير محمود فهذه قضايا ينبغي النظر إليها بجدية والبحث عن حل لها.. وهي سلوكيات تثير المجتمع، ويصعب على الشباب أن يتجاهلوا سلوكياتهم، أو ينصرفوا عنها، لأنهم يعتقدون أن في تصرفاتهم هذه ارتباط بينها وبين الذات، وتقديرها، وقبولها. وهناك حرص الشخص على اختبار قيمته في نظر الآخرين، والممارسات الخاطئة هي نوع من أساليب الاختبار، وذلك لعدم فهمنا لأبعاد المشكلة، ومعارضتنا دون اللجوء إلى دراسة المشكلة ومن ثم حلها.

ومشكلات النضج الانفعالي هي، بالطبع، نتاج لعلاقات الشباب وتفاعلاتهم الاجتماعية، وليست مجرد ملامح فطرية، وهذه المشكلات هي نفسها عامل من عوامل الانتكاس النفسي الاجتماعي، لأنها تسبب حالة من القلق المرهق الذي يؤدي إلى مزيد من المشكلات، وحين يحدث هذا، يؤدي إلى عدم الثقة بالنفس، والانسحاب. ويؤدي الإحساس بالعجز عن التكيف الناضج في المواقف الاجتماعية المهمة مع

******

هناك قضايا للشباب ينبغي النظر إليها والبحث عن حل لها

******

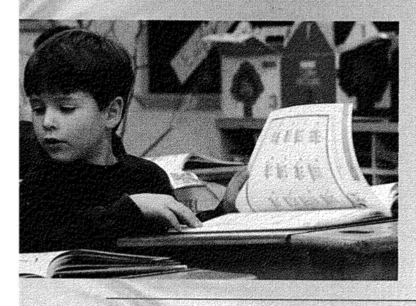
الآخرين إلى نوع من التشاؤم، وكراهية الحياة، ولذلك يجد البعض في النسيان، وأحلام اليقظة طريقاً للهروب من المشكلة وليس هذا هو المطلوب.

وحين يفتقد الشاب التقدير الكافي من الآخرين الذين يعنيه رأيهم فيه، أو حين يخفق في محاولات التكيف المهمة - الدراسة - أو الحب - أو العمل أو غير ذلك، تتضح الأبعاد الحقيقية للمشكلة، ونلاحظ ذلك من ثورتهم وغضبهم وتمردهم وعنادهم ومن ثم تنعكس المشكلات على أوضاعهم في مجالات كثيرة.

هناك شباب لا تتاح لهم فرص الاشتراك في الأنشطة التربوية المدرسية لأسباب كثيرة، ولا يجدون عملاً مسلياً في العطلة الصيفية، ولا في وقت فراغهم، وحتى لو أتيح لهم بعض فرص النشاط، فهم يشكون من إحساس بعدم الكفاءة في ممارسة مثل هذه الأنواع من الأنشطة، مما يعوق ارتقاءهم النفسي الاجتماعي، وتوتر علاقاتهم بالآخرين، لأننا نفتقر إلى خلق هوايات مفيدة، بحيث تشبع ميول الشباب وتملأ عليهم جوانبهم، وتسد حاجياتهم، وتتفق مع رغباتهم واستعداداتهم، وهذا الحرمان يخلق عندهم الشعور بالخجل، ويدفع في نفوسهم الإحساس بالوحدة وبالنقص.

وترجع أزمة الهوية عند الشباب، بسبب تعثر الشباب نفسه، وتعقد أزمته مع نفسه، نتيجة لقصور التربية والظروف الموضوعية التي يعيشها - وبخاصة في سياق المدرسة - تقف حائلاً دون نمو روح الخلق، ومهارات التعاون. ويرجع البعض الأزمة إلى إحساس الشباب بالضياع في مجتمع لا يساعده في فهم من هو، ولا تحديد دوره في الحياة، ولا يوفر فرصا يمكن أن تعينه في الإحساس بقيمته الاجتماعية، ولا يقدم أهدافا تُتَبنَّى، ومُثُلاً تُعْشَق. فالمجتمع الحديث لا يحرم الشباب من القدوة والمثل فقط، وإنما هو يعطلهم أيضاً عن القيام بدور ذي معنى في الحياة.

تنمية الموهبة الإبداعية للأطفال



د/ أميمة منير جادو

عضو اتحاد كتاب مصر

يشكل التفكير الابداعي أو الابتكاري أهمية قصوى في نمو المجتمعات والأمم، ليس في المجال التقني فحسب وانما في مجالات الحياة المتعددة كالسياسة والاقتصاد والتربية وعلم النفس والإعلام والأدب والثقافة...الخ.

تتنافس الدول المتقدمة فيما بينها في تشجيع المواهب ورعاية المبدعين

ولقد أصبح الاهتمام بالإبداع أو الابتكار ضرورة حتمية كواحدة من الضرورات التي تحتمها طبيعة العصر الحديث، ولعل هذا يعود إلى أهمية الإبداع وتنمية المواهب في كل مجالات الحياة ما يعزى ذلك أيضاً إلى دور الموهوبين من المبتكرين أو المبدعين في تغيير التاريخ وإعادة تشكيل العالم والواقع.

وتتنافس الدول المتقدمة فيما بينها في تشجيع المواهب ورعاية المبدعين أو الموهوبين وذلك بهدف زيادة قوتها الاقتصادية والحربية وتطوير أبحاثها التكنولوجية، ولو أجيزت المقارنة بين الدول المتقدمة والدول النامية لتبين أن الجهود المبذولة في الأخيرة في هذا المجال قليلة أو نادرة. فلم نسمع مثلاً عن معاهد لرعاية المبتكرين أو مراكز بحثية للمبدعين أو تشريعات لحمايتهم وتوفير الظروف المناسبة لتشجيعهم وحفز مواهبهم.

ولقد أعطت بعض الدول اهتماماً بالمعوقين وأنشأت الكثير من المؤسسات لرعايتهم وأصدرت الكثير من التشريعات لحمايتهم.

ولكن على النقيض من ذلك لم نسمع عن عام للطفل الموهوب! أو تشريعات لحماية هذا الطفل توفر له الظروف المناسبة للإبداع والابتكار وإبراز مواهبه ولكي تستمر هذه القدرة والموهبة لديه طول الحياة؟

إن العالم المصري (أحمد زويل) الحائز على جائزة نوبل قال في أكثر من حديث له: إن مصر هي التي أنجبتني وأدين بولائي لتعليمي فيها ولكن أمريكا هي التي منحتنى الفرصة كي أستمر.

وبناء على ما سبق فمتى سيكون هناك تشريع يحمي الموهوبين والمبدعين والمبتكرين من الهجرة الخارجية ويحمي الدول من سرقة العقول النيرة والفذة؟

وحتى لا أستطرد كثيراً بما لا يتسع له المجال هنا فقد لفت نظري مقولة في أحد الأبحاث العلمية يشير إلى أننا ما زلنا منذ بداية هذا القرن وحتى الآن نبحث عن كيفية الوصول إلى برامج تربوية فعالة لتنمية الموهبة المبدعة، وأنه ما زالت هناك فجوة واسعة بين الإستبصار التربوي والسيكولوجي للمشكلة وبين تطبيق الحلول الملائمة لها.

وفي الواقع كانت هذه المقولة هي الدافع الأساسي لكتابة هذه الورقة، إذ اعترف كل الباحثين السابقين بضرورة تنمية الإبداع في سني الطفولة المبكرة وبصعوبة المهمة في نفس الوقت ولذا يجب على الدول العربية بمؤسساتها المعنية محاولة إزالة هذه الصعوبة شيئاً ما بتقديم التصورات لبرامج تربوية مقترحة لتنمية المواهب الإبداعية للأطفال في المراحل العمرية المختلفة



باستغلال مفردات البيئة العربية والريف والبوادي الذي يقطنه الغالبية العظمى من أطفالنا العرب.

إشارة للجهود والآراء السابقة في المجال:

أشار رومانيك وهارجريفر إلى أن "هذا الفارق الكبير في التقدم بين مجالي الذكاء والإبداع في الستينيات أدى إلى تزايد الاهتمام بعد ذلك بالإبداع وخاصة بالمشكلات المرتبطة بقياسه والمقارنات النظرية التي تناولت هذا الموضوع"(١)، ثم ذهب تورانس في السبعينيات إلى ما هو أكثر من ذلك حيث "نبه إلى ضرورة الاهتمام بالدراسات المتعلقة بمراحل نمو الإبداع خلال سنوات الدراسة وأيده في ذلك كل من جوبت وبالتز ١٩٧٠ ورومانيك ١٩٨١ حيث رأوا أنه بعد الاهتمام بموضوع قياس الإبداع فإن الدراسات اللاحقة يجب أن تتم في إطار إنمائي خلال مراحل عمرية مختلفة"(٢).

وقد قامت بالفعل جهود نظرية في هذا الإطار على الرغم من قتلها كما يشير رومانيك ١٩٨١ إلا أنها تمثل بدايات أدت لبحوث تالية في مجال العلاقة بين العمر والإبداع، ومن هذه الجهود وصف تيلور لمراحل الإبداع حيث توصل إلى نموذج لقياس الإبداع عبر شرائح عمرية مختلفة يوضح هذا النموذج أن الموهبة الإبداعية تمر بتغيرات كيفية خلال الأطوار المختلفة عبر دورة الحياة، مع الوضع في الاعتبار أن هناك قدرات مختلفة تصل للحد الأقصى لنموها عند مراحل مختلفة، وكل مرحلة من هذه المراحل ترتبط بأنماط متفردة من التعبير الإبداعي خلال مراحل العمر"(٣)، كما أشار تيلور في نظرية له أسماها Acharacteristic mode life cycle choo thoary إلى التغيرات الكيفية والكمية في الإبداع التي تظهر خلال مراحل معينة من النمو، وقد استمد تيلور أسس هذه النظرية من المقابلات المتعمقة التي أجراها مع الأطفال عندما كان يعمل في مدرسة واشنطن للقياس النفسي، وفي نفس الفترة تقريباً، ناقش ماكلش ١٩٧٦ بعض البحوث النظرية(٤)، والأمبيريقية في مجال الإبداع وقدم تصوراً قريباً مما قدمه تيلور".

وعلى الرغم من هذه البداية النظرية- وإن كانت محدودة- بالتغيرات في الإبداع عبر مراحل العمر، وعلى الرغم أيضاً من أن أسئلة اختبارات الإبداع خلال هذه الفترة كانت من النوع المفتوح مما يجعلها سهلة التطبيق على مدى واسع من الأعمار الزمنية إلا أن معظم الأبحاث في هذه الفترة قد قيدت نفسها بمدى عمرى ضيق، كما طبقت على عينات صغيرة مما قلل من فائدتها وإمكانية تعميمها ووضع معايير دقيقة لها"(٥).

"والقليل منها فقط هو الذي أشار إلى التغييرات التي تحدث في الإبداع عند الأطفال خلال أكثر من مرحلة عمرية ومن هذه الدراسات دراسة تورانس ١٩٦٩ التي توصل فيها إلى أن الشكل العام المنحني للإبداع يظهر زيادة ثابتة في القدرات الإبداعية من الصف الأول وحتى الصف الثالث يتبعها تدهور حاد بين الصفين الثالث والرابع يلي ذلك بعض الاسترخاء خلال الصفين الخامس والسادس، ثم يظهر انخفاض آخر بين الصفين السادس والسابع يتبعه نمو حتى نهاية المرحلة الثانوية في حين أن كوجان وبانكوف ١٩٧٢ رأيا أن معظم الأطفال يظهرون هذا الانحدار في الصف الرابع، إلا أن بعضهم يحتفظ بنموه الإبداعي دون انحدار"(٦).

ومع التطورات العلمية المتلاحقة والاكتشافات

التكنولوجية فقد أدت دراسات علماء النفس أمثال جيلفورد وتورانس وجيتزل وجاكسون وميدنيك إلى كشوفات مثيرة تتصل بالتعرف على المبدعين من الأطفال وتنمية مواهبهم الإبداعية والتفكير الإبداعي لديهم.

ولقد حظيت مرحلة الطفولة المبكرة باهتمام الباحثين والمربين حيث "أكدت المنظمة الدولية لتعليم الأطفال الصغار (NAEYC) على أن البرامج ذات النوعية المتميزة للأطفال في المرحلة المبكرة تزودهم بيئة غنية وآمنة ومعززة وتقويهم جسمياً واجتماعياً وعاطفياً ومعرفياً وأن درجة عالية من النوعية للبرامج يجب توافرها داخل المؤسسات التربوية بهدف تنمية التفكير لديهم"(٧) وعليه فإن محاولة بناء برنامج تعليمي لتنمية التفكير الإبداعي لدى الأطفال ما قبل المدرسة (الروضة) يدخل في إطار الاهتمام العالمي بالإبداع والمبدعين والموهوبين وهذا ما تهدف إليه هذه الورقة.

آراء حول التفكير الإبداعي لدى الأطفال:

هناك العديد من النظريات(٨) التي بحثت في التفكير الإبداعي أو الموهبة الإبداعية لدى الكبار عموماً والأطفال بشكل خاص وقد عرضت بالتحليل والتفسير لها بعض نظريات: الترابطية، والجشتالطية، التحليلية، الإنسانية، والمعرفية.

وانطلاقاً من هذه النظريات فقد تجمع الكثير من التعريفات للتفكير الإبداعي حيث ينظر إليه تارة من حيث أنه (نتاج:Product) متميز متفرد مفيد للمجتمع، وتارة أخرى باعتباره (عملية: Process) تهدف إلى إيجاد حل فريد للمشكلة عبر سلسلة من العمليات المعرفية، وتارة ثالثة من حيث هو مجموعة من الصفات الشخصية (Person) ومنهم من ربطه بقبول الجماعة (Press)، وعرفه (ديبورا تيجانو وآخرون Debora etall,1992) بأن التفكير الإبداعي: هو عملية نمائية تعتمد على خصائص فريدة من نوعها تظهر عند كل طفل يدرب عليه مثله مثل مجالات النمو الأخرى.

مستويات الإبداع (٩):

هناك العديد من التعريفات التي حاولت إلقاء الضوء على مفهوم (الإبداع) أو (الابتكار) باعتبار أن الدراسة العملية لهذه الظاهرة ربما جاءت متأخرة بعض الشيء عن دراسة بعض المفاهيم الأخرى، إذ بدأت هذه المحاولات في الخمسينيات فقط من هذا القرن.

ولقد اختلفت التعريفات باختلاف المدارس ولذا فإن الإحاطة الشاملة بالمفهوم تستلزم الدراسة الشاملة والبحث المتقصى لهذه الجوانب المختلفة، وعلى سبيل المثال فإن أنصار التحليل النفسي يهتمون بالجوانب الوجدانية (الشعورية واللاشعورية في الإبداع)، بينما ينطلق الإرتباطيون في تفسيرهم للإبداع من المثير للإستجابة، أما في الاتجاه الإجرائي يهتم (الإجرائيون) بالإجراءات والأساليب التي تساعد على وصف أو تنمية إبداع الفرد.

وقد حاول تيلور في ضوء الاتجاه الأخير تحديد خمسة مستويات للإبداع، يُعَدُّ الأولان منها هامان بالنسبة للإبداع عند الأطفال وهذه المستويات هي:

١- الإبداعية التعبيرية Expressional Creativit:

وتتضمن التعبير الحر، ولا يكون فيها للمهارات، وأصالة ونوعية الناتج أهمية، والرسوم التلقائية للأطفال هي أمثلة لهذا المستوى.

٢- الإبداعية الإنتاجية Productive Creativity:

وتتضمن النتائج العملية أو الفنية التي تدل على أن هناك مستوى من البراعة قد أنجزه الفرد، هذا على الرغم من أن هذه النواتج قد لا تكون قابلة لأن ترى أو تدرك، وقد لا تكون أيضاً متميزة عن نتائج المبدعين الآخرين، ليس بإمكان كل فرد أن ينتقل من المستوى الأول (التعبيري) إلى المستوى الثاني (الإنتاجي) وذلك لأن المستوى الثاني تصاحبه عملية تضييق وضبط للعب الحر عند الأطفال والتي يتميز بها المستوى الأول على أن تتم في الثاني تنمية أساليب الإنتاج للأعمال الكاملة، وبالتالي فالواقعية البارزة والموضوعية وتمام العمل تميز هذا المستوى السابق.

٣- الإبداع الإختراعي Inventive Creativity:

هذا هو عالم الإبداع للمخترعين والمكتشفين وأصحاب هذا المستوى من الذين يبحثون عن طرق جديدة لرؤية الأشياء القديمة.

٤- الإبداع التجديدي (الاستحداثي) Innovative Creativity:

وأصحاب هذا المستوى يحاولون أن يمحصوا أكثر ويعمق في الافتراضات الكامنة وراء فن أو علم معين من أجل عمل تغييرات جوهرية فيه.

٥- الإبداع الإنبثاقي Emerentive Creativity:

وهذا هو أعلى مستوى للطاقة الإبداعية الذي يحاول أصحابه استنتاج مبادئ جديدة كلية.

لكن من الملاحظ أن مراحل النمو المقابلة لهذه المستويات الإبداعية المتدرجة التي حددها تيلور غير محددة وغير واضحة عدا المستوى الأول الذي يقابل عنده مرحلة الطفولة، حيث اعتبره (تيلور) أن كل الأطفال يُستنفد معظم جهدهم الإبداعي في هذا المستوى وقليلاً منهم هو الذي يرقى إلى المستوى الثاني. وربما يرجع عدم التحديد هذا كما يشير (بالتز وآخرون) إلى قلة الاهتمام بالنمو الإبداعي خلال مراحل العمر في فترة ما قبل السبعينيات من هذا القرن، وإن كان الاهتمام بهذا الموضوع لم يزدد كثيراً بعد ذلك، حيث لم يجد ديكى ١٩٨٩ على حد قوله من خلال بحثه في التراث السيكولوجي سوى مقالة واحدة نظرية للسنر وهلمان ١٩٨٣ تناولت (الموهبة الإبداعية) خلال عمر الفرد كله، حيث قدما فيها ثلاث مراحل للتعبير الإبداعي هي:

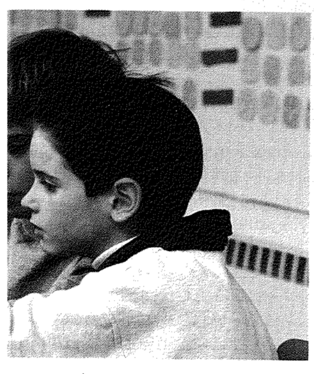
١- من الميلاد وحتى الحادية عشرة: ثراء إبداعي داخلي:

(Internal Creative Enrichment)

فالطفل يتعلم مهارات الحياة الأساسية وينمي شخصيته المتميزة.

٢- من ١٢: ٦٠ سنة: ثراء إبداعي خارجي Ex-ernal Creative Enrichment

وهذه المرحلة تتميز بتحول تدريجي بعكس



الانتقال من التوجه المتمركز حول الذات الموجود في الرحلة الأولى إلى توجه أكثر خارجية، وأكثر وعياً اجتماعياً، وهو توجه متعدد المراكز ينمو بالتدريج كلما نضج الفرد.

٣- من ٦٠ سنة وحتى الموت:

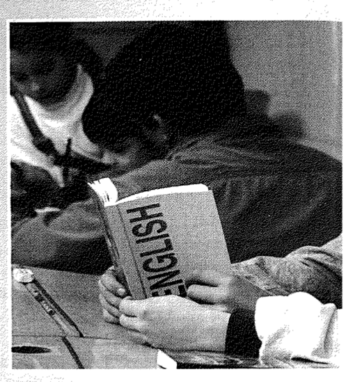
وتتميز هذه المرحلة بعودة اتجاه التوجه النرجسي الذي يركز على تقييم الذات الإبداعية Creative Self Evaluation أي تقييم الفرد لذاته في المرحلة السابقة، وبالتالي سيؤدي ذلك بالفرد إلى معرفة وتقدير قيمة حياته استعداداً للموت.

الموهبة الإبداعية: Creative Talent

تعرف الموهبة الإبداعية عند بعض علماء النفس من خلال مجموعة من الصفات لو توافرت في الطفل بدرجات معينة كان ذلك مؤشراً على إمكانيته الإبداعية، وهذه الصفات كما تشير ريم (Rimm,1984) هي:

أ- الاستقلال Independence

مرتفعو الدرجة على هذا المقياس هم من لديهم القدرة على اتخاذ القرارات وتجريب الحلول واعتمادهم على أنفسهم



ولا يزعجهم أن يختلفوا مع أقرانهم.

أما منخفضو الدرجة فيفضلون اللجوء إلى الغير أو عدم الحسم ويتخلون عن الأنشطة بسهولة.

ب- التخيل Imagination

مرتفعو الدرجة على هذا المقياس الفرعي يحبون الاستطلاع وإثارة العديد من الأسئلة، وروح الدعابة أما منخفضو الدرجة فإنهم يكونو أكثر حرفية وواقعية وأقل استطلاعاً.

ج- تعدد الاهتمامات Many Interests

مرتفعو الدرجة على هذا المقياس الفرعي يتميزون باهتمامهم بالرسم والتعبير وحبهم لمعرفة الحياة في العصور الماضية والحياة في بلاد أخرى، أما منخفضو الدرجة فإن لديهم اهتمامات قليلة بهذه الأشياء.

التغيرات النمائية Develop mental changes في الموهبة الإبداعية:

وهي ما يعبر عنها بمعدلات التغير التي تحدث في الموهبة الإبداعية من سنة لأخرى في الفترة العمرية من ٥:١١ سنة أي من الحضانة وحتى الصف الخامس.

العوامل المؤثرة على الموهبة الإبداعية:

ينظر للإبداع بشكل خاص على أنه دالة لكل من تأثير الوراثة والبيئة وقد أشارت نتائج بعض الدراسات التي تناولت القدرات الإبداعية إلى أن للوراثة دوراً ولكن محدوداً، بينما يتفق الباحثون على الدور الأكبر للبيئة في تنمية التفكير الإبداعي فتنمو قدرات الفرد في بيئة صالحة لتربية الإبداع ويقصد بالبيئة الأسرية والبيئة المدرسية، وإن كان هذا لا يمنع تدخل بعض العوامل البيئية الأخرى مثل جماعات العمل والجهاز الديني ووسائل الإعلام.

المراجع

١- Hargeaves, D.j. "The development of ideational fluency: Some normaive data. Br.J. Educ. Psychol,1982,p.52,log.112.

2- Romaniuk, J.G. and Romaniuk, M.: Creativity Across the life span: Ameasurement perspective, Hum. Dev, 1981,24,pp. 366-381.

٣- د. رجب الشافعي، د. أحمد طه محمد: التغيرات النمائية في الموهبة الإبداعية لدى الأطفال من الحضانة وحتى الصف الخامس من التعليم الأساسي (دراسة تطورية) منشورة في مجلة علم النفس، العدد ٢١، السنة السادسة، ١٩٩٢، ص ص٩٠، ٩١.

٤- Romaniuk, J.G.;Ipid.

5- Hargeaves, D.J. Ipid.

6- Torrance, E.p.: long itudional examination of the Fourth grade slump in creativity. The gifted child Quarterly, winter 1968, pp. 195-199.

٧- نهى مصطفى يوسف: أثر برنامج تعليمي في تنمية التفكير الإبداعي لدى أطفال السنة الثانية في الروضة، ماجستير غير منشورة، كلية العلوم التربوية، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦.

٨- المرجع السابق.

٩- رجب الشافعي، أحمد طه: مرجع سابق ص٩٢.

يوسف أبو عواد
- الرياض -

الهـــم قتـــل الهـــرة:

يرجح أن يكون هذا المثل مستمداً من حكاية مجهولة من الحكايات الموضوعة على ألسنة الحيوانات، زعمت أن هرة من الهرر استبد بها الهم والقلق فقضت نحبها على الرغم من الاعتقاد الشعبي بأن الهرة تتمتع بمناعة عجيبة تجعلها في نجوة من الموت أو تكاد، وهو الاعتقاد الذي يجسده المثل العربي الذي يقول إن القطة أو الهرة بسبعة أرواح أو بتسعة أرواح كما يرى الإنجليز.
والمثل في نصه المألوف ((الهم قتل الهرة)) يذكر بقول العرب "ثلثا الهرم هم" وذلك يعني أن الهم يعجل في هرم المرء أكثر من توالي السنين..
ومن وجوه البلاغة العجيبة في هذا القول المأثور أن لفظة (هرم) المؤلفة من ثلاثة أحرف تشتمل على حرفي الهاء والميم اللذين يؤلفان لفظة ((هم))، وبذلك يكون ثلثا الهرم ((حتى من حيث عدد الحروف)) همًّا.
وشبيه به قول أبي الطيب المتنبي:

والهم يخترم الجسيم نحافة
ويشيب ناصية الصبي ويهرم

والهم ببساطة هو ذلك الشعور المثقل بالعناء والتعب والوجع.. إنه امتزاج الحكمة بالألم...
وكم اشتكى الشعراء وهم لسان حال المهمومين من عناء الهموم سواء لأسباب خفية أو معلنة...
فهذا امرؤ القيس يقول:

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

والمتنبي من أكثر الشعراء مقارعة للهموم والمعاناة الداخلية حقيقة كان أم تصنعاً:

أظمتني الدنيا فلما جئتها
مستسقيا مطرت عليَّ مصائباً

وكثيراً ما ربط الشعراء بين العقل والهم وكأن الجاهل لا يكابد همّاً في حياته، وفي هذا يرى ابن المعتز تعليلاً آخر غير المصائب والخطوب التي تورث الهموم:

وحلاوة الدنيا لجاهلها
ومرارة الدنيا لمن عقلا

وفي هذا يقول المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم

حتى إنه يرى أن الهم يستهدف الأذكياء وأفاضل القوم:

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن
أفاضل الناس أغراض لدى الزمن



وإذا سلمنا بأن ((الهم)) نتيجة للمصائب ومتاعب الحياة وظلم ذوي القربى، أو أنه لطموح المرء الذي يتعدى قدراته وإمكاناته المتاحة، في ظل واقع مرير لا يساعد، فإن الشافعي يهون على مثل هؤلاء ويهدئ من روعهم بأبيات يقول فيها:

دع الأيام تفعل ما تشاء
وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي
فما لحوادث الدنيا بقاء
ورزقك ليس ينقصه التأني
ولا يزيد في الرزق العناء

ومن الشعراء من أعلن الحرب على همومه وقرر أن يتحداها، كما نلاحظ في هذه الأبيات لشاعر المعوقين:

تحديت همي فالهموم كثيرة
ومن يكترث بالهم سوف يشيب
تسلح لها بالصبر دون تذمر
أدر نحوها ظهرا وحاذر تجيب
وسامر على الأكدار خلك بالوفا
بشوش المحيا كي يسر حبيب
ولو أن كل الناس عند تكدر
يهونوا لساد الكون دوماً نحيب

وفي الحديث القدسي الشريف:
((يا ابن آدم.. لو أصبحت معافا في بدنك، آمنا في سربك، عندك قوت يومك.. فقد أوتيت لك الدنيا بحذافيرها)).

وقبل أن نختم حديثنا عن الهموم والتفكير والتشاؤم والتجهم ومفردات الإحباط والغم وما أكثرها، لابد من الإشارة هنا إلى ضرورة معالجة هذه الحالة ولو بالفكاهة والضحك.. نعم..

فقد ثبت علمياً أن الضحك يعزز الجهاز المناعي، وهو ما دفع وكالة كولومبيا البريطانية للسرطان إلى إضافة ((غرفة للفكاهة)) إلى مكاتبها. فالفكاهة تؤدي دوراً مهماً في حياتنا ويمكن أن تبعدنا عن التفكير كثيراً في أنفسنا، وتساعدنا على البقاء مبتهجين مما يحسن في صحتنا ويجعلنا أكثر قدرة على مواجهة المحن. حتى إن البعض حين يمارس الفكاهة أو الضحك يعترف أنه للهروب من واقع مر أو كما قال الشاعر:-

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طربا فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

ولا بأس إذا كان هذا ينفع لأننا لو استسلمنا للهم فإن من قتل هرة بسبعة أو تسعة أرواح سيكون من اليسير عليه أن يقضي على ضعفاء مثلنا بالضربة القاضية ومن الجولة الأولى!!! وأن آخر دعائنا اللهم فرج هموم المهمومين.

يقول جميل صدقي الزهاوي ١٨٦٣م- ١٩٣٦م وهو من أجرأ

الفحولة وطول القصيدة:

نقاد الشعر:

لا تطل شعْرك وابذل
كل جهد أن تجيده
رب بيت هو إن
أحسنت خير من قصيدة

ويقول كذلك:

قد يفضل البيت ديواناً برمته
وقد تقصر عن بيت دواوين

والبحتري يقول:

الشعر لمح تكفي إشارته
وليس بالهذر طولت خطبه

والشاعر الإنجليزي ((كولريدج)) يقول:-
((إن قصيدا على درجة معينة من الطول لا يمكن أن يكون كله شعراً))

ونزار قباني يقول:-
في القصيدة بيت أو بيتان يثيران الدهشة كانت تسميها العرب بيت القصيد والباقي طق حنك.

ومن أمثلة ذلك قول أبي القاسم الشابي:-

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر(*)

وقول حافظ إبراهيم:-

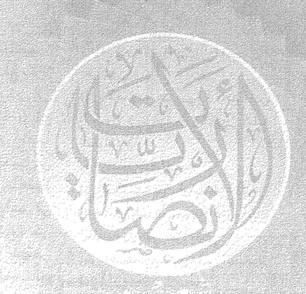
الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

وقول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

إنه البيت اليتيم الذي تمناه كل الشعراء ليذهب لهم مذهب الأمثال التي قال عنها الأصمعي إنها أبقى من الشعر.... وأشرف من الخطابة.

(*) القدر: ليس ملكاً لأحد، القدر إرادة الله سبحانه وتعالى وتدبيره، فإذا أنزله بأحد أو أمة فلا سلطة في الأرض تغالبه، بلغت ما بلغت من القوة والشدة..
وعلى البشر أن يعرفوا قدر أنفسهم، ويقفوا عند حدود بشريتهم وما عند الله سبحانه لا يُرجى ولا يدفع إلا بدعاء الخاضع المنكسر لربه..
وليس بصيغة: (لابد أن يستجيب القدر)..



أ.د. عزت عبدالمجيد خطاب - جُـدة

تنتـمي هذه القـصـيـدة إلى الجنس الأدبي المسـمى "المحـاكـاة التهكمية" ((parody، كما يطلق عليها (مجدي وهبه) في معجمه، ويعـرفها كـالتـالي: "محـاكـاة نص أدبي أو أثر فني أو سمات مميزة لشخصية معروفة، بحيث تراعى خصائص الأسلوب الأصلي أو مميزات هذه الشخصية، ويكون ذلك بقصد الإضحاك لا لما فيه من تهكم وسخرية دائما بل لبراعة ما فيه من تقليد...(١)



جندولية الأنصاري: الرؤية المعاكسة

وحسب علمي فإن هذا الجنس الأدبي نادر في أدبنا العربي، بخلاف الجنس الأدبي المعروف بالمعارضات (٢) ويضرب لنا مجدي وهبه مثالا لهذه المحاكاة التهكمية بقصيدة (مصطفى حمام) التي يقلد فيها معلقة عمرو بن كلثوم، ومطلعها:

ألا غورى بوشك فارقينا

ولا تبقي العزّال فترجعينا

"الجندولية الجديدة" للأنصاري التي أدرجها في ديوانه تحت قسم (الفكاهيات) تقلد قصيدة "أغنية الجندول": في كرنفال فينيسيا "لعلي محمود طه (النص الأصلي) التي لحن وغنى معظم أبياتها الموسيقار محمد عبد الوهاب. الأنصاري إذن يحاكي نصاً مزدوجاً: نصاً مكتوباً ونصاً مغنى، ولا أريد في هذه الورقة أن أتعرض للنص المغنى إلا بمقدار ما يضيفه اللحن إلى قوة المفارقة.

الجندولية الجديدة

، إلى هواة الجندول ،

في يوم جميل من أيام الربيع يصادف يوم عيد الأضحى خرج الشاعر مع نفر من أصدقائه - من بينهم الأستاذ الشهيد أحمد رضا حوحو - إلى ضاحية من ضواحي مكة للتمتع بمناظرها البهيجة وللقيلولة هناك ، فداهمتهم أسراب هائلة من الذباب لازمتهم سحابة النهار وقد كدرت صفوهم وأفسدت عليهم نزهتهم فجاءت هذه الجندولية تتاج ذلك :

أين م (الأفليت)(١) هاتيك المجالي ؟
يا قذى الأعين يا كرب الخيال

(١) ، الأفليت ، سائل كيماوي تباد به الحشرات .

فإذا بدأنا المقارنة بالعناصر الخارجية للنص نجد أن النص الأصلي أطول، إذ يحتوي على ٥٢ بيتاً بينما يحتوي نص الأنصاري على ٣٠ بيتاً، أي أنه نصف النص الأصلي تقريباً، وذلك إذا اعتبرنا البيت التقليدي (بصدره وعجزه) بيتا، والبيت الجديد (الذي هو في الواقع نصف البيت التقليدي) بيتاً. فهل هي مصادقة أم جهد متعمد؟ كما أن قصيدة الأنصاري تحاكي النص الأصلي بنائيا ولغوياً في الأبيات التسعة والعشرين الأولى وتخرج عليه في البيت الثلاثين فقط. أي أن الأنصاري نجح إلى حد كبير في التأكيد على المحاكاة السلبية للنص الأصلي. وفي هذا السياق تكاد الثلاثة أبيات الأولى في نصه تحاكي كلمات الثلاثة أبيات الأولى في النص الأصلي.

يقول النص الأصلي:

أين من عيني هاتيك المجالي

يا عروس البحر، يا حلم الخيال

أين عشاقك سمار الليالي

أين من واديك، يا مهد الجمال (٣)

ويقول الأنصاري محاكيا بسخرية:

أين م (الإفليت) هاتيك المجالي

يا قذى الأعين يا كرب الخيال

أين م (الهدهد) مسنون النصال

أين من منقاره هذي المجالي

موكب الدبان في (عيد السخال)

وسراياه إلى مغنى الجمال(٤)

هذا عن السمات الخارجية للنصين، لكن العلاقة بينهما أعمق من مجرد محاكات البناء الخارجي، فهناك بناء داخلي يتحرك فيه نص الأنصاري على أنغام النص الأصلي المضمخ بلحن محمد عبد الوهاب.

فالمتحدث في النص الأصلي ليس بالضرورة أن يكون الشاعر نفسه، وليس بالضرورة أيضاً أن

الأنصاري نجح إلى حد كبير في التأكيد على المحاكاة السلبية للنص الأصلي

★★★★★★

الشاعر قد حضر كرنفال فينيسيا والمتحدث في نص الأنصاري هو نفسه بدليل المقدمة النثرية التي تقرر زمان الحدث ومكانه وكذلك قيام الشاعر نفسه ونفر من أصدقائه بتلك النزهة التي أوحت له بذلك النص.

كذلك نجد أن كلا من المتحدث في النص الأصلي والأنصاري في جندوليته يقومان بنزهة إلى مكان معين في يوم عيد بغرض الاستمتاع بالمناظر الطبيعية. وفي الوقت الذي يتعمد فيه الأنصاري صحبة بعض الإخوان في مسعاه ذلك، يبدأ المتحدث في النص الأصلي رحلته، على ما يبدو، وحيداً، ثم يصادف غادة "في قرب ساقية" وتتلاحق الأحداث كما صورها أحمد شوقي في بيته الشهير:

نظرة فابتسامة فسلام

فكلام فموعد فلقاء(٥)

لكن النص الأصلي تقليد متجاوز، ينتمي بصفة عامة إلى تيار أدبي معروف له صفاته المتميزة، لكن للشاعر كامل الحرية في تكييف التجربة الشعرية بما يلائم مزاجه ونظرته إلى الحياة وإلى الكون في لحظة الإبداع، وهي حرية لا يتمتع بها نص الأنصاري لأنه نص متعمد ذو غاية محددة ومحصور في قالب النص الأصلي، وتبقى له فقط حرية استخدام ذلك القالب لتحقيق تلك الغاية المحددة. فابتداء من العنوان "الجندولية الجديدة" والإهداء: "إلى هواة الجندول" يدفعنا الشاعر بشدة إلى النظر إلى قصيدته في إطار النص الأصلي، إلا أنها جندولية جديدة في مرماها وخطابها.

ولكن لماذا اختار الأنصاري محاكاة نص علي محمود طه؟ نحن هنا في مجال الافتراض ولكنه افتراض له مبرراته من داخل نص الأنصاري وخارجه. فليس الأنصاري وحده من أدباء المملكة الذي كان من هواة "الجندول"، تلك القصيدة الرومانسية التي تنتمي إلى تيار شاع في طول البلاد العربية وعرضها: فقد تأثر أدباء المملكة كثيرا برومانسية مدرسة الديوان ومدرسة أبولو وخاصة بشعر أحمد زكي أبو شادي، إبراهيم ناجي، علي محمود طه.(٦) ثم أضاف محمد عبد الوهاب لحنه الحالم الأخاذ إلى نص شعري موسيقي، بديع الإيقاع المسموع والإيقاع المرئي، فتضاعف بذلك تأثير النص المكتوب في مخيلة قارئ، كالأنصاري، وهو ذو دربة طويلة في تذوق الشعر، قديمه وحديثه. وليس من المبالغة - ربما - القول بأن لحن عبد الوهاب هو الذي أغرى الأنصاري باقتفاء أثر علي محمود طه. فكما هو معروف كانت أغاني عبد الوهاب وأم كلثوم، وغيرهما من كبار المبدعين، تسمع في اسطوانات تعمل على أجهزة الجراموفون التي تدار باليد والتي كثيراً ما كان يصطحبها المتنزهون في إقليم الحجاز. لكن جندولية الأنصاري، كما أشرت، ليست من قصائد المعارضات: فالمفارقة عنصر أساسي بنائي في القصيدة. إنها احتفال بكرنفال لكنه كرنفال ذباب في موكب رهيب لا كرنفال عيد في موكب محبب. فليس بصدفة أن ينقلب "موكب العيد" في "عيد الكرنفال" إلى "موكب الذبان في عيد (السخال)" عند الأنصاري. ثم إن قصة المتحدث مع تلك الغادة التي قابلها صدفة قصة مشوقة، وكلما تقدمت حوادثها ازدادت تشويقاً:

******

السخرية الضاحكة في قصيدة الأنصاري جعلتها أكثر امتاعاً للقارئ

جندولية الأنصاري جديدة في مرماها وخطابها..

******

آه لو كنت معي نختال عبره

بشراع تسبح الأنجم إثره

حيث يروى الموج في أرخم نبره

حلم ليل من ليالي كليوبتره

وعلى العكس، فقصة الأنصاري مع الذباب الذي هجم عليهم على غفلة من أمرهم قصة مغيظه، وتزداد إغاظة كلما تقدمت في السرد:

آه ما أجمل في البستان نظره

وأحيلي جوه الهادي وبرّه

لو خلا من وحشة تكشف سره

وذباب للأذى أجمع أمره

وربما كانت الصدفة وراء إبداع القصيدة الأصل: فمن سمات الشعر الرومانسي انسيابه في خيال المبدع دون قصد أو ترتيب مسبق، بينما أبدع الأنصاري "جندوليته" بوعي تام وتخطيط مكتمل.

على أن المفارقة تزداد عمقا إذا حاولنا النفاذ في لا وعي الأنصاري: فقد نجده قد حاكى نص علي محمود طه بهذا الأسلوب الساخر لا ليرفض تيار الرومانسية رفضاً قاطعا، ولكن، في الأقل، ليفك نفسه من أساره، فالتيار الرومانسي واضح في شعره، ولا سيما الوصفي منه، مثل قصائده عن وادي العقيق.

من ناحية اخرى، ربما اختار الأنصاري هذا النص الشهير ليكون القطب المناقض لقطب قصيدته، وبذلك لا تخطئ العين، حتى العين غير المدربة، المسافة الشاسعة بين الأصل والصورة المعاكسة، فالمسافة بينهما تطّرد نسبيا مع مقدار السخرية، وبالتالي المتعة الذهنية التي يجنيها

القارئ فكلما ابتعدت المسافة في المضمون واقتربت في الشكل ازدادت نسبة المفارقة وبالتالي استمتاع القارئ.

لذا لا نستغرب أن نجد نص الأنصاري في الطول نصف النص الأصلي تقريبا، كما أشرت في البداية، فكلما تكثف النص الساخر تكثفت المفارقة، فشتان مابين (فينيسيا) وجندولاتها وغيدها وبين بستان الأنصاري الذي يمرح فيه الذباب.

هذا فيما يتعلق بالمقارنة، لكن نص الأنصاري، في حد ذاته، نص جيد ممتع، يقوم على مفارقة خاصة به: ففي الوقت الذي توقع فيه الشاعر وجماعته أن يقضوا وقتا ممتعا في يوم ربيعي من أيام عيد الأضحى وفي ضاحية من ضواحي مكة المكرمة المليئة بالأشجار والأطيار، إذا بهم يقضونه في صراع مع أطيار من نوع آخر، مع الذباب. مع ذلك، يجعلنا الشاعر، دون وعي، نتعاطف مع الذباب. الذي كان يشكوا الجوع، وأخذ يستعد طوال الليل للمشاركة في ذلك العيد، عيد اللحم، الذي يأتي في العام مرة واحدة فقط:

بات في ليلته يندب هجره
نصل الليل وقد خارت قواه
خاوي البطن وقد أفرغ صبره
واستحال الجوع نارا في جواه
كلما هبت من الوادي سحيره
وصحا يرقب في الصبح هواه
نسمة، هب وقد اشحذ شفره
أترى قد يشبع الصبح خواه

أفليس من المنطقي، وهو خلق من خلق الله، أن يكون له نصيب من طعام ذلك العيد؟ وحق على الآدميين أن يتركوه وشأنه ليأخذ ما يستحقه من سعادة؟

أي أن محاولة الشاعر إقناعنا بكره الذباب والاشمئزاز منه تنقلب إلى إشفاق على ذلك الطائر، بل والفرح بأن لا (هد هد) ولا (إفليت) قد توفرا لجماعة المتنزهين لقتله، وهذه قمة المفارقة الدرامية.

الشاعر علي محمود طه كان (متخيلاً) والأنصاري حكى واقعاً

★★★★★★

الحواشي

(١) مجدي وهبه، معجم مصطلحات الأدب انكليزي - فرنسي، عربي، مع مسردين للألفاظ الفرنسية والعربية (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٤م)، ٣٨٦ .

(٢) هذا ما زعمه، خطأ، الدكتور/ عبد الله أحمد باقازى في كتابه: عبد القدوس الأنصاري شاعرا، ط ١ (إصدارات المنهل: جدة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ٤٦ - ٤٨، حيث يصر على اعتبار القصيدة معارضة تامة أو ناقصة لقصيدة علي محمود طه أو متأثرة بها. وهذا خلط في المصطلحات فالمعارضة والمحاكات التهكمية والتأثر مصطلحات غير مترادفة.

(٣) سهيل أيوب (محرر)، علي محمود طه: شعر ودراسة (دمشق: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٢). جميع الاقتباسات من هذه الطبعة.

(٤) عبد القدوس الأنصاري، الأنصاريات، ط٣ (إصدارات المنهل: جدة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) جميع الاقتباسات من هذه الطبعة.

(٥) أحمد شوقي، ديوان أحمد شوقي، مج١، ج٢ (بيروت دار العودة، ١٩٨٣م) ١١٢ .

(٦) الدكتور/ عبد الله الحامد، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ - ١٣٩٥هـ) ط ١ (نادي المدينة المنورة الأدبي: المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م)، ٧٨. انظر كذلك: عبد الرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز (١٩١٦م - ١٩٤٨م) (نادي المدينة المنورة الأدبي: المدينة المنورة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ٢٢٣ وما بعدها.

المعاني الصرفية للفعل الثلاثي المزيد بحرف

د. موضي حميد السبيعي - مكة المكرمة

الدكتورة موضي بن حميد السبيعي أهدت المنهل دراستها العلمية القيمة المعنونة (المعاني الصرفية للفعل الثلاثي المزيد بحرف) دراسة استقرائية من خلال (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري..

وتوسيعا لدائرة الإفادة من هذه الدراسة رأت المنهل نشر صفحات منها في أعدادها المتتالية..

وهذه أول حلقة في هذا الموضوع..

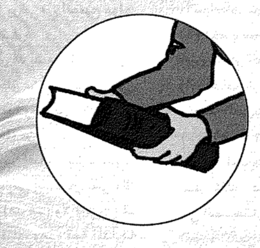
أولاً: معنى الجعل أو التعدية

وردت التعدية والجعل في كل من المواد الآتية:

باب الألف المهموزة

برأ: "بَرِئْتُ من المَرَضِ،... وأَبْرَأَهُ اللهُ مِنْ المَرَضِ" "بَرِئْتُ منك، ومن الديون والعيوب براءة...، وأَبْرَأْتُهُ مما لي عليه".

بوأ: "أَبَأْتُ الإبلَ: رددتُها إلى المباءة وأَبَأْتُ على فلان ما لهُ، إذا أَرَحْتَ عليه إبله أو غنمه"، في **اللسان:** "بَاءَ إلى الشئ يَبُوءُ بَوْءاً: رَجَعَ"(١)، التعدية في المعنى الأول والثاني.



جزأ: "جَزِئتِ الإبلُ بالرُّطْبِ عن الماء جُزْءاً بالضم. وأجزَأْتُها أنا".

جَزَأْتُ بالشئ جَزْءاً. أي: اكتفيت به... وأَجْزَأني الشئُ: كفاني".

"وأَجْزَأْتُ عنك مُجزأً ومُجزَأَةَ فلان، أي: أغنيتُ عنك مَغْناه" يفيد التعدية ولكن لما ضُمِّن الفعل معنى أغنى عُدِّي بعن تعديته.

"الجُـزْأَةُ بالضم: نصاب الإشْفَى(٢) والمخصَف(٣). وقد أَجْزَأْتُه: جعلت له نصابا".

جيأ: "المجئ: الإتيان: يقال: جَاء، يَجِئُ جَيْئَةً... أَجاْتُهُ، أي: جئتُ به".(٤)

حصأ: "الأصمعي: حَصَأْتُ من الماءِ: رويتُ، وأَحْصأتُ غيري: أرويتُه".

حمأ: "حَمِئَتْ البئر حَمَأً، بالتحريك: كَثُرَتْ حَمْأَتُها. وأَحْمَأْتُها إحْمَاءً: ألقيتُ فيها الحَمْأَةَ عن ابن السكيت"(٥) جعلت فيها الحمأة.

خذأ: "الكسائى خَذِئْتُ له... وأَخْذَأَهُ فلان، أي ذَلَّلهُ".

دفأ: "الدِّفْءُ... السُّخُونَهُ، تقول منه دَفِئَ الرجلُ دَفَاءَةً... وقد أَدْفَأَهُ الثوبُ".

دوأ: "وقد دَاءَ الرجلُ بَدَاُءُ: مَرِضَ، وأَدْوأْتَهُ أنا: أي: أصبته بداء، يتعدى ولا يتعدى".

ردأ: "ردؤ الشئ يردؤ رداءة، فهو ردئ: أي: فاسد. وأردأته: أفسدته".

رقأ: "رقأ الدمع، يرقأ رقأ... سكن... وأرقأ الله دمعه: سكّنَه".

زنأ: "زنأتُ إليه زُنُوءاً: لجأتُ. وأزنأتُ غيري: ألجأتُه".

سوأ: "أساء إليه: نقيضُ أحسن إليه"، جعله ذا سوء، ولما ضُمِّن معنى أضاف عُدِّي بإلى.

ضوأ: "ضاءت النارُ تضُوء... وأضأتُه... يتعدى".(٦)

طفأ: "طفئت النار تطفَأُ طفوءاً... وأطفأتُها أنا".

ظمأ: "ظمئ ظمأ: عطش، وأظمأتُه: أعطشتُه".

فيأ: "الفَيءُ الخَراج والغنيمة، تقول منه: أفاءَ اللهُ على المسلمين مال الكفار يُفئُ إفاءة: جعله الله فيأ لهم".

قرأ: "قرأت الكتاب قراءة وقرآنا... وأقرأه القرآن".

قضأ: "قضئْتُ الشئ أقضأ قضأ: أكلتُه، وأقضأتُ الرجلَ: أطعمتُه".

قمأ: "قمُؤَ الرجل بالضم قَمَاء وقماءةً. صار قميئاً وهو: الصغير الذليل وأقمأته: صَغَّرْتُه وذَلَّلتُه".

"أَقْمَأَني الشئ أعجبنى"، جعله يقمأ فيه رضى به وإعجاباً.

كفأ: "الكفاء بالكسر والمد: شُقَّة أو شُقَّتان تُنْصح إحداهما بالأخرى ثم يُخَلُّ به مُؤَخَّر الخباءِ تقول منه: أكفأتُ البيتَ إكفاء"، جعلته ذا كفَاء.

"استكفأتُ فلاناً إبله، أي: سألته نتاج إبلِهِ سنةً، فأكفَأنِيَها(٧)، أي: أعطاني لبَنها ووبرها وأولادها سنَة"، جعلها – أو جعلني– ذا كُفأة.

"وتقول أيضاً: أكفأتُ إبلي كفأتين، إذا جعلتها نصفين تُنتج كلَّ عام نصْفها وتترك نصفاً، لأن أفضل النتاج التي تحمل على الإبل الفحولة عاماً وتُترك عاماً، كما يصنع بالأرض في الزراعة".

كلأ: "أبو زيد: كلأتُ في الطعام تكليئاً، وأكلأتُ فيه إكلاء: أسلفتُ"، جعلت فيه كُلْأَةً: "والكُلأة: النسيئة والسُّلفة".(٨)

كمأ: "أكمأتْ فلاناً السنُّ، أي: شَيَّخَتْه"، جعلته كالكمأه على التشبيه.

لبأ: "أبو زيد ألبأتُ الجَدْي، إذا شددتَهُ إلى الخلف ليرضع لِبَأً"، جعلته ذا لبأ.

لجأ: "لجأت إليه لَجَأً بالتحريك... وألجأته إلى

الشيء: اضطررتُه إليه": "وألجأتُ أمري إلى الله: أسندتُ".

ملأ: "أملأتُ النزع في القوس إذا شددت النَّزع فيها"، في المعجم: "ملأ في القوس- ملئاً: جذب الوتر جذباً شديداً".(٩)

"ملئ الرجل وأملأه اللهُ، أي أزكمَه، فهو مملوء على غير قياس يُحمل على ملَئ".

نسأ: "قال الأخفش: "أنسأتُه الدَّيْن، إذا جعلته له مؤخراً".

"نسأتُ الشيءَ نسأ: أخرته... أنسئْنا شهراً، أي: أخِّر عنّا حُرمة المحَرَّم، واجعلها في صفر، لأنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يُغيرون فيها".

نشأ: "أنشأهُ الله: خلقه"، في اللسان: "نشأ ينشأ نَشْأً ونُشوءاً ونَشَاءً ونشْأةً ونَشَاءةً: حيي".(١٠)

"نَشَأت السحابةُ ارتفعتْ، وأنشأها الله".

نهأ: "نَهِئَ اللحمُ ينهأُ نهأً ونَهَأً ونُهوءة: إذا لم يَنْضَجْ، وأنهأتُهُ أنا إنْهاءً، إذا لم تُنْضِجْهُ،...".

نوأ: "ناء به الحِمْلُ، إذا أثقله... وأناءه الحمل،...، أي: أثقلهُ وأماله".

ناء: "وقد ناء اللحم يُنئ، ... وأناء اللحم ينيئه إناءة، إذا لم يُنضِجْه".

وطأ: "وَطئْتُ الشيءَ برجلي وَطْأً، وأوطأتُه الشيءَ فوطئه".

وكأ: "طَعَنَه حتى أتْكَأَه على أفْعَلَه، أي: ألقاه على هيئة المتَّكئ"، جعله على هيئة المتكئ. "أوكأتُ فلانا إيكاء، إذا نصبْتَ له مُتَّكأ" جعلته ذا متكأ.

هجأ: "أبو زيد: هجأ غَرَثي: سكَن: وأهجأ طعَامُكُم غَرَثي: قطعه".

هدأ: "هدأ هَدْءاً وهُدُوءاً: سكَنَ وأهدأه: سكَّنه". "وأَهْدأتُهُ إهداء".

- باب الباء-

ترب: "أَتْرَبْتُ الشيءَ: جعلتُ عليه التراب".

تعب: "تعب تَعَباً، أعيا. وأتعبه غيره".

ثقب: "ثقبت النارُ تثقُب ثقوبا وثقابة، إذا اتقدت وأثقبتها أنا".

جوب: "الجواب معروف. يقال: أجابه وأجاب عن سؤاله"، جعله ذا جواب.

حدب: "حَدِبَ ظهرُهُ... ... وأحدبه الله"، جعله ذا حَدَب.

حرب: "أحربتُه، أي: دَلَلْتُهُ على ما يغنَمُه من عدو"، جعلته ذا حَرَب.(١١)

حقب: "الحَقَبُ بالتحريك: حَبْل يُشد به الرَحْل إلى بطن البعير مما يلي ثيله كي لا يَحْتَذَّ به التصدير تقول منه حَقِب البعيرُ بالكسر إذا أصاب حَقَبُه ثيله فاحتبس بوله. تقول منه: أحقبتُ البعير".

حلب: "أحلبتُ الرجل، إذا جعلت له ما يحلُبُه".

(الإحلابة: أن تحلُب لأهلك وأنت في المرعى تبعث به إليهم. تقول منه: أحلبتُ أهلي)، جعلت لهم ما يحلبونه.

خبب: "الخَبَبُ ضرب من العَدْو. تقول: خبَّ الفرس يخُبُّ بالضم خَبًّا وخَبَبا وخبيبا، إذا راوح بين يديه ورجليه. وأخَبَّه صاحبُه".

خرب: "وقد خرب الموضع بالكسر فهو خَرِبٌ. ودار خربة وأخربها صاحبها".

خنب: "خَنِبَتْ رجلهُ بالكسر. أي: وَهَنَتْ، وأخْنَبْتُها أنا".

دأب: "دأبَ فلانُ في عمله، أي: جد وتعب، وأدأبتُه أنا".

دب: "دبَّ على الأرض يدب دبيباً، وكل ماش على الأرض دابة. وأدببت الصبيَّ، أي: حملته على الدبيب"، جعلته يدب.

ذوب: "ذاب الشيءُ يذوب ذوباً وذوبانا: نقيض جمد، وأذابه غيره".

"أبو زيد: الإذابة الإغارة؛ يقال أذاب علينا بنو فلان، أي: أغاروا" أفعل للتعدية، ولكن المفعول محذوف، وأصل الكلام: أذابوا علينا خيلهم.
ذهب: "ذهب فلان ذَهَاباً وذُهُوباً، وأذهَبَهُ غيره".
رحب: "الرُحْب بالضم السَّعَةُ. تقول منه: بلد رَحْب وأرض رَحْبَةٌ، وقد رحُبتُ بالضم ترحُب رُحبا ورحابة، وأرحبتُ الشيء: وسَّعته، قال الحجاج حين قتل ابن القِرِيَّة: "أرْحِبْ يا غلام جرحه"، أي: اجعله واسعاً.
رقب: "وأرقبتُه داراً أو أرضاً، إذا أعطيته إياها فكانت للباقي منكما" جعلته ذا رُقبى.
ركب: "وأركبتُ الرجل: جعلتُ له ما يركبه".
رغب: "رغبت في الشيء، إذا أردته وأرغبني في الشيء".
رهب: "رهب، بالكسر، يرهَبُ رهبة ورُهبا بالضم، ورَهَبا بالتحريك، أي: خاف وتقول: أرْهَبَه... إذا أخافه".
سقب: "السقب: القُرب، ... وقد سَقِبَت داره، بالكسر، أي: قَرُبَت وأسقبتُها أنا، أي: قرَّبتها".
شيب: "الشباب... الحداثة...، تقول: شبَّ الغلامُ يشِبُّ بالكسر، شباباً. وأشَبَّه الله وأشبَّ اللهُ قرنَه بمعنى".
"الشِباب بالكسر: نشاط الفرس ورفع يديه جميعاً: تقول: شب الفرس يشب ويشب شباباً وشبيباً، إذا قَمَصَ ولعب، وأشببتُهُ أنا، إذا هَيَّجْتَه".
شرب: "شرب الماء وغيره شُرباً وشِرْباً... تقول: أشْرَبْتَني ما لم أشرب، أي: ادعيت على ما لم أفعل"، التعدية المجازية.
"**الإشراب:** لون قد أُشْرِب من لون آخر.
"**يقال:** أُشرب الأبيضُ حمرة، أي علاهُ وذلك فيه شُرْبة من حُمرة، أي: إشراب".
"وأُشرب في قلبه حُبَّه، أي خالطه، ومنه قوله تبارك وتعالى: {وأُشربوا في قلوبهم العِجْل}(١٢)، التعدية المجازية.
شصب: "وقد شصَب بالفتح يشصُب بالضم...، وأشْصَب الله عيشَهُ".
شيب: "الشيب بياض الشعر... أشاب الحزنُ رأسَه وبرأسه"، في اللسان: "شاب يشيب شيباً ومشيباً".(١٣)
صحب: "وأصْحَبْتُه الشيء: جعلتُه له صاحباً".
صعب: "أصعبتُ الجملَ فهو مصعب: إذا تركته فلم تركبه ولم يمسسه حبل حتى صار صعباً" صيرته صعباً.
صقب: "صَقِبَتْ داره بالكسر، أي قَرُبت... ... وتقول أصْقَبَهُ فصقب، أي قرَّبه فقرُب"(١٤)
ضبب: "ضبَّ الماءُ والدَمُ يضِبُّ بالكسر، ضبيباً، أي: سال، وأضببته أنا".
"ضَبَّتْ لثتُهُ دماً إذا سالت؟ وأضببتها أنا".
ضرب: "أضربَ الرجل الفحلَ الناقة فضربها"، جعله يضربها.
طرب: "الطربُ: خفَّة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور. وقد طَرِب يطرَبُ وأطربه غيره".
طيب: "الطيِّبُ: خلاف الخبيث. وطاب الشيء يطيب... وأطابه غيره".
عتب: "عَتَبَ عليه أي: وجَد عليه... وأعتبني فلان. إذا عاد إلى مسرتي راجعاً عن الإساءة".
عجب: "عجبتُ من كذا... وأعجبني هذا لحُسنه، وقد أُعجب فلان بنفسه".
عرب: "عَرُب لسانُه بالضم عُروبة، أي: صار عربياً وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب".
عزب: "عزَب عن فلان حلمه، وأعزَبه الله".
عشب: "العَشَبة بالتحريك: النابُ الكبيرة، وكذا العشمة بالميم. يقال سألته فأعشبني، أي: أعطاني ناقةً مُسنة"، جعله ذا ناقة عَشَبة.
عطب: "وقد عَطِبَ بالكسر وأَعْطَبه: أهْلَكه".

عضب: "أبو زيد: العضباء: الشاة المكسورة القرن الداخل، وهو المشاش، ويقال هي التي انكسر أحد قرنيها. وقد عَضِبَتْ بالكسر، وأعضبتها أنا".
عقب: "أعْقبه بطاعته، أي: جازاه. والعُقبى: جزاء الأمر"، جعله ذا عقبى.
" **ويقال:** أكل أُكْلةً أعقبتْهُ سُقْما، أي: أورثته"، جعلته ذا سقم.
"أعقب مستعير القدر، أي: ردَّها وفيها العُقبة" الجعل لكن المفعول محذوف، وأصل الكلام أعقبنا، أي جعلنا ذوي عُقَبة.
غرب: "أغْربتُ السقاءَ: ملأتُه"، جعلته ذا غرب، على المجاز.
"**المغْرَبُ...**: الأبيض الأشفار من كل شئ؛ تقول: "أُغْرِب الفرس" على ما لم يُسمّ فاعله إذا فشت غُرَّته حتى تأخذ العينين فتبيضّ الأشفار"، المعنى الجعل. وأصل الكلام: أغرب الله الفرس، أي: جعل أشفاره بيضاً ثم بني للمجهول.
غضب: "الغَضَبُ: نقيضُ الرِّضا(١٥) غضب عليه غضباً،... وأغضبتُهُ أنا".
قرب: "أقربْتُ السيفَ: جعلت له قِراباً"
"أقربْتُ القدحَ، من قولهم قَدَحٌ قربانُ، إذا قارب أن يمتلئ"، جعلته يقترب من الامتلاء.
كتب: "كتبتُ كَتْباً وكتاباً... تقول: أكْتِبْني هذه القصيدة، أي: أمْلِها عليَّ" التعدية للمفعول الثاني.
كذب: "قال الكسائي: أكذبتُه، إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه"، جعلت كلامه كذباً. "وقال ثعلب: أكذبَه وكذَّبه بمعنى"، جعلته كاذباً.
لبب: "اللبب... ما يُشَد على صدر الدابَّة والناقة يمنع الرَحْل من الاستئخار. تقول منه: ألْببْتُ الدّابة".
لغب: "اللُّغوبُ: التَّعب والإعياء. تقول منه: لَغَبَ يلغُب... لُغوباً: وألْغَبْتُه أنا، أي: أنصَبْتُه".
لهب: "اللهبُ: لهب النار، وهو لسانها... وألهبتها: أوقدتها" جعلتها ذات لهب.
نشب: "نشب الشئ في الشئ بالكسر نُشُوباً، أي: عَلِقَ فيه: وأنشبتُه أنا فيه، أي أعلَقْتُه".
نَصِبَ: "نَصِبَ الرجل بالكسر نَصَباً: تعب. وأنصبَهُ غيرهُ".
"نصابُ السكين: مَقْبضه. وأنصَبْتُ السكين: جعلت له مَقْبضاً".
نضب: "أنضَبْتُ وتر القوس مثل أنبضتُه، مقلوب منه" في المعجم: "نبض الشئ. نبضاً ونبضاناً: تحرَّك في مكانه".(١٦)
وأب: "الوأبُ: الانقباض والاستحياء. تقول منه: وأب يئب وأباً وإبَةً... وأوأبتُه"، أي: فعلت به فعلاً يستحي منه.
"**وأوأبتُه أيضاً:** رددتُه عن حاجته" التعدية، من الاستخدام المجازى لأن الراجع عن حاجته ينقبض.
وثب: "وثب وثباً ووثُوباً ووثبانا: طفر... وأوثبتُه أنا".
وجب: "وجب الشئ، أي: لزم، يجب وجوباً. وأوجبه الله".
"وجب البيع يجبُ جِبة: وأوجبتُ البيعَ فوجب".
وصب: "الوصَبُ: المرض. وقد وَصِبَ الرجل يَوْصَبُ فهو وَصِبٌ، وأوصبه الله".
وقب: "وقب الشئ يقب وقباً، أي: دخل، وأوقبتُ الشئ: إذا أدخلته في الوقبة". والوقبة: كوَّة عظيمة فيها ظل.
هبب: "هب من نومه يهُبُّ، أي: استيقظ. وأهببتُه أنا".

- باب التاء-

بيت: "بات يبيت وبيات... وتقول: أباتك الله بخير".
ثبت: "ثبت الشئ ثباتاً وثبوتاً، وأثبته غيره".
"ويقال: أثبته السقم، إذا لم يفارقه".

ختت: "أختَّ الله خطَّه، أي: أخَسَّه، فهو ختيت، أي خسيس" في المعجم: "خت ختا: خس وردؤ".(١٧)

رتت: "وأرتَّه الله فرتَّ" في اللسان: "الرُّتَّة، بالضم: عجلة في الكلام، وقلَّة أناة؛ وقيل: هو أن يقلب اللام ياء، وقد رتَّ رتَّة، وهو أرَتّ: أبو عمرو: الرُّتة رَدَّة قبيحة في اللسان من العيب، وقيل: هي العجمة في الكلام، والحُكْلة فيه"(١٨)

سكت: "سكت يسكت سَكْتا وسُكُوتا... وأسكته الله".

"**أبو زيد:** رميتُه بسُكاته، أي: بما أسْكته"، أي: بما جعله يسكتُ.

شتت: "وأشتَّ بى قومي، أي: فرقوا أمري"، التعدية، ولما ضُمِّن معنى أنزل عُدِّى بالباء.

صلت: "وأصلَتَ سيفه، أي: جَرَّده من غمده"، جعله مصلتاً.

صمت: "أبو عبيد: المصمتُ الذي لا جوف له. وقد أصمَتُّه أنا"، جعلته ذا جوف.

عنت: "وقد عنت وأعنته غيره".

"ويقال للعظم المجبور إذا أصابه شئ فهاضه: قد أعنته"، جعله يعنت.

فلت: "أفلته غيره" جاء في المعجم: "فَلَتَ الشئ فلتاً: تخلَّص".(١٩)

قوت: "أقات على الشئ: اقتدر عليه" أفعل تفيد التعدية، ولتضمنها معنى اقتدر عُدِّيت تعديتها".

موت: "الموت: ضد الحياة. وقد مات يموت ويَماتُ أيضاً وأماتَهُ الله".

نبت: "النَّبْتُ: النبات. يقال: نبتت الأرض... وأنبته الله".

-للدراسة صلة-

الهوامش:

١- جـ ١،٢٦، العمود/١. وانظر المعجم الوسيط، جـ ١، ٧٤، العمود/٣ .

٢- الإشفى: المثقب... الإشفى عن التهذيب: السِّراد الذي يخرز به وفي اللسان "السِّراد والمِسْرَد: المِخْصَف وما يُخْرز به" جـ ٣، ٢١١، العمود/٢، مادة سرد.

٣- المخصف للنعال، اللسان، مادة شفى.

٤- انظر فيما يأتي معنى الإلجاء.

٥- انظر إصلاح المنطق، ٢، ٢٢٩.

٦- انظر هذه المادة في معنى الثلاثى أيضاً.

٧- هذا المثال وما شابهه في "معنى الجعل" هو من قبيل الطلب والإجابة وليست من باب المطاوعة وانظر في ذلك "الأمور التي لا يكون الفعل معها إلا قاصراً" الموضع الثاني عشر، من المغني لابن هشام، جـ٢، ٥٢١.

٨- انظر اللسان، جـ١، ١٤٧. العمود/١ مادة كلأ.

٩- جـ٢، ٨٨٩، العمود/١ .مادة ملأ.

١٠- جـ١، ١٧٠، العمود/ ١. مادة نشأ.

١١- يقال: حربه يحرُبه حرباً: إذا أخذ ماله.

١٢- آية ٩٣/ من سورة البقرة.

١٣- جـ١، ٥١٢ العمود/٢ .مادة شيب.

١٤- قال الأزهري: "قال اللحياني: أصقبت الدار وأسقبت أي قربت:"، تهذيب اللغة، جـ ٨ ، ٣٨٢، مادة صقب، وقد تقدم في سقب، بالسين.

١٥- اللسان، جـ١، ٦٤٨، العمود/٢، مادة غضب.

١٦- جـ٢، ٩٠٤ العمود/ ٢ .مادة نبض.

١٧- جـ١، ٢١٦ العمود/٢، مادة ختت.

١٨- جـ٢، ٣٣ العمود/٢، مادة رتت.

١٩- جـ١، ٧٠٦ العمود/ ٢. مادة فلت.

الثعــالبـي

وكتابيه "فقه اللغة" و"سر العربية"

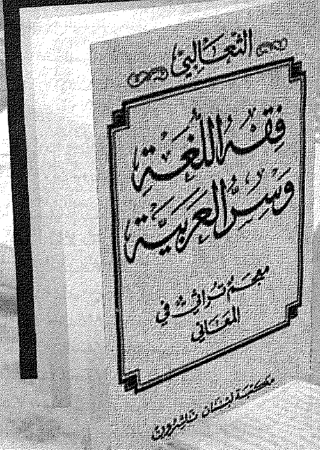


أ. د. محمد السيد بلاسي
ـ مصـــــرـ
عضو المجلس العالمي للغة العربية

نسبه ونشأته:

هو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، ولد نحو سنة ٣٥٠هـ. ولا يعرف عن حياته إلا شيء قليل جداً!

نشأ على ما يظهر في مسقط رأسه (نيسابور)، وكان يكتسب رزقه مدة من الزمان، على أقل تقدير، بالإتجار في فراء الثعالب: ولذا لقب بالثعالبي (١).



ويبدو أنه في بداية حياته كان يعيش عيشة الكفاف، شبه مضيق عليه، يشكو مع العوز جوراً وظلماً؛ يصور ذلك قوله عن نفسه:

ثلاث قــد منيت بهن أضــحت
لنار القلب مني كــالأثافي
ديون أنْقَـضَتْ ظهـري وجـور
من الأيام شــاب له غــدافي
ومــقـدار الكفـاف وأي عـيش
لمن يمنى بفــقـدان الكفــاف

وكأني به وقد أنقض الهم ظهره، يتناوب عليه الليل والنهار بما يكره؛ يسلمه هذا لذاك عاهداً إليه بإيذائه، حين يقول:

الليل أســهـره فَـهَـمِّي راتب
والصبح أكرهه فـفـيـه نوائب
فكأن ذاك به لطرفي مســهـر
وكـأن هذا فـيـه سـيف قـاضب

ولكن يبدو أن الحياة لم تدم طويلاً معه على أكثر تقدير، فقد خالط الثعالبي فيما بعد بعض رجال السياسة في فارس، واستطاع من ثمة أن يحظى بمعونة بعض رجالات الحكم له. وعلى الخصوص انعقدت أواصر صداقة وطيدة بينه وبين الأمير أبي الفضل الميكالي.

وتوفي الثعالبي في سنة ٤٢٩هـ، وقيل: ٤٣٠هـ، مخلفاً وراءه ما يربو على الثمانين مؤلفاً.

وقد رثاه الحاكم أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد النيسابوري عند وفاته؛ فقال:

كان أبو منصور الثعلبي
أبرع في الآداب من ثعلب
ليت الردى قدَّمَنِي قبله
لكنه أروغ من ثعلب
يطعن من شاء من الناس
بالموت كطعن الرمح بالثعلب!

مكانته العلمية:

اشتهر الثعالبي عند مؤرخي الأدب العربي المحدثين بكونه مؤلفاً غزير التأليف في اللغة، والأدب الممتع، وتاريخ الأدب، والبلاغة. وفي العقود الأخيرة من هذا القرن ازداد الاهتمام ببحث مؤلفات الثعالبي ونشره(٢).

أما القدماء من العلماء، فقد عرفوا للثعالبي قدره، وأعطوه مكانته(٣).

فها هو ذا الباخرزي يقول عنه: "هو جاحظ نيسابور، وزبدة الأحقاب والدهور، لم تر العيون مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله، وكيف ينكر، وهو المزن يحمد بكل لسان؟! وكيف يستر، وهو الشمس لا تخفى بكل مكان؟!".

وها هو ذا ابن بسام، يقول عنه: "كان في وقته راعي تلعات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، والمصنفين بحكم أقرانه؛ طلعت دواوينه في المشارق والمغارب، طلوع النجم في الغياهب. وتآليفه أشهر مواضيع، وأبهر مطالع، وأكثر من أن يستوفيها حد أو وصف، أو يوفي حقوقها نظم أو رصف".

ومنه يقول أبو الفتح علي بن محمد البستي، شعراً:

قلبي رهين بنيسابور عند أخ
ما مثله حين تستقري البلاد أخ
له صحائف أخلاق مهذبة
من الحجا والعلا والظرف تنتسخ

شعره(٤):

لعل في الطرفة التي جرت بين الثعالبي وبين معاصره سهل بن المرزبان، ما يعطيك صورة عن الثعالبي شاعراً.

قال الثعالبي: قال لي سهل بن المرزبان يوماً: إن من الشعراء من شلشل ومنهم من سلسل، ومنهم من قلقل، ومنهم من بلبل(٥). فقال الثعالبي: إني أخاف أن أكون رابع الشعراء(٦)، ثم إني قلت بعد ذلك بحين:

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها
فانف البلابل باحتساء بلابل

فكان الثعالبي بهذا رابع فحول ثلاثة لهم القدم الثابتة في الشعر، نعني الأعشى، ومسلم بن الوليد، والمتنبي.

ومن بين أشعاره التي يصف فيها نفسه، قوله:

عركتني الأيام عرك الأديم
وتجاوزن بي مدى التقويم
وعضض اللحظ مني إلا
عن هلال يرنو بمقلة ريم
لحظة سقم كل قلب صحيح
ثغرة برء كل جسم سقيم

أيضاً للثعالبي شعر جيد في الوصف وفي براعة التصوير؛ حيث يصف فرساً أهداه إليه الأمير أبو الفضل الميكالي، فيقول:

يا واهب الطرف الجواد كأنم
قد أنعلوه بالرياح الأربع
لا شيء أسرع منه إلا خاطري
في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو أنني أنصفت في إكرامه
لجلال مهديه الكريم الألمعي
أقضمته حب الفؤاد لحبه
وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع
برد الشباب لجله والبرقع

مؤلفاته (٧):

ومن أشهر مؤلفاته الكتب التالية:

١- فقه اللغة وسر العربية: ويمكن أن تعده مصنفه اللغوي الأساسي.

٢- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: وقد أهداه إلى أبي الفضل الميكالي، وموضوعه: شرح التراكيب الشائعة التي يضاف فيها اسم إلى آخر، نحو "سيف الله"، "قوس قزح"..

٣- كتاب المقصور والممدود.

٤- معرب اللغة.

٥- كتاب التوفيق للتلفيق: وموضوعه تقسيم الأشياء والأشخاص وتصنيفها على أساس أوصافها في النثر والشعر. وقد حدد المؤلف فيه قاعدته التي اتبعها في الترتيب بأنها: (التلفيق بين الشيء وجنسه، والجمع بين الشيء وشكله)، ويحتوي على ٣٠ باباً، منها مثلاً: "التلفيق بين أوصاف خصائص الأشياء ورد بعضها في التشبيهات إلى بعض".

٦- نسيم السحر: وهو نصيف للأوصاف والأفعال تبعاً لاتفاقها في الصفات أو الأحداث عند الإنسان أو الحيوان أو الأشياء.

٧- الكتابة والتعريض: وهو معجم للكنايات مرتب على الموضوعات.

٨- كتاب الأمثال.

٩- خاص الخاص: وهو عبارة عن أمثال مجموعة على القاعدة التي جرى عليها في كتاب الأمثال السابق.

١٠- كتاب الأمثال بآيات من القرآن الكريم وأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وكلام العرب وأدباء العجم.

١١- التمثيل والمحاضرة في الحكم والمناظرة: أهداه لشمس المعالي قابوس بن وشمكير، وهو مجموعة من الأمثال مرتبة على المعاني.

١٢- لباب الآداب: ويتألف من ثلاثة أقسام:

أ- أسرار اللغة وجوامعها وطرائف العربية وخصائصها.

ب- لطائف الألفاظ والمخاطبات والمكاتبات وبدائعها ومحاسنها وقلائدها.

ج- عيون الأشعار وأحاسنها وفصوصها وفرائدها. فجعل الثعالبي القسم الأول للغة، بينما الثاني للنثر الفني أما الثالث فقد أفرده للأدب.

١٣- كتاب أحسن ما سمعت: ويسمى أيضاً اللآلئ والدرر، وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٤هـ.

١٤- كتاب إعجاز الإيجاز: طبع بمصر سنة ١٨٩٧م.

١٥- كتاب برد الأكباد، في الأعداد: طبع بالآستانة سنة ١٣٢٥هـ.

١٦- سحر البلاغة، وسر البراعة: طبع في مصر.

١٧- لطائف المعارف: طبع في ليدن.

١٨- كتاب ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة: طبع في ليسبك.

١٩- كتاب المبهج: طبع في مكة ومصر.

٢٠- كتاب مرآة المروآت: طبع في مصر.

٢١- كتاب المنتحل: طبع في مصر.

٢٢- نثر النظم، وحل العقد: طبع في الشام.

٢٣- النهاية في الكناية: طبع في الشام.

٢٤- كتاب يواقيت المواقيت.

٢٥- يتيمة الدهر: طبع في مصر والشام.

فقه اللغة وسر العربية هل هما كتاب واحد؟

يجيب عن هذا التساؤل كتب الطبقات؛ إذ تجعل (فقه اللغة) كتاباً، و(سر العربية) كتاباً آخر للثعالبي. وقد تبعهم في هذا بعض الناشرين المحدثين حيث طبعوا كتاب (فقه اللغة) مستقلاً عن صنوه تبعاً لبعض النسخ المخطوطة التي فرقت بينهما. وإلى هذا نميل؛ لأن بين الكتابين فروقاً جوهرية من حيث الموضوع والتناول، كما سنوضح فيما بعد.

غير أن بعض النساخين والوراقين قديماً، وأصحاب المطابع حديثاً، جمعوا الكتابين معاً بين دفتين، وأطلقوا عليهما ترجمة واحدة، هي (فقه اللغة وسر العربية) (٨).

يقول فؤاد سيزكين: "ومن المحتمل أن له صياغات مختلفة وروى بأسماء متباينة، وبذلك لا يعرف اسمه الأصلي، وفضلاً عن هذا لم يقدر وصول البابين الرئيسيين إلينا على أنهما كتابان مستقلان: "سر الأدب في مجاز كلام العرب" أو "أسرار اللغة العربية وخصائصها"(٩).

هذا؛ وقد طبع الكتابان معاً في القاهرة عدة طبعات

لدى مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٥٧هـ، ١٣٧٣هـ، ١٢٩٢هـ. كما أعيد طبعه في بيروت سنة ١٨٨٥م، ١٩٠٣م. وطبع أيضاً في تونس وليبيا: الدار العربية للكتاب، سنة ١٩٨١م (١٠).

أولاً: فقه اللغة: للثعالبي:

يعد هذا الكتاب معجماً من المعاجم اللغوية المبوبة (١١)؛ حيث رتب فيه المادة ترتيباً معنوياً، لا على ترتيب حروف الهجاء، وفائدته لمن يعرف معنى من المعاني، ويطلب فيه اللفظ الدال عليه، بخلاف معاجم الألفاظ وهي المعاجم المجنسة، التي يراد منها البحث عن معاني الألفاظ التي يريد الباحث تفسيرها حين يخفى المعنى.. وصنيع الثعالبي في "فقه اللغة" يمت بصلة قوية إلى كتاب "الغريب المصنف": لأبي عبيد القاسم بن سلام، كما يعد ممهداً لتأليف كتاب "المخصص": لابن سيده، أكبر المعاجم المرتبة على الموضوعات في اللغة العربية (١٢).

ثانياً: سر العربية: للثعالبي:

وهو يشبه إلى حد كبير الصاحبي: لابن فارس (ت ٣٩٠هـ)، ولعل الثعالبي (ت٤٣٠هـ) قد تأثر به كثيراً؛ فإن كثيراً من موضوعات كتاب "سر العربية" مشتركة بين الكتابين؛ فكلاهما في الكتابين يكاد يتناول جميع المباحث التي تمت إلى اللغة بسبب، سواء أكان ذلك في أصولها أم في فروعها أم في تاريخها. وإن كان هناك اختلاف كبير في كثير من المواضيع والمساحة المعروضة.

ويزيد الأمر تأكيداً أن الثعالبي يكرر عبارة: (من سنن العرب...إلخ) في صدر كل موضوع، وهو احتذاء لقول ابن فارس: (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) (١٣)..

الهوامش والمراجع:

(١) انظر: تاريخ التراث العربي: فؤاد سيزكين، ترجمة الدكتور عرفة مصطفى، المجلد الثامن، الجزء الأول، ص٤٣٠، ط.إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤٠٨هـ. وفقه اللغة وسر العربية: لأبي منصور الثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، (ترجمة المؤلف)، ص٥ وما بعدها، ط٣ مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٩٢هـ.

(٢) تاريخ التراث العربي: المجلد الثامن، الجزء الأول، ص٤٣ .

(٣) لمزيد من التفصيل؛ راجع: فقه اللغة وسر العربية (ترجمة المؤلف)، ص٦ ، ٧ .

(٤) راجع: فقه اللغة وسر العربية: (ترجمة المؤلف).

(٥) يريد بمن شلشل: الأعشى في قوله:

وقد أروح إلى الحانوت يتبعني
شاو مشل شلول شلشل شول

ويريد بمن سلسل: مسلم بن الوليد في قوله:

سلت وسلت ثم سل سليلها
فأتى سليل سليلها مسلولا

وبمن قلقل: المتنبي في قوله:

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا
قلاقل عيس كلهن قلاقل

(٦) أراد الثعالبي قول الشاعر:

الشعراء فاعلمن أربعه
فشاعر تجري ولا يجرى معه
وشاعر من حقه أن ترفعه
وشاعر من حقه أن تسمعه
وشاعر من حقه أن تصفعه

(٧) لمزيد من التفصيل: راجع: تاريخ التراث العربي: ص٤٣٢-٤٤٣ . وفقه اللغة وسر العربية: (ترجمة المؤلف)، ص١١-١٣.

(٨) انظر: فقه اللغة وسر العربية: مقدمة الطبعة الثانية، ص١٥، ١٦.

(٩) تاريخ التراث العربي: المجلد الثامن، الجزء الأول، ص٤٣٣.

(١٠) انظر: المرجع السابق: المجلد الثامن، الجزء الأول، ص٤٣٥.

(١١) أو معاجم المعاني أو الموضوعات، تلك التي تجمع الألفاظ التي تدور حول موضوع واحد. لمزيد من التفصيل؛ انظر: المعجم العربي، دراسة ونقداً: للدكتور شعبان عبدالعظيم، ص٢٠-٢٣، الطبعة الثانية مطبعة الأمانة، سنة ١٤٠٣هـ.

(١٢) راجع: فقه اللغة وسر العربية: (مقدمة الطبعة الثانية)، ص ١٦.

(١٣) راجع: المصدر السابق: ص١٥، ١٦.



العهد والميثاق

أ.د/ ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الحمد لله، وصلى الله على محمد ومن والاه، ومن أراد لهذه الأمة التيقظ والانتباه.

وبعد، فهناك كلمتان وردتا في القرآن الكريم كثيراً هما العهد والميثاق، وما تصرف منهما، ولا يكاد الإنسان يجد فرقاً بينهما، لشدة اتصال معنى كل منهما بالآخر، فما هو الفرق بينهما؟

يقول ابن فارس في المقاييس في *اللغة*: (العين والهاء الدال) أصل هذا الباب عندنا دال على معنى واحد، وقال الخليل: العهد أصله الاحتفاظ بالشيء، وإحداث العهد به. قال ابن فارس: والذي ذكره من الاحتفاظ، هو المعنى الذي يرجع إليه فروع الباب.(١)

(قلت) من ذلك قولهم في *الوصية*: عهدت إليه بكذا: أي أوصيته، لأن الوصية يجب الحفاظ عليها وقال ابن فارس في المقاييس في *اللغة* أيضاً:

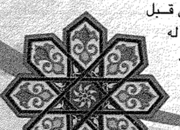
(وثق) الواو والثاء والقاف كلمة تدل على عقد وإحكام (٢)

(قلت) ومن هنا كان *الوثاق* الشد بقوة، قال تعالى {فيومئذ لا يُعذِّبُ عذابَهُ أحد * ولا يوثق وثاقه أحد} (٣)

ومن هنا أيضاً نعلم لم سمى الله تعالى الإسلام العروة الوثقى، فقال {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم } (٤) بعد أن عرفنا أصل الكلمتين في *اللغة* نقول: إن العهد والميثاق بمعنى واحد، والفرق بينهما أن الميثاق توكيد العهد، من قولك أوثقت الشيء: إذا أحكمت شده، ومن ذلك قوله تعالى {الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون} (٥) فبين جل جلاله أن الميثاق يكون بعد العهد، وهناك فرق آخر وهو أن العهد يكون من المتعاهدين، والميثاق يكون من أحدهما(٦).

(قلت) وذلك لأن العهد يكون من المتعاهدين؛ لكن قد لا يثق أحدهما بصاحبه؛ لذا يؤكد هذا العهد بما يريده من المواثيق.

(قلت) من ذلك قوله تعالى في العهد {ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً} (٧) فالعهد



هنا لم يؤكد فلذا قال فنسي ولم نجد له عزماً.

وقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، كما في قوله تعالى {وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طَهِّرا بيتِيَ للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود} (٨)

وقوله تعالى {ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم} (٩)

أما عندما يكون الكلام مع الميثاق فستجد الكلام قويا مدويا، أنظر إلى قوله تعالى {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا آتيتُكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتُؤمنُنَّ به ولتنصرُنَّه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين}(١٠) ألا تراه يختلف عن قوله تعالى في الآية السابقة {وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود}.

وانظر إلى قوله تعالى {واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور} (١١)

وسيدنا يعقوب لما رأى من بنيه ما عملوا بيوسف لم يأخذ منهم عهداً بل أخذ ميثاقاً بل {قال لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتأتونني به إلا أن يحاط بكم فلما أَتَوْهُ موثِقَهُم قال الله على ما نقول وكيل } (١٢) وذكرهم كبيرهم بالموثق إياه فقال جلَّ جلاله {قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم اللهُ لي وهو خير الحاكمين} (١٣).

وأحيانا يؤكد الله تعالى ذلك الميثاق بالتغليظ خاصة عندما يكون الكلام مع المعاندين، فيقول جل جلاله عن اليهود {ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سُجَّدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً} (١٤) لذلك تكون العقوبة شديدة عند نقض الميثاق، يقول الله تعالى {فبما نقضهم ميثاقهم لَعَنَّاهُم وجعلنا قلوبَهُم قاسية} (١٥).

وهكذا تبين الفرق بين العهد والميثاق، فما هو الفرق بين العهد والوعد؟

نقول: العهد والوعد بمعنى واحد؛ لكن هناك فرقاً بينهما من حيث إن العهد هو وعد يكون مقرونا بشرط، تقول: إن فعلت كذا فعلت كذا، ومنه قوله تعالى {ولقد عهدنا إلى آدم} أي أعلمناه أنك لا تخرج من الجنة ما لم تأكل من هذه الشجرة(١٦) وهكذا كل عهد يتضمن شرطاً.

وفرق آخر: وهو أن مقتضى أحدهما مخالف لمقتضى الآخر، فالعهد يقتضي الوفاء، قال تعالى {والموفون بعهدهم إذا عاهدوا } (١٧) والوعد يقتضي الإنجاز، ومنه ما جاء في الحديث فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت؛ فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده} (١٨).

وفرق ثالث: وهو الفرق بالترك، يقال عند ترك العهد: نقض العهد، وتقدم قوله تعالى {ينقضون العهد}، ويقال عند ترك الوعد: أخلف الوعد.

(قلت) ومنه الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال {آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان}(١٩).

وهكذا يتبين الفرق بين الكلمات المتشابهات.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

١- ابن فارس في المقاييس في اللغة ص٧١٢ (عهد).
٢- ابن فارس في المقاييس في اللغة ص١٠٨٢ (وثق).
٣- سورة الفجر الآية: ٢٥-٢٦ .
٤- سورة البقرة الآية: ٢٥٦ .
٥- سورة البقرة الآية: ٢٧ .
٦- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٤٣
٧- سورة طه الآية: ١١٥ .
٨- سورة البقرة الآية: ١٢٥ .
٩ - سورة يس الآية: ٦٠
١٠- سورة آل عمران الآية: ٨١
١١- سورة المائدة الآية: ٧ .
١٢- سورة يوسف الآية: ٦٦ .
١٣- سورة يوسف الآية: ٨٠ .
١٤- سورة النساء الآية: ١٥٤ .
١٥- سورة المائدة الآية: ١٣ .
١٦- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٤٣.
١٧- سورة البقرة الآية: ١٧٧ .
١٨- صحيح مسلم ٢/٨٨٨.
١٩- متفق عليه صحيح البخاري ٢/٢٢٦٢صحيح مسلم ١/ ٧٨.

مع القاصة أميمة البدري في مجموعتها القصصية

"للشمس شروق"

علي خضران القرني - الطائف

لم يقتصر الشعر والأدب والابداع في جازان على فئة الرجال فحسب.. بل كان للمرأة الجازانية دورها البارز ومشاركتها الفاعلة في هذا السبيل.. رغم أن نتاجها لم ينل النصيب الوافر من الدراسات والبحوث الأدبية التي كتبت وتكتب هنا وهناك عن ابداعات الرجال.. وخاصة من بني جلدتها؟

- فهل آن الأوان لأن نغزو مكامن ابداعاتها المغمورة ونخرج بها إلى ساحة الابداع وجها لوجه؟ وقوفا مع الرجل في مجالاته الابداعية؟ بدلاً من أن يظل عزفها منفرداً وصوتها مغموراً قد لايتعدى حدود منطقتها؟

- (أميمة البدري) قاصة من جازان.. بلد الفل والكادي.. جازان الشعر والأدب والابداع..

شاء الله أن أحظى بمجموعة قصصها القصيرة (للشمس شروق) من اصدارات نادي جازان الأدبي لعام ١٤٢٦هـ في (٨٠) صفحة من القطع الصغير تتصدرها مقدمة ضافية لأحد رواد القصة والنقد في جازان الأخ الأديب القاص (عمر طاهر زيلع) وحسبي به معرفة ودراية أنه لا يكتب مقدمة لأي عمل ابداعي وخاصة في مجال القصة إلا لمن كان أهلاً لذلك؟ مع رسومات داخلية جميلة معبرة تتقدم قصص المجموعة لـ (زكية نجم) وهي كاتبة وقاصة وفنانة من جازان.

تميل القاصة أميمة في معظم قصصها إلى الواقعية أكثر منها إلى الخيال والرمزية لأن في الواقعية أكثر معاناة وأكثر تفاعلاً مع أحداث القصة - أي قصة -. والكاتب أو القاص الذي يستقي أفكاره الابداعية من واقع هموم مجتمعه وحياة الناس فيه هو الأجدر بلقب ابن بيئته ومشعلها الساطع الوضيء؟

ومن سياق أحداث قصة (مذكرات.. سيدة محترمة) ص ٦١ وهي أطول قصة في المجموعة يتضح لنا ذلك.. فهي تصور لنا حياة فتاة تحقق لها التأهيل العالي والعمل الوظيفي.. إلا أنها لم توفق بفارس الاحلام الذي يشاركها حياتها كأي فتاة.. ربما لأن الزواج قسمة ونصيب - كما يقال - أو لظروف وطقوس اجتماعية مألوفة في مجتمعاتنا العربية ظلت ملازمة لحياتها واستمرت في معايشتها بين اليأس والأمل حتى تقاعدت أو فاتها الركب كما تعتقد.

وواقع هذه القصة قد ينطبق على كثير من فتيات المجتمع العربي بصفة عامة وقد يكون ذلك سببا من أسباب ارتفاع نسبة العنوسة التي تدور حولها العديد من الدراسات هذه الأيام رغبة في ايجاد الحلول الناجعة لها؟

وقد اخترت هذه القصة من بين قصص المجموعة منطلقا لهذه القراءة المتواضعة لأمور من أهمها:

- أنها تعالج قضية اجتماعية قد لايخلو منها أي بيت عربي.

- وجوب تعليم وتأهيل الفتاة وتوظيفها لإعانة نفسها على ظروف الحياة خاصة اذا فاتها قطار الزواج (كبطلة هذه القصة).

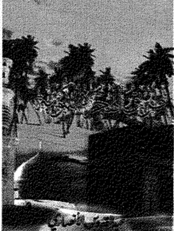
- رعاية نفسها وأطفالها إذا فقدت رب الأسرة لأي سبب من الأسباب.

عدم يأس الفتاة في الزواج بسبب تقدم السن أو لأسباب أخرى. فلنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والسيدة خديجة وأزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن من حيث السن والتعدد أسوة حسنة؟

وكنت أتمنى على القاصة أن تنهي قصتها هذه بمدلول قصة (للشمس شروق) القصة التي وُسمت المجموعة بها ص (٣٧) لأنها تؤكد في معناها ومبناها بأن باب الأمل يظل مفتوحاً ومشرقاً أمام الإنسان خلال مراحل حياته فلا يأس مع الحياة مهما توالت الشدائد واحتدمت المواقف وتواترت الهموم والأحزان؟

على أن هذا لا يقلل من خطوات القاصة الابداعية ورؤيتها في كتابة القصة كما رأيتها في هذه المجموعة المنبثقة من صلتها الوطيدة بمجتمعها وبيئتها والتي تحاول من خلالها توظيف بعض المشكلات والقضايا الاجتماعية عبر قصصها في محاولة ايجاد حلول ناجعة لها تتفق وظروف الحياة وواقع العصر ومتطلبات المرحلة بأسلوب سهل ولغة سليمة وحوارات تؤكد إلمام القاصة بفن القصة وما يدور في محيطها من أدوات ولزوميات؟

وأختم هذه القراءة الوجيزة برؤية لكاتب المقدمة عن قصص المجموعة ص ٧ (وبعيداً عن استنطاق هذه النصوص يتأتى القول بأن أميمة البدري في مجموعتها هذه تحضر بقوة صوتاً جديداً له خصائصه المنفردة وتجربته المنسجمة - فنياً - مع المرحلة المعيشة في توترها واقتضابها وحدتها وجذرها اللغوي وجمالها الخاطف المؤثر ووحشتها الأكثر صمتاً والأعظم دلالة).





الأنصاري.. كاتب وكتاب

محمد الدبيسي - المدينة المنورة



عبدالقدوس الأنصاري.. من أول من استرعاه.. فيض العراقة الدينية.. وثراء التكوين الحضاري في المدينة المنورة.. من جيل الرواد من أدبائنا..! ولد فيها.. وتلقى تعليمه في مدرستها الأهلية الأولى (العلوم الشرعية).. وترعرع بين أزقتها وأحيائها.. لينشأ في كنف مدينة المعرفة الأصلية.. ويشب في حاضنة الثقافة والنور.. التي أسس فيها أول مجلة أدبية سعودية هي (المنهل) عام ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م.

كما كان أول من طفق.. يرصد ويوثق (آثارها التاريخية الحضارية).. في مدونة تعد من أولى ما ألف في هذا المجال الثقافي الحيوي.. عبر كتابه (آثار المدينة المنورة) الصادر عام ١٣٥٣هـ.. إشارة إلى وعي مبكر من الأنصاري بالقيمة الحضارية التي تختزنها هذه المدينة الطاهرة.. وقبل أن تمتد يد الزمن أو الإنسان لتبدد هذه الآثار وتمحوها من صفحة الوجود..!

كما جايل الأنصاري جيل الرواد من أدباء ومثقفي المدينة الطاهرة.. فانضم إلى جماعة (نادي الحفل الأدبي)، بل كان من مؤسسيها التي كانت منتدى أدبياً يضم نفراً من أدباء المدينة المنورة من أمثال السيد أحمد الخياري ورضا حوحو وغيرهم.. في أوائل الخمسينيات من القرن الهجري الرابع عشر.. إيماناً منه بفاعلية دورها وجدوى مناشطها.

وإضافة إلى مجموعته الشعرية (الأنصاريات) الصادرة في بيروت عام ١٣٨٤هـ يعتبر الانصاري رائداً للفن الروائي عبر روايته (التوأمان) الصادرة عام ١٣٤٩م.. التي يجمع الباحثون على أنها أول عمل روائي يصدر في بلادنا.

كما لم تعدم التجربة الثقافية لهذا العلم البارز وإسهامه النقدي في متابعات.. وأفكار.. ورؤى.. ضمت مجلته المنهل جزءاً كبيراً منها.. تشير إلى وعيه النقدي.. وحساسيته الإبداعية..

وفي هذا السياق يأتي كتابه (طريق الهجرة النبوية) الصادر في طبعته الأولى عام ١٣٩٨هـ من أهم الإصدارات في هذا المساق التاريخي/ الثقافي.

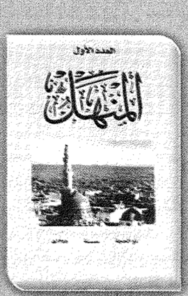
حيث قام المؤلف بتتبع الأماكن والمعالم التي وردت في السيرة النبوية ليستدل منها على معالم طريق (الهجرة النبوية) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.. يحددها جغرافيا.. ويصف تفاصيلها ويقدم صوراً فوتوغرافية لها، ليستبين القارئ تفاصيل المعلم وأجزاءه وعلاماته.. وقد كانت (المعالم والآثار) بوصفها مكوناً معرفياً وثقافياً.. من الاهتمامات التي اتخذت مكانها اللائق في وعي الأنصاري وتجربته وأنجز فيها غير كتاب.. تدل على دوره التنويري وجهده الخلاق في هذا المضمار..!

وإذ يعيد نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي.. طباعة هذا الكتاب كجزء من فعاليات ملتقى العقيق الثقافي الذي اتخذ (عبدالقدوس الأنصاري الثقافي وإسهاماته الثقافية والعلمية) محوراً لدورته الأولى.

فإن هذا الصنيع يعد واجباً ثقافياً وقيمياً تجاه (إرث ثقافي) زاخر وإنتاج علمي رصين.. منحه الأنصاري فضاء فكره.. وأفق بصيرته.. ليقدمه للقراء.. والثقافة.. والحياة.

للقديم روعته

للقديم روعته







للقديم روعته

للقديم روعته

في شهر جمادى الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م

توفي الرائد الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، مؤسس مجلة المنهل وأبرز رواد الحركة الأدبية والفكرية ومؤسسيها في المملكة العربية السعودية ..

وفي هذا الشهر جمادى الأولى ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م

تأتي ذكرى وفاة هذا الرائد العظيم.. وهي الذكرى (الخامسة والعشرون)..

وبهذه المناسبة فإنا نعيد نشر هذا المقال من مجموع مقالاته وبحوثه القيمة التي نشرها في مجلته المنهل.. رحمه الله وأحسن إليه وجعل الجنة مثواه..

أيها العرب اتحدوا واستعدوا!

تتوالى حوادث انتهاز الاستعماريين، مصاصي الدماء والخيرات ـ للفرص السانحة.. للقضاء على ما ناله العرب، وما ناله المسلمون، أخيراً، في مشارق الأرض ومغاربها من نعمة الاستقلال.. ليعيدوا جرثومة الاحتلال الفتاكة إلى أرض الطهر والخير الوفير..

وحينما تنسد الأبواب الدبلوماسية أمام الاستعماريين الجشعين، فسرعان ما ينقضون انقضاض الذئاب العاوية الجائعة على ما يتخيلون أنه يمثل "نقطة الضعف" في إحدى فرائسهم من بلاد العروبة والإسلام..

أمامنا الآن حوادث تونس.. تونس باب العروبة وعرين الإسلام وبلد "الأغالبة" الذين دوخوا أوروبا وعبروا مراراً وتكراراً البحر الأبيض المتوسط لنشر الهداية والاصلاح وأنشأوا في تونس حضارة عربية إسلامية زاهرة.. تونس هذه التي نالت استقلالها حديثا بجهاد زعمائها وأبنائها وبمساعدة الشعب العربي الأبي، حينما طالبت حديثا وحثيثاً ـ فرنسا ـ بانفاذ تعهداتها لها بالجلاء عن قطعة من ترابها تمثل أهم نقطة استراتيجية وحيوية بالنسبة لتونس.. تحتلها فرنسا الباغية ظلما وعدواناً بحجة استعمارية (أوهى) من بيت العنكبوت.. ألا وهي قاعدة بنزرت.. قابلت فرنسا ذلك المطلب القانوني العادل بكل اهمال، بل زادت على ذلك أن لبست جلد النمر وأوعزت إلى بقايا فلول الهاربين من معارك (ديان بيان فو) بقصف ما بوسعهم قصفه من بلاد تونس الخضراء.. تعمل فرنسا كل ذلك، وهي

التي تلهث اليوم تحت ضربات أبطال الجزائر المدمرة وتفعل ذلك وهي المتهالكة على حلف الأطلسي تستمده العون المادي والعتاد وكل شئ.. وأمرها في هذا وفي غيره كما يقول شاعر الجنوب السيد محمد السنوسي في قصيدة له عصماء يخاطب فرنسا:

لك الويل إن الحرب قد دار قطبها
فهلا يصفى للديون حساب
أغرك حلف الأطلسي وأهله
لقد خاب حلف الأطلسي وخابوا

فيا أيها العرب.. ويا أيها المسلمون.. اتحدوا، واستعدوا! بكل ما في هاتين الكلمتين العظيمتين من معان خالدة وعظيمة.. كونوا في الا تحاد كالبنيان المرصوص وكالجسد الواحد أذا تألم منه عضو تداعى له سائر الجسد بالعلاج والدفاع.. اتحدوا واستعدوا في البر والبحر والجو.. استعدوا بابتناء اقتصاد قوي متماسك ليكون كدرع واقية لأوطانكم، وليقابل على الأقل الأسلوب الاستعماري الاقتصادي الجديد الذي تفتق عنه ذهن المستعمرين العتاة (السوق الأوربية المشتركة).. استعدوا ببث العلم العميق السامق في صدور أبنائكم وشبابكم ورجالكم ونسائكم.. ليكن منكم - كما في أوروبا وأمريكا- علماء الذرة والصاروخيات والفضاء وعلماء صناعيون بارزون في كل مجال، وسياسيون متفوقون، اصنعوا لنا الطائرة النفاثة والدبابة الضخمة والسيارة المدرعة، والبارجة الحربية، والغواصة الذرية، والأساطيل التجارية الضخمة.. وابنوا الأفران الذرية الهائلة، وأفلقوا الذرة واصنعوا لنا القنابل الذرية والهيدروجينية وغيرها..

اتحدوا واستعدوا أيها العرب.. واتحدوا أيها المسلمون.. وانفضوا عنكم غبار التواني والتخاذل والتكاسل.. وجندوا أنفسكم للعمل المثمر الضخم، وأتقنوا صناعة الحرب الحديثة بكل ألوانها ووسائلها.. فهنا عدو فاغر فاه يقبع في قلب وطنكم: "فلسطين" تمده طاقات استعمارية جبارة من كل ناحية.. وهناك أعداء جبابرة كثيرون لكم في مشارق الأرض ومغاربها.. ومن أشدهم ضراوة وبغضاً لكم وحقداً عليكم هؤلاء الفرنسيون توارثوا ذلك جيلاً بعد جيل، وخلفاً عن سلف.. وطالما قادوا الجيوش وساقوا الجحافل لاستعمار بلادكم وابتزاز خيراتكم وشل حركتكم وتدمير مقدساتكم كانوا هم قادة الحملة الصليبية وكانوا هم رواد استعمار بلادكم في أفريقية وآسية وكانوا في كل مرة طليعة المتآمرين عليكم في أيام الحرب العالمية الأولى وأعقابها، وفي أثناء الحرب العالمية الأخيرة وأعقابها..

بلادكم أيها العرب.. أيها المسلمون.. مليئة بالمعادن، والمناجم والخيرات وكل ما من شأنه أن يمدكم بالقوة الجامعة المانعة الدافعة.. وما عليكم إلا اعتناق العلم والعمل والاستعداد للطوارئ.. والهجوم بدل الدفاع.. إن المستعمرين اليوم لا يفهمون غير لغة السلاح، وليس لهم إلا شريعة الغاب..

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

أنتم بناة الحضارة الصالحة المصلحة.. ومقدَّراتكم ثمينة وغالية وخالدة تالدة.. فاحموا مقدَّراتكم ومقدساتكم وحضارتكم وما تحصلتم عليه من نعمة الاستقلال، من الانتكاس على أيدي وحوش الاستعماريين العتاة الذين يتربصون بكم الدوائر.. فلن يفل الحديد إلا الحديد.

(عبدالقدوس الأنصاري)

ربيع الأول ١٣٨١هـ/ أغسطس ١٩٦١م



أ.د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري

مسيرة الجوائز في مجتمعنا السعودي

الرواد لهم السبق في تأسيس الأندية والمؤتمرات والجوائز

مما نسعد به في الوقت الحاضر هو النشاط الفكري والثقافي الذي برز في العقدين الأخيرين ولا نشك في أن ما نراه ونقرأه ونسمعه هو امتداد لفترة سابقة كان روادنا الأوائل هم الذين مهدوا السبيل لأنشطة متميزة تمثلت فيها معظم الجوانب الثقافية، وجاءت الجامعات لتضيف إلى الإنتاج الفكري أعمالاً علمية أكاديمية مما كان ينقص الرواد الأوائل تتبعه رغم أنهم تبعوا المنهج الذي كان يصل إليهم عبر الكتب المطبوعة من البلاد العربية المجاورة.

لقد كان للجامعات دوراً كبيراً في هذا النشاط الفكري والعلمي ولا أدل على ذلك من انعقاد مؤتمر الأدباء الأول في جدة أقامته جامعة الملك عبدالعزيز وكان له صدى واسعاً في الأوساط العلمية الأكاديمية في الداخل والخارج.. وفي ذلك المؤتمر كُرم الرواد الأوائل بحضور وزير التعليم العالي آنذاك الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله.. ثم توالت الأنشطة العلمية وقام الأمير فيصل بن فهد رحمه الله رئيس رعاية الشباب بأول بادرة كان يتشوق لها المفكرون والمثقفون وهي موافقته على قيام الأندية الأدبية والثقافية في المدن الكبرى وقد أدت هذه الأندية دوراً مهماً في تنشيط الحركة الثقافية.

إن الجائزة التقديرية التي تبنتها رعاية الشباب في عهد المغفور له صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد رفعت نسبة التدافع بين الأدباء والمثقفين والتنافس لنيلها إلا أن الشعلة ما أن أضاءت على مدى ثلاث سنوات إلا وغابت مرة أخرى.

وقد كان لمؤسسة الملك فيصل الخيرية وجائزتها العالمية أثرها وصداها

البعيدين إلا أنها توجهت إلى المستوى العالمي ولم يكن لنصيب الباحثين والأدباء والمفكرين السعوديين إلا النزر اليسير.. وهي بلا شك قد رفعت من السمعة العلمية والفكرية للمملكة في الخارج لتصل إلى مستوى جائزة نوبل في ميادين العلوم والطب والاقتصاد والأدب. وعلى مدى السنين لم ينل جائزة نوبل إلا أديب عربي واحد وهو نجيب محفوظ الروائي المصري وذلك قبل عقدين من الزمن أي في نهاية العقد الثامن من القرن العشرين.

وقبل ربع قرن قام الحرس الوطني بتحويل النشاط في الجنادرية من مجرد سباق للهجن إلى سباق للفكر في طرح جديد وذلك بدعوة المفكرين من العالمين العربي والغربي وقد عقدت ندوات كانت بداية للحوار بين المنتدين يحضرها أطياف مختلفة من المجتمع السعودي ولا شك أن تلاقح الأفكار أدى دوراً في الحركة الفكرية بين الشباب السعودي، وقد صاحب هذا النشاط بروز النظريات الأدبية الحديثة كالحداثة والبنيوية فأعجب بها مجموعة من الشباب وخلقت هذه النزعة الجديدة والتوجه الفكري صراعاً فكرياً في المجتمع بين المجددين والتقليديين.. وقد كان من نتيجة ذلك صراعات جديدة في مجال الشعر والنثر والنقد الأدبي والدعوة إلى تفجير اللغة.

وفي ظل هذا النشاط الفكري الجديد انزوى الشعر وطغى فن جديد كانت له بدايات كانت تتسلل باستحياء وهي الرواية والقصة القصيرة التي كان من روادها عبدالقدوس الأنصاري وحامد

★★★★★★

الجوائز السعودية الأدبية التي رحلت إلى الخارج، هل لقلة فيمن يستحقها محلياً..؟

التكريم .. تتويج للمبدعين والمفكرين

★★★★★★

دمنهوري وأحمد السباعي وغيرهم.. وهكذا ما فتئت الرواية أن أصبحت في الصدارة في أدبنا المحلي فهل لحصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل في الأدب أثر في ذلك؟ وإن كانت القصص والروايات في حقيقتها لا تمثل إلا سيراً ذاتية كما يشير إلى ذلك الدكتور عاصم حمدان، إلا أن مميزات الرواية الفنية والقصص القصيرة ظهرت بشكل واضح في الإنتاج الروائي والقصصي، مما يمكن أن نطلق عليها الرواية الذاتية والقصص الذاتي.

إن حركة التكريم على المستوى المحلي قد هدأت نوعاً ما لولا جائزة الرائد المؤرخ أمين عبدالله مدني التي تمنح لمؤرخين وآثاريين قدموا عطاء مميزاً في الموضوعات التي تحددها لجنة الجائزة تصحبها رحلة جماعية إلى موقع أثري كالعلا والجوف والربذة وخيبر، كما إننا لايمكن أن ننسى نشاط النادي الأدبي في أبها الذي سن سنة حميدة بمنحه جوائز شتى في مجال الأدب بأنواعه.

وهناك جوائز أصبحت تمنح باسم شخصيات سعودية خارج الوطن مثل جائزة محمد حسن فقي وجائزة باشراحيل مما كان محل نقد من بعض وسائل الإعلام السعودية التي طالما تمنت لو منحت هذه الجائزة من الداخل إلا إذا كان المشرفون عليها لا يرون أن المستوى المحلي يرقى إلى مستوى الجائزة ولذا فإنها لم تمنح إلا لغير سعوديين حتى الآن فمتى تمنح لسعوديين؟؟.

ويبدو أن الحركة التاريخية في المجتمع السعودي التي تقودها دارة الملك عبدالعزيز التي يرأس

مجلس إدارتها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، قد التفتت إلى هذا الجانب ومن ثم أصبحت منذ سنين تمنح جوائز متميزة للرواد وجوائز للباحثين في مجالي التاريخ والآثار باسم جائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز.

ولعل أحدث إعلان عن جائزة على المستوى الوطني والعربي والعالمي هو الإعلان عن جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز للترجمة بفروعها المختلفة التي تديرها مكتبة الملك عبدالعزيز العامة وسوف تشجع هذه الجائزة نقل المعرفة من العالم المتقدم إلى العالم العربي وتعيد لنا المرحلة التاريخية التي بدأها اسلافنا منذ العصر الأموي بترجمة الكتب العلمية في مجال العلوم الطبيعية والطب والهندسة والفلك والفلسفة وغيرها إلى اللغة العربية من اللغات اللاتينية واليونانية والهندية والفارسية مما ظهر أثره في العصر العباسي فأثارت النهضة العلمية وأصبحت الدولة الإسلامية مصدر علم للعالم، وحواضرها قبلة لأوروبا ولا أدل على ذلك من قرطبة وغرناطة وبغداد والقاهرة ودمشق ونيسابور وغيرها من حواضر العالم الإسلامي.

إن هذه الجوائز ما هي إلا إرهاصات لنهضة علمية مبشرة بالخير العميم للمجتمع السعودي بل والمجتمع العربي وخاصة التطور الذي بدأ في الجامعات وخاصة أن عددها قارب العشرين جامعة ومنها تلك الجامعات التي بدأت تنفض عن جسمها غبار الكسل والانغلاق إذ إن حركة البعثات الجديدة

******

وزارة الثقافة والإعلام أملنا الأوسع في تكريم الأدباء والعلماء..

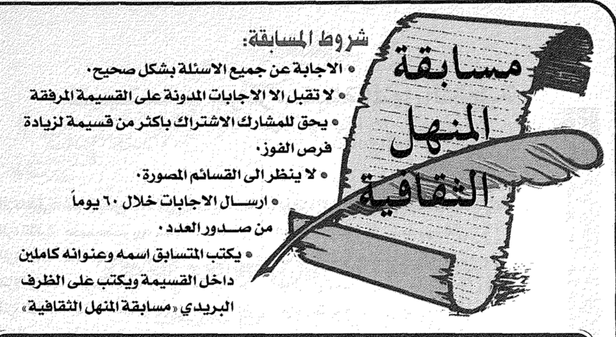
جائزة الملك للترجمة إضافة جديدة للحياة العلمية والفكرية

******

بالآلاف إلى أرجاء العالم تتوافق مع كل ذلك يعضدها وجود الجامعة العلمية التي أمر بإنشائها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز على شاطئ البحر الأحمر. ومن هنا فإن المستقبل حافل بالخير العميم.

وهنا يأتي دور وزارة الثقافة والإعلام التي سوف تمسك بعلم الريادة التي سبق أن بدأتها رعاية الشباب لتسهم بدور وافر في تكريم الرواد في مجالات الثقافة بمفهومها الواسع في تظاهرة يعيشها المجتمع ويسعد بها في كل عام وخاصة عندما يكون المكرمون ممن ترتضيهم الأوساط الثقافية وترى أنهم الأحق.

عرس الجوائز في البلاد العربية تنتظره البيئات العربية بفارغ الصبر فهل لنا أن يكون لنا أسبوع ثقافي بل أسابيع ثقافية هنا وهناك لكي تدور العجلة دورة جديدة تحمل الخير والعطاء والنماء لكل المجتمع، وليس من الضروري أن يكون الترشيح من قبل المؤسسات الثقافية فقط بل إن اللجان العلمية التي تنظر في المرشحين تضيف إلى أولئك من لم ترشحهم تلك المؤسسات لسبب أو لآخر ممن يعملون في صمت بعيداً عن الأضواء أو قضوا إلى ربهم دون أن يكرموا فتكريمهم تكريم لأعمالهم وتلاميذهم ومن عاصرهم فعرفوا أقدارهم، فهل يعيد لنا وزير الثقافة والإعلام وهو المعروف بنضجه وبعد نظره وثاقب فكره الأمل إلى الأوساط الثقافية في سبيل تحقيق الحلم الذي انقضى في لمحة من الزمن.



طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائزين.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة	المبلغ	الجائزة	المبلغ
الجائزة الاولى:	١٠٠٠ ريال	الجائزة السادسة:	٣٠٠ ريال
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال	الجائزة السابعة:	٢٥٠ ريال
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال	الجائزة الثامنة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال	الجائزة التاسعة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الخامسة:	٣٥٠ ريال	الجائزة العاشرة:	١٥٠ ريال

الاسم : .... السن: ....

العنوان : ....



نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية

لطفا رجاء كتابة رقم المسابقة على الظرف

نتائج العدد ٦٠٤

الفائـــزون :

الجائزة	الاسم	البلد
الجائزة الأولى	حسن سعيد الأحمري	السعودية
الجائزة الثانية	محمد عمر يوسف	مصر
الجائزة الثالثة	هناء عبدالفتاح الصمدي	الأردن
الجائزة الرابعة	موفق سعيد الرافعي	مصر
الجائزة الخامسة	سعاد محمود عمر	السودان
الجائزة السادسة	أحمد حسن الدوق	تونس
الجائزة السابعة	عبدالرحمن عمران الوافي	السعودية
الجائزة الثامنة	صباح الموسي	سوريا
الجائزة التاسعة	محمد نوح قيدي	المغرب
الجائزة العاشرة	زياد محمد حكم	تونس

نتائج العدد ٦٠٥

الفائـــزون :

الجائزة	الاسم	البلد
الجائزة الأولى	مروان عبدالرحمن خطاب	المغرب
الجائزة الثانية	ماهر منصور الديب	الأردن
الجائزة الثالثة	مايسة نبيل محمود	مصر
الجائزة الرابعة	نجاة وفيق	تونس
الجائزة الخامسة	سماء ذاكر الدمشقي	سوريا
الجائزة السادسة	عادل عبدالملك السيوفي	مصر
الجائزة السابعة	عبدالله عبدالله العاذل	السعودية
الجائزة الثامنة	مدحت ممدوح الذيباري	العراق
الجائزة التاسعة	ماوية حسان الشماسي	تونس
الجائزة العاشرة	حسن حسين الحسن	السعودية

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية للعدد (٦٠٧) في العدد (٦٠٨) ٠٠ وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين٠

قسيمة مسابقة العدد (٦٠٧)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة٠٠

١ - بدأت مسابقة الأمير سلطان بن سلمان لحفظ القرآن الكريم للأطفال المعوقين.

☐ ١٤١٧هـ ☐ ١٤١٩هـ

٢ - ملتقى العقيق الثقافي - الدورة الأولى - (عبدالقدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية) عُقد برعاية.

☐ نادي المدينة المنورة الأدبي ☐ نادي الرياض الأدبي

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

(صدق الله العظيم)

تتقدم أسرة مجلة المنهل بخالص العزاء وصادق المواساة إلى أبناء الفقيد

معالي الأستاذ / عبدالمحسن بن عبد العزيز التويجري

مستشار خادم الحرمين الشريفين

الأستاذ / عبدالله بن عبدالعزيز التويجري

الأستاذ / محمد بن عبدالعزيز التويجري

الأستاذ / حمد بن عبدالعزيز التويجري

معالي الأستاذ / خالد بن عبد العزيز التويجري

رئيس الديوان الملكي

الأستاذ / عبدالسلام بن عبدالعزيز التويجري

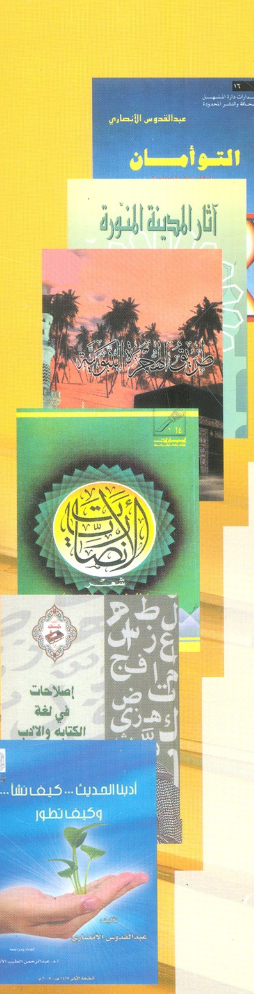
في وفاة المغفور له بإذن الله تعالى

معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري

نائب رئيس الحرس الوطني المساعد

سائلين الله تعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾



عبدالقدوس الأنصاري
التوأمان
آثار المدينة المنورة
طريق الهجرة النبوية
أنصاريات
شعر
إصلاحات في لغة الكتابة والأدب
أدبنا الحديث ... كيف نشأ ... وكيف تطور
عبدالقدوس الأنصاري